جامعة الجزائر
معهد التاريخ

اليهود في المغرب الإسلامي
من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد : مسعود كواتي

إشراف. الدكتور : عبد الحميد حاجيات

السنة الجامعية : 1411 - 1412
1990 - 1991

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى

أمي فاطمة بنت عبد الله بن احمد بزة

وزوجتي

وابنائي: شرف الدين ووليد وحسنية وأمينة

المقدمة

كانت تعيش في المغرب الاسلامي مجموعة من الجاليات غير الاسلاميـــة كالمسيحييـــن واليهود ، وقد لعبت هذه الجاليات دورا هامـــا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافيـــة والسياسيـــة .

وبـــرزت الجاليـــة اليهودية ، كأخطر الجاليات التي عاشت في المغرب الاسلامي ، لعددها الهام المتوزع عبـــر المدن المغربية، حيـــث لم يقتصـــر وجودها على الحواضر الكبرى ، وانما تعدى الى أبعد أصقاع الريـــف المغـــربـــي .

ولئن كان دور الجاليات المسيحيـــة محدودا في الزمـــان والمكان على ما يبدو (1) فان الوجود اليهودي لم يكن كذلك ، بل نجد العناصر اليهودية ، قد توغلت في المجتمع المغربي ، وبرزت كجاليـــة استطاعت أن تؤمـــن استمرارها عبر الزمن ، وعلى الرغم من تداول الدول التي تعاقبت على حكـــم المغرب ، واستطاعت أن تصمد لحوادث الدهر ، لما يتمتع به السكان المغاربـــة المسلمون من تسامح تجاه الجاليات غير الاسلامية ، خاصـــة وأن الديـــن الاسلامي منح حق أهل الذمة العيش في كنف المجتمع الاسلامي بكل حريـــة، واعتبار السلطات الحاكمة اليهود رعـــاياها لهم حقوق وعليهم واجبات، ولمـــا تتمتع به الجاليـــة اليهودية من مرونـــة .

وقد استفاد اليهود من الحرية الممنوحـــة لهم ، فظهـــرت الاحياء الخاصة بهم ، وعرفت بعض المدن باسمهم (2) لكثرة عددهم، وشيدوا المدارس ، والمعاهد الكبرى في القيروان، وفاس، وقرطبة . وشاركوا في الدورة الاقتصاديـــة ، وزاحموا المغاربـــة حتى في الوظائف الادارية والسياسيـــة . ولكن لم يقف اليهود عند هذا الحد ، بل أرادوا السيطرة ، أي التطاول عـــلى المسلميـــن في المغرب ، ضاربين جانبا شروط الذمة التي وفرها لهـــم الشرع الاسلامي .

ونتيجة لذلك ، اصطدم اليهود بحكام الدولة الموحديـــة الاوائـــل خاصة عبد المؤمن بن علي الكومـــي ، الذي طلب منهم الدخـــول في الاسلام أو الهجرة ومغادرة أرض المغرب التي تقع تحت سلطانـــه . فمنهـــم من اسلم ، ومنهم من هاجـــر، ولكن في الحقيقـــة لم يسلم اليهود عن قناعـــة وايمان ، وانما دخلوا الاسلام ، حفاظا على مصالحهم المادية ، مما أثـــــار حفيظـــة وشكوك بعض الحكام الذين خلفوا عبد المؤمـــن .

---

1)ـ تستحق الجاليات المسيحيـــة في المغرب الاسلامي دراسة خاصة بها .

2)ـ كفـــاس ، واليسانة ، وغـــرناطـــة .

فهذه اللمحه توضح مدى أهميه دراسة الجاليه اليهوديه في المغرب الاسلامي ، غير أنه تبرز بصوره أوسع وأشمل اشكالية البحث في الجماعات اليهوديه في هذه الربوع للاسباب التاليه :

1) ــ عدم وجود دراسة شامله عن اليهود في المغرب الاسلامي باللغة العربيــــه حســب علمـــي .

2) ــ الرد على الكثير من الدراسات اليهوديه التي بحثت جوانب من الموضوع، من زاويه ضيقه، اذ درس أصحابها مسألة الحضور اليهودي في المغرب الاسلامي بنظره أحاديه، يكتنفها التحيز الواضح لخدمه أغراض صهيونيه.

3) ــ معرفه خصائص الجاليه اليهوديه بالمغرب الاسلامي من جميع النوحي، الاجتماعيه والثقافيه والدينيه والاقتصاديه.

4) ــ محاوله حصر وابراز التفاعل اليهودي داخل المجتمع المغربي على مدى قرون من القرن الاول للهجره الى القرن السابع الهجري .

5) ــ التعرف على كيفيه احتضان المغاربه للجاليه اليهوديه، وطريقه التعامل معها ، انطلاقا من النصوص الشرعيه، والانظمه السياسيه.

6) ــ ابراز المكانه التي احتلها اليهود في كنف المجتمع الاسلامي، المغربي ، والنتائج الناجمه عن ذلك .

وقد قسمت الموضوع الى مقدمه وخمسه فصول وخاتمه. تعرضت في المقدمة الى أهميه الموضوع وأسباب اختيار البحث فيه .

ودرست في الفصل الاول اليهود في المغرب قبل الفتح ، فتتبعت الهجرات اليهوديه وأهميتها العدديه، موضحا الاسباب التي أدت بهم الى النزوح لارض المغرب. كما تتبعت هذا الوجود من العهد الفينيقي الى عشيه الفتح الاسلامي، قصد معرفه التغيرات التي طرأت على الجاليه اليهوديه، التي رافقت الحضور الفنيقي والروماني والوندالي والبزنطي .

أما في الفصل الثاني فقد تطرقت الى اليهود في المغرب بعد الفتح متتبعا هجره اليهود الذين اقتفوا أثار الجيوش الاسلاميه. قصد الاستقرار في الحواضر المغربيه نتيجه للتغيرات التي عرفها المغرب

بسبب الفتح ، ثم حاولت التعرف على مناطق استقرار اليهود . كما ناقشت مسألة انتشار الديانة اليهوديـــة في المغرب ، التي أخذت حيزاً كبيـرا فـــي الدراسات التي كتبها اليهود وغيرهم ، اذ حاول هؤلاء اثبات انتشار الديانة الموسويـــة في كثير من مناطق المغرب ، غير أن هذا الزعم تدحضه الوثائـق التاريخيـة ويرفضة المنطــق.

ثم تطرقت الى الوجود اليهودي في المغرب الاسلامي موضحـا الوضعيـــة القانونيـــة التي تتميز بها الجاليـــة اليهودية المستمدة أساســـا من الشريعة الاسلامية ، التي تقر بحريـــة المعتقد لغير المسلمين ، وتضمـــن لهم العيش الكريم .

وقد تعرضت في الفصل الثالث الى الاوضاع الاجتماعية والاقتصـــادية ، فبينت خصائص الجالية اليهودية ضمن الاطار الاجتماعي الخاص بها ، كاللباس والسكن ، والاعياد التي يحتفل بها اليهود ، والزواج ، وعلاقتهـــم بالمسلمين بحكم وجودهم في الوسط الاجتماعي المغربي .

أما في الجانب الاقتصادي ، فحاولت معرفة دور اليهود فـي هذا المجال ، حيث حصرت المهن التي عملوا بها ، وهي مهن وصنائع غيـــر محدودة ، اذ اشتغل هؤلاء في كل المهن والحرف من أبسطها الى أرقاهـــا دون قيود أو حـــدود في الحواضر الكبرى والريف المغربي ، الا في حالات خاصـــة .

وفي الفصل الرابع ، ركزت على الحياة الثقافية لليهود ، ابتداء من التعليم في كل مراحله وبرامجـــه ، وطـــرقـــه ، وبحثت في الحركـــة الفكريـــة اليهوديـــة بالمغرب الاسلامي مبرزا التطـــورات التي طرأت علـــى الثقافة اليهودية وتأثرها بالثقافة العربية الاسلامية موضحا أهم المنابع التـــي استقى منها اليهود لتطوير ثقافتهـــم ، ثم تطرقت للجدل الثقافي بين المسلمين واليهود في المسائل العقائدية ، واللغويـــة ، والفكرية ، فهذا الجدل يوضـح بجلاء الصراع القائم بين المسلمين واليهود في مجالات كثيرة وعلى رأسها المجال السيـــاسي .

كمـــا أبرزت دور اليهود كنقـــلة للتراث الثقافي الاسلامي الى أوروبا بحكم اتقانهم اللغة العربية اتقانا جيداً ، ودورهم في ترجمته الـــى اللغات الاوروبيـــة .

وفي الفصل الخامس بحثت في الجانب السياسي لليهـــود فـــي المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط ، فتحدثت عن الوظائف الاداريـــــة والسياسيـــة التي تبوأها اليهود في أجهزة النظم التي تعاقبت على المغرب الاسلامي من الفتح الى نهاية الدولة الموحدية كالعمال ، وجباة الضـــرائـــب

والوزراء ، اذ تصدر هذا المنصب الاخير عدد من اليهود ، وهي أرقى وظيفة يمكن للذمي أن يصل اليها .

ثم تطرقت الى المهام الدبلوماسية المتمثلة أساسا في السفارات التي شارك فيها اليهود ، أو قاموا بها بمفردهم لحساب المسلمين، وأوضحت الاسباب التي ساعدت على اختيارهم .

واثر تبوأ اليهود لمناصب ممتازة في أجهزة الحكم التابعة للدول الاسلامية في المغرب استغل هؤلاء وظائفهم للتطاول على المسلمين، وشاركوا في مؤامرات ودسائس أهمها التي قام بها ابن نغريلة ، هذه الدسائس التي أدت الى قتله في نهاية الامر .

وفي هذا الفصل تعرضت لمسألة خطيرة تتمثل في محاولة انشاء كيان يهودي هذا المشروع الذي اجهض بفضل يقظة المغاربة، وعلى الرغم من هذا يبقى هذا المشروع محل تساؤل لغموضه . وفي نهاية الامر بحثت في علاقة اليهود في المغرب بيهود العالم ، وحاولت ابراز هذه العلاقة ومحتواها .

وفي الختام لا يسعني الا ان أشكر كل الذين قدموا لي يد المساعدة لانجاز هذا العمل المتواضع ، خاصة اساتذتي بمعهد التاريخ بالجزائر ، والدكتور احسان عباس الذي لبى رغبتي بما طلبت منه ، وجامعة الخرطوم ، وزملائي من طلبة قسم الماجستير ، وان انسى فلا أنسى الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي وافق على الموضوع ، والاشراف عليه ، حيث استفدت من ملاحظاته القيمة وإرشاداته السديدة ، وتوجيهاته العلمية .

نقد المصادر والمراجع

1. كتب الفقه والأحكام
2. كتب الحسبة
3. كتب الرحالة والجغرافيين
4. كتب الطبقات والتراجم
5. كتب التاريخ والادب والثقافة العامة
6. المراجع العامة الحديثة
7. أهم المقالات التي عالجت الموضوع.

ان عملية اعادة التركيب التاريخي تحتاج الى الوثائق التي تعد أصولا ، فان ضاعت الاصول ضاع التاريخ معها ، والوثائق القديمة أو الحديثة تختلف من حيث أهميتها فمنها التي تشتمل على معلومات غزيرة ، ومنها التي تحتوي على اشارات قد تفيد الباحث أثناء تحريه الحقيقة التاريخية .

وقد اعتمدت على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع التي تحدثت عن اليهود في المغرب وهي في الحقيقة كثيرة ، ولكن المعلومات التي تقدمها تختلف من حيث الغزارة والاهمية والملاحظة الهامة التي أشير اليها ، وهي أن المصادر الاسلامية شحت من المعلومات عن اليهود ، حيث نجد المؤلفين يطنبون في الحديث عن أخبار الامراء والحروب والانتصارات والهزائم ولكن الاخبار المتعلقة بالجاليات غير الاسلامية فهي قليلة وان ذكرت فتذكر عرضا ، ليس المقصود منها شرح وضعية هذه الجاليات أو دورها ، ومميزاتها ، والخصائص التي تنفرد بها عن بقية المجتمع الاسلامي عموما ، وانما هذه الاخبار تدخل ضمن السرد العام للاحداث .

كتب الفقه والاحكام

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها كتب الفقه والاحكام التي تعد أصولا يمكن أن يستفيد منها الباحث في التعرف على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية اذ تحتوي على معلومات لا يمكن ان نجدها في الكتب التاريخية أو الجغرافية أو الادبية .

1) "المدونة الكبرى" للامام مالك بن انس رواية الامام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي ، (160 / 240هـ) فقيه أهل زمانه وشيخ عصره وعالم وقته (1) عن الامام عبد الرحمن بن القاسم العتقي (2) (132 / 191هـ) عن الامام مالك .

والمدونة من أجل الكتب في الفروع المالكية (3) اذ تعتبر احدى مصادر المذهب المالكي بعد الموطأ ، وهي كما قيل بمثابة الكتاب سيبويه عند أهل النحو (4) .

---

1) القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" ، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة ، دون تاريخ ، ج 3 ، ص [illegible] .

2) ابن القاسم العتقي : من اصحاب مالك ، تفقه عليه ، ولازمه مدة عشرين سنة ، جمع بين الزهد والعلم ، توفي بمصر ، انظر أبو اسحاق الشيرازي الشافعي ، "طبقات الفقهاء" ، تحقيق وتقديم احسان عباس بيروت ، دار الرائد العربي ، 1931 ، ط 2 ، ص 150 .

3) يوسف اليان سركيس ، "معجم المطبوعات العربية والمعربة" ، مصر ، مطبعة سركيس ، 1929 ج 2 ص [illegible] .

4) مصطفى الشكعة ، "الامام مالك بن انس" ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1933 ، ط 1 ، ص 145 ، سعدي ابو حبيب "سحنون ، مشكاة نور فهم وحق" ، دمشق ، دار الفكر ، 1986 ، ط 2 ، ص 53 .

وقد استفدت من المدونة في مواضع عدة من البحث ، منها مسألة الجزيــــة ، وتجارة أهل الذمة ، وما يؤخذ منها ، كما استفدت من رواية سحنون في كثير من مواطــن البحث في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للجالية اليهودية في المغرب الاسلامي .

2) " الرسالة " التي ألفهـا أبو محمد عبد الله بن ابي زيد القيروانــــي (310/385 هـ) بطلب من الشيخ محرز بن خلف (5) . وقد نالت الرسالــــة شهرة واسعة في المغرب والمشرق . فقام العلماء بشرحها ووضع الحواشي عليهـــا لاهميتها (6) . والرسالة مختصر في الفقه المالكي تحتوي على خمسة وأربعين بابـــا ، أمـــا الهدف من نشرها كما أورد المؤلف لتكون منطلقا لتعلم الصبيان كما هي موجهة للكبار لفهم دينهم ومعرفة الفرائض والتعرف على أصول الفقه وفنونه والسنن والاداب (7) .

والرسالة تحتوي على مادة طيبة تخص أهل الذمة بصورة عامة ، لذلك عولـــت عليها في باب الجزية وما يؤخذ منها من التجار الذميين أثناء تجرهم بالامصار العربية ، وتحتوي الرسالة على اشارات عامة في المعاملات بين المسلمين وأهل الذمة عمـــومـا واليهود خاصة ، كمسألة تحريم أو تحليل طعام أهل الكتاب وذبائحهم ، كما استفدت من مسائل أخرى تهم الجوانب الاجتماعية كالزواج ، والقضاء .

3) " أصول الفتيا " لمحمد بن الحارث الخشني (المتوفى حوالي 361 هـ) خاصة في باب أحكام الذمي ، وهو آخر أبواب الكتاب الذي يحتوي على مسائل كثيرة تتعلق بأهل الذمة كالحكم على الذمي عند النزاع ، وحلف الذمي ، وضمان ما اتلف الذمي ... وقد وجدت في هذا الكتاب معلومات لها أهميتها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية . وفتاوي الخشني قصيرة وواضحة بحيث لا يجد القاريء صعوبة لفهم مقصود المؤلـــف ، اذ شرح منهجه بقوله ((فاني جمعت في هذا الكتاب أصول الفتيا على مذهـــب مالك بن أنس والرواة من أصحابه جمعـــا مختصـــا قيدت فيه المعاني المكررة والمسائل الفقهية بالالفاظ الموجزة ، والاشارات المفهمة)) (8) .

---

5) محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، دون تاريخ ، ص 96 ، وقيل بطلب من ابي اسحاق السبائي ، راجع ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الاسيدي الدباغ ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، تونس ، المكتبة العتيقة 1978 ، ج 3 ، ص 110 .

6) لاخذ فكرة عن كثرة الشروح ، راجع ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت ، دار العلوم الحديثة ، دون تاريـخ ، ج 1 ، ص 841 ، كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مصر ، دار المعارف ، 1974 ، ط 3 ، ج 3 ، ص 287 .

7) ابن ابي زيد ، الرسالة ، ص 328 .

8) محمد بن حارث الخشني ، أصول الفتيا ، تحقيق وتعليق ، الشيخ محمد المجدوب ، د . محمد أبو الاجفان ، د . عثمان بطيخ ، تونس ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص 44 ، 1985 .

4) " فصول الاحكام " لابي الوليد، سليمان بن خلف الباجي الاندلسي (403/474 هـ) المعروف بمناظراته الساخنة خاصة المناظرات مع ابن حزم الظاهري(9) وكان الباجي ممن جسر في نفسه وضعية الاندلس التي آلت اليها في عهد الطوائف فكان من العاملين الجادين الى ((تكوين قوة تنصر الاسلام بالجزيرة الاندلسية ويلتئم بها شمل ملوك الطوائف وملوك المغرب المرابطين ولكن عوامل الانخذال أقوى من جهوده)) (10)

وكتاب " فصول الاحكام " للباجي يشبه كتاب الخشني حيث توخى المؤلف الايجاز والاختصار، وترك التطويل والاكثار، وجدت في هذا الكتاب بعض المسائل التي استفدت منها في البحث كالسرقة اذ قال بقطع يد الذمي في حالة تلبسه بهذه الجريمة مثله مثل المسلم . وكذلك استفدت من مسائل أخرى تتعلق بالزواج .

5) " المقدمات لبيان ما اقتضته المدونة من الاحكام " لابن رشد (405/520 هـ) المعروف بالجد ((زعيم الفقهاء وقته بأقطار المغرب والاندلس ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف، ودقة الفقه ، وكان اليه المفزع في المشكلات، بصيرا بالاصول ، والفروع ، والفرائض ، والتفنن في العلوم)) (11) طبع الكتاب مع المدونة الكبرى لسحنون . استفدت من هذا الكتاب في المسائل التي تخص الاحكام المتعلقة بالجزية وكذلك تجارة المسلمين مع أهل الذمة عن " كتاب الجهاد " وكتاب ابن رشد لا يختلف في معلوماته عن أهل الذمة عن الفقهاء الذين سبقوه فهو يأخذ عن الامام مالك، وسحنون ، وابن القاسم العتقي ، وغيرهم من فقهاء المالكية ، وكذلك يتعرض الى ماجاء عند الشافعي في كثير من المسائل .

---

9) عن هذه المناظرات أنظر = عبد المجيد التركي ، مناظرات في اصول الشريعة الاسلامية ، بين ابن حزم والباجي ، تعريب عبد الصابور شاهين ، مراجعة محمد عبد الحليم محمود ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، 1986 ط 1 .

10) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي ، فصول الاحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام ، تحقيق وتقديم محمد أبو الاجفان ، تونس ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985 ، ص 47 (مقدمة المحقق) . ٤٢٠٣٧٤

11) حمادي العبيدي ، ابن رشد الحفيد ، حياته ، علمه ، فقهه ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1984 ، ص 59 .

6) " جامع مسائل الاحكام مما نزل من القضايا للمفتيين والحكام" لابي القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني المعروف بالبرزلي (741/844هـ) (12) وهو من كبار الفقهاء المالكية بالمغرب وكان ينعت بشيخ الاسلام ، والجامع عبارة عن مجموعة من النوازل أثبتها في كتابه الذي يوجد الجزء الاول منه بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 1333 قسم المخطوطات .

والمنهج الذي اعتمده البرزلي في جامعه انه جمع عدد كبير من المسائل الفقهية بأسئلتها وأجوبتها ، ثم رتبها الى أبواب . وقد جاءت الاسئلة في البداية تتبعها الاجوبة . ولم يقتصر البرزلي على نقل المسائل الفقهية فقط بل يتدخل في كثير من الحالات شارحا ، ومعقبا ، كأن يقول ((قلت في المدونة كذا ...)) .

وعلى الرغم من أن البرزلي ، عاش في مرحلة تاريخية بعيدة عن البحث أي ما بين منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن التاسع الهجريين ، نجده قد أثبت في جامعه فتاوي كثيرة لكل من أبي زيد القيرواني ، والمازري ، [illegible] وغيرهما ، وهولاء وأمثالهم عاشوا خلال القرون التي يهتم بها البحث .

وأما عن مدى استفادتي من الجزء الاول ، فهي تتمثل في الحصول على معلومات عامة تتعلق بأهل الذمة بالمغرب الاسلامي كاللباس والسكن ، والتجارة مع المسلمين ، والصنائع التي يعمل بها اليهود ، وبعض القضايا الاجتماعية التي تهم اليهود في الاندلس والمغرب .

7) " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب" لاحمد بن يحي الونشريسي (834-914هـ)، وهو أفضل كتاب فتاوي قد عولت عليه كثيرا لانه يعد موسوعة فقهية احتوت فتاوي أهل المغرب الاسلامي بل ((يعتبر موسوعة حية للفقه المالكي)) (14) .

---

12) عن البرزلي ، راجع، بدر الدين القرافي ، توشيح الديباج وحلية الابتهاج ، تحقيق وتقديم أحمد الشتيوي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1983 ط1 ص 266 ، محمد بن محمد الاندلسي ، الوزير السراج ، الحلل السندسية في الاخبار التونسية ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ، تونس الدار التونسية للنشر ، 1970 ، القسم الثالث ، ص 705 وما بعدها ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب ابن مريم ، البستان في ذكر الاولياء والعلماء في تلمسان ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1986 ، ص 150 ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحيــــاة ، دون تاريخ ، ج 6 ، ص 133 و 189 ، خير الدين الزركلي ، الاعلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1980 ، ط 5 ، ج 5 ، ص 172 .

13) المازري : فقيه ومحدث مالكي توفي سنة 536هـ بالمهدية له شرح صحيح مسلم ، سماه " كتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم" و " كتاب ايضاح المحصول في برهان الاصول " أنظر ، محمد الشاذلي النيفر ، المازري " الفقيه والمتكلم وكتابه المعلم" تونس ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1982 .

14) أبو القاسم سعد الله ، التاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى القرن الرابع عشــــر الهجري ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981 ، ج 1 ، ص 124 .

وكتاب المعيار انتهج فيه الونشريسي منهج البرزلي في جامعه ، ويبدأ بباب نوازل الطهارة ، وينتهي بباب عن الاحكام العامة يحتوي مسائل كثيرة منها ((في بيان تواتر القرآن والفرق بين القرآن والقراءات)) واسئلة في التفسير وعلم التصوف .

وبما ان الونشريسي من علماء القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين فانه اعتمد على فقهاء عاشوا في المرحلة التي يغطيها البحث في كل أجزاء المغرب الاسلامي كابن ابي زيد القيرواني ، والمازري ، ويحي بن عمر صاحب ((أحكام السوق)) .

وقد اعتمدت عليه كثيرا في المسائل الاجتماعية التي تهم اليهود كالاعياد التي يحتفل بها اليهود ، وتبادل الهدايا بين المسلمين واليهود في الاعياد والمواسم ، والسكن واللباس ، وعلاقات المسلمين باليهود ، والصنائع التي اشتغل فيها اليهود ، وكذلك الدور الاقتصادي لليهود في المغرب الاسلامي ، وبعض الصنائع التي تحتكرها الجاليات اليهودية في الحواضر ، والمدن .

فالمعيار يحتوي على مسائل اجتماعية واقتصادية هامة يمكن للباحث أن يستفيد منها وهو ((عبارة عن التجارب المعاشة الموثقة وليس دراسة نظرية أو افتراضية لمسائل فقهية)) (15) . ولهذا نجد الفتاوي التي نقلها الونشريسي في ثنايا البحث كثيرة ، لانها تعتبر شواهد من العصر الذي ظهرت فيه هذه النوازل .

8) " الاحكام السلطانية والولايات الدينية " لعلي بن محمد حبيب البصري الماوردي (370/450 هـ) وهو من اشهر وأهم كتب الاحكام وأجل كتاب في هذا الموضوع ، اذ عول عليه كل من كتب في الخلافة وسياسة الملك .

وقد قسم المؤلف كتابه الى عشرين بابا ، استهله بالامامة ، والوزارة ، أما الباب الاخير فتحدث فيه عن احكام الحسبة .

وكتاب الماوردي يحتوي على جوانب هامة كثيرة استفدت منها في البحث اذ عولت كثيرا على الباب الاول في عقد الامامة ، وباب الوزارة حيث أنه لا يرى مانعا تقليد منصب الوزارة لذمي شريطة أن تكون وزارة تفويض . واقتبست من الباب الخاص بالجزية والخراج ، والباب الاخير في الحسبة .

---

15) نفسه ، ص 121 .

9) " احكام أهل الذمة " للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن ابي بكر ابن القيم الجوزية (691/751هـ) والكتاب يعالج القضايا المتعلقة بتنظيم الجاليات غير الاسلامية في دار الاسلام . وكتاب ابن القيم لا يعتبر الاوحد في بابه لانه لم يكن سباقا في دراسة اهل الذمة ، بل هناك من سبقه غير أن كتاب " أحكام أهل الذمة "((امتاز عن كل ما سبقه بالدقة والعمق والشمول، فكان أول كتاب جامع في بابه)) (16).

وقد بين ابن القيم الجوزية في كتابه مسألة الجزية بالتفصيل ، ومسألة الخراج ، وأحكام أهل الذمة في أموالهم ، ومعاملتهم عبد اللقاء ، وأحكام ذبائحهم، وأحكام معاملتهم بصورة شاملة وجامعة ، وأحكام زواج أهل الذمة ، وأحكام المواريث، وأحكام الاطفال الذميين والشروط العمرية وأحكامها ، وموجباتها .

اعتمدت تقريبا على كل الابواب في هذا الكتاب الهام والشامل عن أهل الذمة ، والكتاب يوضح حقيقة مدى الحرية التي تتمتع بها الجاليات غير الاسلامية في دار الاسلام ، اذ حافظت على حريتها ، وكرامتها ، اذا لم تطعن في الدين الاسلامي وحرمته ، ولا تضر بمصالح المسلمين ، واهتمام المسلمين بأهل الذمة مسألة معروفة لدى الجميع على الرغم من الصورة القاتمة التي يريد يصورها بعض رجال الاستشراق (17). اذ يندر أن يخلو كتاب في الفقه من مسألة التعرض لاهل الذمة وحقوقهم وواجباتهم .

10) " كتاب الولايات" لاحمد بن يحي الونشريسي صاحب المعيار الذي يتضمن الحديث عن مناصب الحكومة الاسلامية والخطط الشرعية . اعتمد الونشريسي في كتابه على الماوردي ، وقسم الكتاب الى قسمين ، الاول يهتم بالخلافة والامامة العظمى ، والوزارة ، والقضاء ، والشرطة ، وولاية الامارة على البلاد وولاية الامارة على الجهاد ، وولاية المظالم ، وولاية الحسبة والسوق، وبعض الخطط الاخرى الاقل أهمية . أما القسم الثاني فقد خصصه للقضاء .

---

16) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة ، تحقيق وتعليق الدكتور صبحي الصالح ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1983 ، ط 3، ج 1، مقدمة المحقق ص 6 .

17) أنظر مثلا :

ANTOINE FATTAL, le Statut des non musulmans en pays d'Islam, Beyrouth, imprimerie Catholique, 1958, Ch. E. DUFOUREQ, La vie quotidienne dans l'Europe médievale sous domination Arabe, Paris, Hachette, 1978.

ZZ ـ كتب الحسبة :

تعتبر كتب الحسبة ذات أهمية لدراسة التاريخ الاسلامي ،فهي تبرز حياة المجتمع في المدن ، وتبين من الناحية الاجتماعية المشكلات التي ظهرت في المجتمع الاسلامي ((مما أدى الى التفنن في الغش والكسب بالمهن الخسيسة والشعوذة والاحتيال)) (18). لذلك فهي تحتوي على نقد للمجتمع (19) والطريقة الناجعة لدرء المفاسد في اطار الشرع الاسلامي . ومن أهم كتب الحسبة العلمية التي عولت عليها في هذا البحث:

11) "أحكام السوق" ليحي بن عمر (213/289 هـ) وهو من كتب فروع الحسبة الهامة في بابه ((حيث أنه وصل الى درجة ملحوظة في التحري والدقة)) (20). وتكمن أهمية " أحكام السوق " في أنه يبين حياة أهل الذمة في المجتمع الاسلامي بمدينة القيروان اذ أن هؤلاء قد تشبهوا بالمسلمين في لباسهم،كما يبرز الاعمال التي كان يقوم بها بعضهم في أسواق مدينة القيروان .

ويتحدث يحي بن عمر عن مسائل قد حدثت في الاسواق بحكم الوظيفة التي تصدرها وهي وظيفة القضاء ، اذ عاش هذه الاحداث وعاصرها في المغرب، لذلك نجد كتابه يدخل ضمن كتب الحسبة العملية ، لانه لم ينطلق من الفكر النظري البحت كالماوردي والغزالي وابن تيمية وابن قيم الجوزية والقلقشندي (21).

12) "كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة" لعبد الرحمن بن نصر الشيزري المتوفي سنة 589 هـ/1193م، وعلى ما يبدو وحسب اتفاق الكثير ممن كتبوا عن الحسبة أنه أقدم كتاب في هذا الباب (22).

---

18) عبد الحميد العبادي ، صور وبحوث من التاريخ الاسلامي ،عصر الدولة العباسية والمغرب والاندلس، القاهرة ،مكتبة الانجلو المصرية ، 1953 ط 1 ،ص 119 ، وللتعرف على أهمية كتب الحسبة أنظر ،سيدة اسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه ،بيروت ،دار الرائد العربي 1983 ، ص 104 .

19) نفسه ،ص 119 .

20) موسى لقبال ،الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1971 ، ط 1 ،ص 45 .

21) نفسه ، ص 25 .

22) نقولا زيادة ، الحسبة والمحتسب في الاسلام ،بيروت ، المطبعة الكاثوليكية، 1963 ، ص 50 ،لقبال ،الحسبة ، ص 25 ، عبد الرحمن بن نصر الشيزري ، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ،تحقيق ومراجعة السيد / الباز العريني ، بيروت ،دار الثقافة ، 1969 ،ط 2 ،مقدمة المحقق ، ص

ويرجع الاستاذ عبد الحميد العبادي بأن المؤلف وضع كتابه بطلب من صلاح الدين الايوبي ، لمراقبة أرباب المهن والصناعات وأهل الذمة الذين كانوا يؤيدون الفاطميين (23).

ويحتوي " كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة " على أربعين بابا استفدت من الباب التاسع والثلاثين المتضمن " في الحسبة على أهل الذمة " حيث يوضح صحة عقد الذمة وشروطها . وقد احتوى الكتاب معلومات هامة تتعلق بالذمي كدفع الجزيـــة، واللبـــاس، والمسكن ، وبعض القضايا الاجتماعية التي يجب على المحتسب أن يطبقها على الذمي .

وعلى الرغم من أن الكتاب الف في المشرق الاسلامي ، فان معاملة أهـــل الذمـــة لا تختلف نظريا كثيرا عن معاملتهم في المغرب ، لذلك يعد الكتاب مكملا لما كتب عنهم في المغرب الاسلامي .

13) " معالم القربة في أحكام الحسبة " لمحمد بن محمد بن أحمـــد القرشي المعروف بابن الاخوة (المتوفي سنة 729 هـ/1328م) اعتمد المؤلـــف كثيرا على كتاب الشيزري مضيفا اليه مسائل كثيرة (24). والمهم هنا ان المصنف شافعي المذهب وقد خصصه لمن يتصدر منصب المحتسب ليستفيد منه ، معتمدا في نصوصه على أقوال العلماء ، ومستندا على الاحاديث النبوية ، ويتوزع الكتاب على سبعين بابا . استفدت منه في هذا البحث من الباب الرابع " في الحسبـــة على اهل الذمة " وبالمقارنة مع مثيلتها كتـــــابه الشيزري في هذا البـــاب فان ابن الاخوة توسع أكثر من حيث المحتوى . وقد يفهم من ذلك تطاول أهـــل الذمة على المسلمين ، حيث استهل الباب بقوله ((أعلم ان التساهل مع أهـــل الذمة في أصـــول الدين خطر عظيم ...)) (25) فهذا التحذير يوضح خروج أهل الذمة عن قواعـــد العهدة العمرية ، فيتدخل ابن الاخوة لاعادة النظر في هذه المسألة بقوله ((يجب على المحتسب النظر في أهل الذمة وأن يلزمهـــم بما هو مشروط عليهم وبما التزموه على أنفسهم من قديم الزمان ولا يرخص لهـــم في ترك شيء منه قولا ولا فعلا ويلزمهم بما كتبوه لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنـــه)) (26).

---

23) العبادي ، صور وبحوث من التاريخ الاسلامي ، ص 117 .

24) نقولا زيادة ، الحسبة والمحتسب ، ص 51، لقبال ، الحسبة، ص 26 العبادي ، صور وبحوث، ص 113 .

25) محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الاخوة ، معالم القربة فـــي أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه ، روبن ليوى ، كمبردج ، مطبعـــة دار الفنون، 1937، ص 38.

26) نفســـه ، ص 40.

ومجمل القول لا يخرج هذا الباب المعقود لاهل الذمة عن بقية كتب الحسبة الاخرى المغربية أو المشرقية في مسألة التشدد ازاء اليهود والنصارى حتى لا تتضرر مصالح المسلمين مع عدم اغفال حقوقهم كأقليات تعيش داخل المجتمع الاسلامي .

14) " كتاب التيسير في أحكام التسعير" لاحمد سعيد المجيلدي (المتوفي سنة 1094 هـ/ 1683م) فعلى الرغم من العصر الذي عاش فيه المؤلف لا يدخل في الاطار الزمني للبحث ، فاني اعتمدت عليه في الباب التاسع الذي يحمل عنوان " في حكم الاختلاط المسلمين في اسواقهم مع أهل الذمة وا لتشبه بهم في زيهم " لانه استفاد من أخبار القاضي يحي بن عمر صاحب " أحكام السوق " في مسألة اختلاط المسلمين بأهل الذمة في الاسواق والتزيي بلباس المسلمين ، وهذا ماجاء طبقا للمعلومات التي نجدها في " أحكام السوق " (27).

واستفدت من كشف المصطلحات الذي وضعه الدكتور موسى اقبال في آخر الكتاب كملحق، حيث شرح مثلا مصطلح " الزنار" الذي يتخذه أهل الذمة في أوساطهم كعلامة مميزة .

III – كتب الجغرافيا والرحلات :

اهتم المسلمون بالجغرافيا اهتماما خاصا (28) ، وقد احتوت الكتب الجغرافية وكتب الرحلات معلومات زاخرة عن الحياة في المدن والامصار الاسلامية وغير الاسلامية لذلك تعتبر هذه المؤلفات مصادر هامة لكتابة التاريخ . ومن أهم المؤلفات التي اعتمدت عليها :

15) " المسالك والممالك " لابي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (المتوفي في حدود 300 هـ/ 920م) وكتابه هذا أول من حمل هذا الاسم (29).

---

27) ونقل الونشريسي هذه المعلومات في معياره ، أنظر، أحمد بن يحيى الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب ، خرجه جماعة من العلماء باشراف الدكتور محمد حجي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1981 ، ج 6 ، ص، 69، 406، 407 .

28) عن اهتمام المسلمين بالجغرافيا ، راجع ، جمال الفندي ، الجغرافيا عند المسلمين ، كتب دائرة المعارف الاسلامية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ومكتبة [illegible]

29 [illegible]

اشتغل ابن خرداذبة عاملا في البريد في منطقة فارس، وقد استفاد من عمله في جمع عدد كبير من المعلومات عن الاقاليم البعيدة ، فظهر كتابه زاخرا بالمعلومات عن الخراج وتحدث عن المسافات بين المدن وطرقها (30) وقد استفاد صاحب " المسالك والممالك " من الجغرافي اليوناني بطليموس وهو ما يؤكده في مقدمة كتابه بقوله ((فوجدت بطليموس* قد أبان الحدود وأوضح الحجة في صفتها بلغة أعجمية فنقلتها عن لغته باللغة الصحيحة لتقف عليها ...)) (31).

وقد استفدت من هذا الكتاب ، فيما يخص اليهود الراذانية الذين يحسنون لغات عديدة ويتنقلون ما بين الشرق والغرب ، ونوعية السلع التي يقومون بنقلها من منطقة الى أخرى ، وهو أول من تحدث عن هؤلاء التجار ، وأوضح المسالك التي تعتمد عليها تجارتهم .

16) " المسالك والممالك " لابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي (المتوفي سنة 350 هـ/961م) (32)، وقد زود الاصطخري كتابه بمجموعة من الخرائط معتمدا على نفس النظام الذي سلكه البلخي (33). واعتمد في كتابه على المشاهدة ، والرواية . وكان الاصطخري قد حاول أن يرسم خطة منهجية مدروسة يسير عليها ، وبالمقارنة مع عصره يعتبر الاصطخري دقيقا في معلوماته فهو يتحرى الحقائق الصحيحة المقبولة والمعقولة بحيث يرفض الخرافات (34).

واستفدت من كتاب الاصطخري في الباب الذي خصصه للمغرب الموسوم " ديار المغرب" وتوجد به مادة ذات فائدة عن مملكة الخزر اليهودية اذ تحدث عن تعدد الشرائح الاجتماعية بالعاصمة " أتل " والديانات الاخرى التي يدين بها السكان ، وعلاقة اليهود بالمسلمين .

17) " صورة الارض" لابي القاسم بن حوقل النصبي (المتوفي 380هـ/990م) والذي سجل فيه رحلته ، التي بدأت سنة 331 هـ/ 943م وذلك لدراسة الممالك والبلدان ، وطلبا للارتزاق من التجارة ، وانتهت رحلته الي دامت حوالي ثلاثين سنة ، بعد ان زار الديار الاسلامية في المشرق و المغرب، وزار مناطق من أوربا كبلاد البلغار (35).

---

30) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1981 ، ص 185 .

* هكذا في النص المطبوع .

31) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، بغداد ، مكتبة المثنى ، دون تاريخ ، ص 3

32) ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، المعروف بالكرخي ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ومراجعة محمد شفيق غربال ، القاهرة ، دار القلم، 1958 ، مقدمة المحقق، ص 9 .

33) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون، ص 189 .

34) الاصطخري ، المسالك والممالك ، مقدمة المحقق ، ص 9 .

35) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون ، ص 190 .

اعتمد ابن حوقل على المشاهدة والمعاينة، وعلى كتب كل من الاصطخري وابن خرداذبة، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير السامانيين (36).

ومادة ابن حوقل أغزر وأدق من المعلومات التي تركها الاصطخري، إذ توسع في المادة التي دونها خلال زيارته للمغرب .. وفي القسم المغربي توجد اشارات عن أهل الذمة في بعض المدن المغربية كمدينة قابس التي يقول عنها : ((وبها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود)) (37). كما سجل مادة عن برغواطة وأخبارها ، وانفرد ابن حوقل بنصيب من الموضوعية حيث لم يلاحظ ما سجله المؤرخون والجغرافيون من فساد عقيدة برغواطة، بل نجده قد أثنى عليها، وهو مالم نجده في المصادر الاخرى.

18) " المسالك والممالك " لابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (المتوفى سنة 487 هـ/ 1094 م) والذي نشر جزء منه تحت عنوان ((المغرب في ذكر افريقية والمغرب)) ويعتبر هذا المؤلف من أهم الكتب الجغرافية التي تناولت المغرب، اتساعا وشمولا على الرغم من أنه لم يغادر الاندلس، إذ اعتمد في تأليفه على الجمع والتصنيف (38) حيث استفاد ممن سبقوه أمثال " ابن الوراق " (39) وابراهيم بن يعقوب الطرطوشي (40).

وقد استفدت من كتاب البكري كثيرا خاصة فيما يتعلق بمراكز اليهود في العديد من المدن المغربية، والمهن التي يعملون بها، اضافة الى المعلومات التي سجلها عن دولة برغواطة حيث أطلب في الحديث عنها، وروايته عنها تعتبر أقدم رواية وصلتنا، نقلها عنه المؤرخون الذين جاؤوا بعده.

---

36) نفسه، ص 191.

37) ابو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الارض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1979، ص 72.

38) أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955، ط 1، ص 310.

39) هو محمد بن يوسف الوراق المتوفى سنة 363 هـ/ 973 م عاش في مدينتي القيروان وقرطبة، الف كتابا في وصف المغرب بعنوان " مسالك افريقية وممالكها " للحكم المستنصر، راجع، أبو عبد الله محمد بن ابي نصر الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تحقيق وتقديم، إبراهيم الابياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983، ط 2، ص 158، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968، ج 3، ص 163 بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص 309.

40) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا من كتاب " المسالك والممالك " تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الارشاد، 1965، ط 1، ص 155، 170، 177، 178، 179.

19) "كتاب الجغرافية" لابي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، المتوفى في أواسط القرن السادس الهجري / أواسط القرن الثاني عشر للميلاد، وهو من معاصري الادريسي وأبي حامد الغرناطي (41).

اعتمدت على كتاب الزهري في تحقيق بعض المدن المغربية، والمعلومات التي تتعلق باقتصاديات الامصار والبوادي بالمغرب والاندلس، وهي معلومات مكملة لما جاء في الكتب الجغرافية الاخرى.

20) "نزهة المشتاق في اختراق الافاق" للشريف الادريسي (42) المتوفى عام 564 هـ / 1160م، نشر الكتاب عدة نشرات، ويحتوي على مادة طيبة في وصف أحوال البلاد وأرضها، والمسافات، والناس والصداعات التي يعملون بها، وملله، ومذاهبهم، وملابسهم، ولغاتهم.

وقد افادني في التعرف على مراكز اقامة اليهود في المغرب، والاعمال التي كانوا يقومون بها في هذه الديار، وحالتهم الاجتماعية والاقتصادية خاصة المدن الاندلسية، ويحتوي على شذرات من أخبار اليهود في العهد المرابطي وعلاقتهم بالسلطة.

21) "معجم البلدان" لياقوت الحموي توفي (626 هـ/1228م)، شمل هذا المصنف جغرافية العالم معتمدا على المشاهدة، اذ زار العالم الاسلامي للتجارة، واعتمد كذلك على النقل من المصادر المعروفة حيث نسب ما أخذه عن الاخرين الى صاحبه (44).

وقد احتوى "معجم البلدان" مادة غزيرة عن المغرب ومدنه، فاستفدت من المعلومات التي ذكرها عن اليهود في المغرب، وكذا بعض الاحداث التاريخية التي نجدها في ثنايا الحديث عن الامصار المغربية.

---

41) أبو عبد الله بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق.
Bulletin d'études orientales, Institut Français de Damas, T XXI, 1968
القسم العربي، مقدمة المحقق، ص 308.

42) عن الادريسي، راجع، محمد عبد الغني حسن، الشريف الادريسي، أشهر جغرافي العرب والاسلام، القاهرة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، سلسلة أعلام العرب، رقم 97، 1971.

43) كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، القسم الاول، ص 332.

44) نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1962، ص 63.

22) " آثار البلاد وأخبار العباد " لزكريا بن محمد القزويني (ت 682هـ/ 1283م) وصف القزويني أقاليم الارض حسب التقسيم البطليموسي ، معتمدا على ممن سبقوه أمثال الغرناطي ، والعذري ، وابراهيم الطرطوشي (45) وياقوت الحموي (46).

استفدت من الاشارات الهامة التي جاءت عن اليهود – في هذا الكتاب – حينما تطرق للمدن المغربية اذ من خلالها يمكن تأكيد بعض الحقائق التي نجدها في المصادر الجغرافية حيث أشار الى المدن التي تتركز بها الجاليات اليهودية وبعض عاداتهم ، ومهنهم ، وعلاقتهم بالمسلمين ، كما يتضمن المؤلف مادة تخص اليهود لما دون المعلومات التي استطاع التحصل عليها عن بلاد الخزر.

23) " الروض المعطار في خبر الاقطار " لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت بعد 866 هـ/) يحتوي على مادة جغرافية جيدة للعالم ، ولم يقتصر الحميري على ذكر الاماكن ووصفها ، بل نجده يتوسع في ذكر الحوادث التاريخية الهامة .

ومعلومات الحميري منقولة عن البكري ، والادريسي ، لذلك فهي ذات فائدة اذا علمنا انهما يغطيان المرحلة التي يهتم بها البحث فالاشارات عن الجاليات اليهودية بالمغرب عديدة ومهمة على الرغم من اقتضابها .

24) " وصف أفريقيا " للحسن الوازن المعروف بليون الافريقي (ت بعد عام 957 هـ/ 1550م)، خصص الوزان كتابة الجغرافية افريقيا العامة، ومناخها، وخصائص شعوبها وأخلاقهم (47) .

وفي هذا الكتاب اشارات الى مواضع اليهود (48) والى اعمالهم ، وبعض عاداتهم، وأخلاقهم ، تسمح بتكوين فكرة عن التطورات والتغيرات التي طرأت على الجاليات اليهودية ، اضافة الى ذلك المعلومات الهامة المنبثقة عن الملاحظة والمشاهدة والمعاينة لاقليم تامسنا معقل برغواطة .

---

45) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون ، ص 188 .

46) كنيراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، القسم الاول ، ص 365 .

47) الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1983، ط 2 ، المقدمة ص 15 .

48) نفسه ج 1 ، ص 67، 84 ، 88، 98، 99، 101، 105، 106، 111، 117، 119 ، 140 ، 142 ، 147، 154، 158، 164، 176، 178، 183، 185، 273، 326.

IV — كتب الطبقات والتراجـــم :

من الوثائق التاريخية الهامة كتب الطبقات ((التي تعد مصدرا اساسيـــا من مصادر التاريخ الاسلامي ، ولكن ليس لما تقدمه لنا من معلومات عن الحياة الدينية والفكرية في المجتمع الاسلامي في عصر من عصوره فحسب ، بل لما تحتوي عليه أيضا من مادة ذات طابع اقتصادي واجتماعي قلما هدف اليها المـــؤلف، وهي مادة ذات أهمية بالغة اليوم)) (49) . والكتب التي عولت عليها في البحث كثيرة ومتنوعـــة أهمهـــــا :

25) " طبقات علماء افريقية وتونس" لابي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333 هـ/ 944م)، وقد استخلصت منه معلومات قيمة عن مدينـــة القيروان والجالية اليهودية بها ، من حيث المسكن ، واللباس ولاعمال التجاريـــة، وعلاقات اليهود بالمسلمين .

26) " رياض النفوس " للمالكي (ت خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد) ، من أهم كتب الطبقات التي تغطي منطقة افريقية، استفدت منه في العديد من مواضعه خاصة مسألة ديانة الكاهنة التي كتب وقيل عنها الكثيـــــر غير أن المالكي يوضح بصورة قاطعة عدم يهوديتها ، اذ يورد بأنها كانت تحمـــل صنما عظيما من خشب كانت تعبده (50) وهذه الرواية ينفرد بها المالكي دون غيـــره . كما عولت على هذا الكتاب في التعرف على مكانة اليهود في المجتمع القيرواني وغير ذلك من الاخبار المقتضبة عن بعض وجهاء القوم من اليهـــــود كالطبيب موسى بن العازار الذي خدم المنصور والمعز لدين الله الفاطمي .

27) " ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالـــــك " للقاضي عياض السبتي (ت 544 هـ/1149م) الذي الفه صاحبه انتصارا لمذهب مالك ، وتخليدا لرجاله ، وقد افادني في الكثير من الاشارات التي يتحدث فيها عن اليهود عـــرضا في المغرب كالرحادثة في مدينة القيروان ، وتمييز اليهود والنصارى عن بقية السكان المسلمين في اللباس (51) وقد جاءت هذه المعلومات مـــؤكدة ما جـــاء لدى المالكي في " رياض النفوس " .

---

49) الحبيب الجنحاني ، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، بيروت ، دار الطليعة ، 1980 ، ط1 ، ص91 ، وانظر، طريف الخالدي ، دراسات في تاريخ الفكر العربي الاسلامي ، بيروت ، دار الطليعـــة، 1979 ، ط 2 بحث " مدخل الى كتـــب الطبقات والسير" ص84، 99 .

50) أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمـــد العروسي المطوي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1981، ج 1 ، ص 54 .

51) عياض ، ترتيب المدارك ، ج 2 ، ص 304 .

28) " معالم الايمان في معرفة اهل القيروان " لابي زيد عبد الرحمن ابن محمد الانصاري الاسدي المعروف بالدباغ (605 هـ/1208م)(699 هـ/ 1299م) (52).

يحتوي هذا المصنف على اشارات كثيرة للجالية اليهودية بالمغرب الاسلامي كفئة الرهادنة الذين لهم سوق في مدينة القيروان ، وبعض الاشارات المتفرقة كأخبار الطبيب ابن عطاء وما حدث له لما حضر بين ايدي الشيخ ابي عمران موسى الفاسي (53). ويحتوي الكتاب اخبار احد اليهود سب النبي وموقف الشيخ الفاسي من القضية . وأكمل المعالم ابن ناجي (54) وعلق عليه تعليقات عامة زادت من قيمته التاريخية .

29) " طبقات المشايخ " للشيخ ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني المتوفى حوالي 670هـ/1271م) من أهم الكتب الاباضية ألفه كي يطلع عليه أهل عمان والتعرف على سير اسلافهم (55). ينقسم الكتاب الى قسمين ، فالاول هو عبارة عن تهذيب لسير ابي زكرياء ، والثاني تراجم لاهل المذهب بالمغرب اذ ((يعطينا صورة اجمالية عن رجال الاباضية الى حدود القرن السابع)) (56) للهجرة .

وقد استفدت من الجزأين للتعرف على بعض المناطق التي استقر بها اليهود ، وبعض المهن التي يتعاطونها بجبل نفوسة ، وسكن اليهود بجانب منازل المسلمين . وعلى الرغم من ان هذه الاخبار قصيرة ومقتضبة جاءت عرضا ، الا انها ذات أهمية بالنسبة للبحث ، وهي في الوقت نفسه ، تؤكد حقائق نجدها في كتب أخرى تاريخية وجغرافية .

IV - كتب التاريخ والادب والثقافة العامة :

وتناولت كتب التاريخ والادب والثقافة العامة أخبار اليهود بصورة مقتضبة جدا في كثير من الاحيان ، لان الحديث عن هؤلاء ليس المقصود في حد ذاته وانما جاءت في ثنايا ذكر الحوادث التي لها علاقة بالمجتمعات الاسلامية .

---

52) عن الدباغ ، راجع محمد بن جابر الوادي آشي ، برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1981 ، ط 2 ، ص 60 ، 61
محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية لطبقات المالكية ، بيروت ، دار الكتاب المغربي ، ج 1 ، ص 193 .

53) الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3 ، ص 161 .

54) القرافي ، توشيح الدباج ، ص 266 ، 267 .

55) الجنحاجي ، دراسات مغربية ، ص 100 ، بحاز ، الدولة الرستمية ، المقدمة ، ص 29 .

56) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج 1 ، مقدمة المحقق ، ص (ن)) .

وهذه الشذرات على الرغم من اقتضابها قد اوضحت الكثير من المسائل المتعلقة بالبحث وأهم هذه الكتب :

30) " فتوح افريقية والاندلس " لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (187هـ/803م ـ 257هـ / 871م) ويعد الكتاب اقدم رواية عن الفتح الاسلامي للمغرب (57) ومن هنا تكمن أهمية الكتاب. وكانت استفادتي كبيرة من هذا المؤلف ، حيث تعرفت من خلاله على العناصر السكانية التي كانت مستقرة بالمغرب ، والجاليات الاسلامية التي تواجدت أثناء الفتح . وابن عبد الحكم لم يتحدث عن اليهود تماما اثناء سرده لاحداث الفتح . فذكر الافارقة ، والنصارى ، والجزية ، وأهل الذمة ، دون الاشارة الى اليهود مما يبين قلة العنصر اليهودي .

وقد اشار ابن الحكم الى الكاهنة ، ولم يقل بيهوديتها ، مثلما اشار الى ذلك بعض المؤرخين الذين جاؤا بعده . وان تميز هذا الكتاب بعدم ذكر العنصر اليهودي ، فهو قد ساعدني في الحوادث التاريخية ، للقيام بمقارنة مع بقية المصادر التاريخية الاخرى ، للوصول الى اقرب حقيقة ممكنة للاحداث.

31) " فتوح البلدان " لابي العباس أحمد بن يحي البلاذري (ت279هـ 892م) ، ساعدني على تكوين فكرة عن حالة المغرب أثناء الفتح ، وطريقة معاملة المسلمين لاهله ، والغزوات المتلاحقة التي قام بها المسلمون ، لدعم ركائز الدين الاسلامي في هذه الديار . ولما تحدث البلاذري عن عملية الفتح بالمغرب لم يذكر العناصر اليهودية التي يمكن ان تتواجد بالمنطقة ، كما انه لم يشر الى يهودية الكاهنة لا من قريب أو من بعيد ، مما يدل على ان هذه النسبة لليهود جاءت متأخرة . وبين ثنايا النص نجد اشارة الى أصل السكان المغاربة وموطنهم الاصلي فلسطين (58).

---

57) انظر ، سعد زغلول عبد الحميد ((فتوح المغرب والاندلس في رواية ابن عبد الحكم)) ضمن كتاب " دراسات عن ابن عبد الحكم " القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 ، ص 160 .

58) قال البلاذري : ((وحدثني بكر ابن الهيثم ، قال : سألت عبد الله بن صالح عن البربر ، فقال : هم يزعمون أنهم ولد بر بن قيس وما جعل الله لقيس ولدا يقال له بر وانما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام وكانت منازلهم على ايادي الدهر فلسطين وهم أهل عمود فاتوا المغرب فتناسلوا به)) أبو الحسن البلاذري ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1983 ، ص 226 .

32) " كتاب سير الائمة وأخبارهم " لابي زكريا يحي بن ابي جابر (ت 471 هـ / 1078 م) من أهم كتب التاريخ الاباضية ، اعتمد عليه الدرجيني في طبقاته ، طبع عدة طبعات . يحتوي بعض اخبار اليهود القصيرة التي تدل على تواجدهم بالمغرب بعد الفتح الاسلامي ، كمدينة زويلة حيث ناظر أبو نوح يهودي في مجلس والي المدينة ابن خطاب ، وبحضور عبد الله بن زرزتين الوسياني (59).

33) " اخبار مجموعة في فتح الاندلس " لمجهول (من أهل القرن الرابع أو الخامس الهجري) ، استفدت منه في العديد من المواضع فهو يحتوي على اخبار هامة تتعلق باليهود ، كوجودهم في الكثير من المدن الاندلسية ، ولم يكتفي بذكرهم فقط ، بل أوضح كيف أن المسلمين اذا فتحوا مدينة ضموهم اليهم وتعاونوا معهم ، وتركوهم حراسا مع طائفة من المسلمين ، ثم يتقدمون لاتمام عملية الفتح (60). وهذه المواقف تبين مدى التسامح الاسلامي مع اليهود وتمسك المسلمين بالقيم الانسانية العالية المستمدة من الشريعة .

34) " رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي " لابن حزم الظاهري (ت 456 هـ / 1063 م) وهي واحدة من الرسائل الكثيرة التي نشرها وحققها الدكتور احسان عباس وهي رسالة عظيمة الاهمية توضح ما وصل اليه اليهود من القوة والعظمة والغطرسة خلال القرن الخامس للهجرة في عهد وزارة ابن النغريلة . كما تبرز أهمية الصراع الديني والفكري الحادين بين المسلمين واليهود ، وذلك الجدل العميق والخطير بين أحدي أساطين الفكر في الاندلس ، ولا يمكن أن نرى في هذه الرسالة مناظرة فردية بين مسلم ويهودي للدفاع عن آرائهما الشخصية ، وانما تمثل الصراع الحاد والعنيف بين الديانتين الاسلامية واليهودية . وتبرز الرسالة المستوى الثقافي الذي وصل اليه يهود الاندلس من امتلاك ناصية اللغة العربية اذ يعد ابن نغريلة من شعرائها البارزين (61). وابن حزم تصدى للدفاع عن الاسلام والمسلمين وله مع اليهود وغيرهم مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة (62).

35) " الفصل في الملل والاهواء والنحل " لابن حزم ، تناول في هذه الموسوعة الدينية بالدراسة الاديان والمذاهب والفرق الدينية المختلفة ، وقام بمقارنة بعضها بالبعض الآخر ، فاستحق لقب مؤسس علم الاديان المقارن .

---

59) أنظر ترجمته لدى الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج 2 ، ص 395 وما يليها .
60) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الاندلس ، ص 22 ، 23 ، 25 .
61) كان اسماعيل ابن نغريلة ، شاعرا ، وله ديوان ، قيل انه نظم أكثر من الف وسبعمائة مقطوعة وقصيدة وتناول في شعره الاغراض الدينية والدنيوية ، أنظر ، احسان عباس ، مقدمة رسائل ابن حزم الاندلسي ، ج 3 ، ص 10 .
62) ابن بسام ، الذخيرة ، مجلد 1 ، قسم 1 ، ص 170 .

استفدت من هذه الموسوعة الضخمة من الباب الخاص باليهود ((فصل في متناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراة ، وفي سائر كتبهم وفي الاناجيل الاربعة يتيقن بذلك تحريفها وتبديلها وأنها غير الذي انزل الله عز وجل)). ففي هذا الفصل يوضح ابن حزم التداقضات التي توجد في الكتب اليهودية ، والاكاذيب الصارخة التي تحتويها ، ليصل في النهاية الى نتيجة مفادها ، ان الكتب التي بأيدي اليهود هي كتب مزورة ومحرفة وموضوعة من اكابر اليهود (63).

36) " طوق الحمامة في الالفة والالاف " لابن حزم، والذي الفه سنة 410 هـ / 1019 م ، فان كان طابع الحب في صفاته ومعانيه هو المحور الرئيسي للكتاب، فان الرسالة تمج بالاخبار الادبية والتاريخية في الاندلس خلال القرن الخامس للهجرة . وقد استفدت من الكتاب خبر علاقة ابن حزم باسماعيل بن يونس الطبيب الاسرائيلي، وجلوسه في دكانه بالمرية . وبقدر ما كانت لابن حزم مناظرات ساخنة مع اليهود خاصة ابن التغريلة ، فقد كانت مع بعضهم جلسات هادئة أخوية يستشف منها الروح الانسانية في اسمى معانيها .

37) " الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة " لابي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542 هـ / 1147م) (64)، وهي موسوعة أدبية وتاريخية ضخمة . قسم المؤلف كتابه الى أربعة أقسام خص الاول قرطبة وما جاورها من بلاد الاندلس مع ذكر الاعيان الذين اختارهم من رجال القلم والسيف والسيادة . والقسم الثاني تناول فيه ذكرى غرب الاندلس وحضرة اشبيلية . والقسم الثالث شرق الاندلس ، اما الرابع والاخير فذكر فيه الواردين على الجزيرة الاندلسية من المغرب أو المشرق (65). وقد بدأ تأليفه بمدينة قرطبة سنة 493هـ/1100 م) حيث تجاوزت هذه المدة أربعة سنوات (66). وهذه الموسوعة تحتوي على أخبار كثيرة عن اليهود بالاندلس وأهم رجالهم كابن تغريلة الوزير ، وابن حسداي الشاعر ، ويوسف بن اسحاق الاسرائيلي احد تلاميذ ابن شهيد النجباء (67). وأورد بعض الابيات الشعرية لابي الحسين يوسف بن الجد يصور فيها نقمته على تحكم اليهود أثناء الدولة الزيرية بغرناطة (68) وتطاولهم على المسلمين .

---

63) ابن حزم ، الفصل ، ج 1 ، ص 329 .

64) عن المؤلف ومحتوى الكتاب ، انظر ، حسين يوسف حسين خربوش ، ابن بسام وكتابه الذخيرة ، عمان ، الاردن ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، 1984 .

65) ابن بسام ، الذخيرة ، م1 ، ق 1 ، ص 22 ـ 32 .

66) أمين توفيق الطيبي ، ((كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542هـ/1147م) لمحة عن الكتاب وتاريخ التأليف)) ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس ص 254 .

67) ابن بسام ، الذخيرة ، م 1 ، ق 1 ، ص 233 .

68) نفسه ، م 2 ، ق 2 ، ص 562 .

38) " كتاب التبيان " للامير عبد الله بن بلقين سليل أسرة بني زيري وآخر أمرائها (حكم ما بين 465 هـ - 483 هـ/1072-1090 م) نقل كتاب " التبيان " صورة من الداخل عن الاوضاع التي سادت قصور الامراء الزيريين وأوضح الاسباب التي أدت بهم لاتخاذ وزراء من اليهود (69). وصور عبد الله عائلة ابن نغريلة أحسن تصوير ، بحيث سجل ما يعرفه عن يوسف ، وابنه اسماعيل ، وأوضح المؤامرات التي قام بها هذا الاخير لتدعيم سلطته وما وصل اليه من تجبر وقساوة ، وتمنت أدت كلها في النهاية الى الثورة المعروفة وقتله . لكل ذلك يعتبر "التبيان" أهم مصدر تاريخي عاصر أحداث غرناطة خلال الحكم الزيري .

39) " تاريخ المن بالامامة على المستضعفين " لعبد الملك بن صاحب الصلاة (ت 594هـ/1198م) استفدت منه في أخبار اليهود الاسلاميين وحليفهم ابن دهمي ، وكيف تعامل مع ابن ممشك - الثائر على الموحدين - للدخول الى مدينة غرناطة واحتلالها سنة 557هـ/1161م . فان كان هذا الحدث التاريخي هاما في حد ذاته بالنسبة لتعاون اليهود مع الثائرين فهذا الحدث يبرز لنا مواقف اليهود في أحد أجزاء المغرب الاسلامي اذ يتظاهرون بالاسلام كلما دعت الحاجة أو الضرورة الى ذلك ، الشيء الذي يجعلنا نتعرف على احدى صور النفاق المتعددة لهؤلاء القوم .

40)" المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لابي محمد عبد الرحمن علي محي الدين عبد الواحد المراكشي (ولد سنة 581هـ/1185م) الذي انتهى منه سنة 621 هـ/1224م فهو يحتوي على أخبار اليهود في عهد الموحدين خاصة لما فرض المنصور عليهم لباسا مميزا عن المسلمين ، ومدى شكوك الامير الموحدي حول الاسلام الحقيقي لمن أعلن اسلامه من اليهود . فالموقف الذي اتخذه الرجل لم يكن الا موقفا وقائيا من الاخطار التي تهدد المسلمين في عقر دارهم .

---

69) أمين توفيق الطيبي ((الامير عبد الله بن بلقين)) آخر امراء بني زيري في غرناطة وكتابه " التبيان " ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس ، ص 200 .

41) " أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم " لابي عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت 626هـ/1228م) طبع هذا الكتاب عدة طبعات. تجد به شذرات عن اليهود، وخاصة المكانة والحضوة التي تمتع بها بعضهم لدى خلفاء الدولة الفاطمية في بدايتها بالمغرب على عهد عبيد الله المهدي حيث اتخذ من اسحاق الاسرائيلي طبيبا له.

42) " الكامل في التاريخ " لابن الاثير (ت 630هـ/1232م) (70) المتضمن لحوادث العالم من بداية الخليقة الى عصره. ولم يهمل ابن الاثير حوادث المغرب في تاريخه بل نجد الكثير من الاخبار المنقولة عن الطبري والامير عبد العزيز (71) وابن عبد الحكم والحميدي.

ومن أهم ما استفدت من ابن الاثير حديثه عن الخلافة الفاطمية وموقفه المحايد والموضوعي في نسب بني عبيد بقوله ((وهذه الاقوال فيها ما فيها، فيا ليت شعري ما الذي حمل ابا عبيد الله الشيعي وغيره ممن قام في اظهار هذه الدعوة حتى يخرجوا هذا الامر من انفسهم وسلموه الى يهودي ؟)) (72).

كما عولت عليه في اخباره عن ملوك الطوائف التي تتضمن اخبارا عن اليهود التي تؤكدها المصادر المغربية.

43) " عيون الانباء في طبقات الاطباء " لابن أبي أصيبعة (ت 668هـ/1269م) موسوعة فريدة خاصة بالاطباء، يشتمل أخبارا عن اليهود في بلاد المغرب ولاعمالهم ومؤلفاتهم، وعلاقتهم بالمجتمع الاسلامي، استخلصت منه حقائق هامة لا يمكن أن نجدها في مؤلفات أخرى خاصة كتب التاريخ التي لا تهتم بالجالية اليهودية الا عرضا.

44) " وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان " لابن خلكان (ت 681هـ/1282م) كانت معلوماته مكملة لما يوجد في كتب التاريخ. ومؤكدة لها، استقى معلوماته من كتب التاريخ العام، والطبقات، فيما يتعلق باليهود في المغرب الاسلامي. استعنت به في مواضع عدة قصد تحقيق سير الاعلام، وتحقيق أسماء الرجال.

---

70) عن ابن الاثير، راجع، عبد القادر أحمد طليمات، ابن الاثير الجزري المؤرخ، مصر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، سلسلة أعلام العرب، رقم: 83، 1969.

71) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985، ط 5، ج 6، ص 125.

72) نفسه، ص 129.

45) " البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب" لابن عذاري المراكشي (كان حيا عام 712 هـ/1312م) افادني بمعلومات هامة جدا عن اليهود في مواضع كثيرة من الكتاب، من أهمها " خبر برغواطة " وقد نقل ما كتبه عن ابن الوراق في " مسالك افريقية وممالكها " دون أن يصل الى مستوى ما نقله البكري ، اذ نقل النص بصورة مشوهة وناقصة (73).

وسجل ابن عذاري في بيانه اخبارا عن الوزير اليهودي ابن النغريلة وسيرته ومقتله وبعض الحوادث التي كانت قرطبة مسرحا لها ، كثورة العامة على اليهود سنة 529هـ/1134م. والدور الذي لعبه اليهود عندما سقطت مدينة بلنسية سنة 487 هـ/1094م في ايدي المسيحيين ، وموقف المرابطين من اليهود. وكتاب " البيان " من المصادر الاولية ، والاكثر أهمية من حيث المادة التي يتضمنها .

46) " مفاخر البربر" لمؤلف مجهول (ألفه عام 712هـ/1312م) (74) ذكر احداث تاريخية هامة تتعلق بالبحث، فهو يقول بتهود قبيلة جراوة قبل الاسلام، ويذكر اخبارا عن برغواطة حيث لم يتعرض بالذكر الى أصولها اليهودية، وانما اقتصر على سرد نبذ من اخبارها ، ومحاربة الملثمين لها .

47) " الاحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب (ت 776 هـ/1374م) يحتوي بعض التفاصيل عن الوزير اليهودي ابن النغريلة ومقتله نقلا عن ابن عذاري بتصرف طفيف ، ويذكر المكان الذي دفن فيه في باب البيرة حيث كان اليهود في وقته يعرفون قبره ، وهو ما يكذب بعض المصادر اليهودية التي تقول بوفاته في فراشه خارج الاندلس.

48) " كتاب أعمال الاعلام" لابن الخطيب. تعرض المؤلف لدولة بني زيري وأمرائها ودور اليهود حينما ذكر الوزير ابن النغريلة، وأضاف الى المعلومات التي نجدها في كتاب الاحاطة ، القصيدة التي قالها أبو اسحاق الالبيري محرضا باديس على وزيره .

---

73) عبد الواحد ذنون طه ((موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال افريقيا من الفتح الى بداية عهد المرابطين)) فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء 4، المجلد 36، كانون الاول، 1985 ، ص 250.

74) ذكر المؤلف تاريخ التأليف في ترجمة أبي علي صالح بن الشيخ الصالح بقوله ((ومنهم الشيخ الفقيه الصالح العالم التاريخي أبو علي صالح بن الشيخ صالح الولي الزاهد الورع أبي صالح عبد الحلم نزيل نفيس وهو يعيش الى وقتنا هذا وهو سنة 712)) مجهول ، مفاخر البربر ، ص 75.

49) " المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن " (ت 781 هـ/1379م) استفدت مما كتبه عن أهل الذمة حيث سجل بعض الاخبار عن اليهود بمدينة تلمسان ، وأثبت قصيدة الابيري في التحريض على قتل ابن النغريلة ، والثورة على اليهود في مدينة غرناطة معتمدا على المؤرخ السالمي (75).

50) " العبر " لابن خلدون (ت 808 هـ/1405م) اعتمدت عليه في مواضع كثيرة لان هذا الكتاب يحتوي على مادة غزيرة تتعلق بالموضوع منها انتشار اليهودية بالمغرب قبل الاسلام اذ ذكر تهود الكثير من القبائل المغربية دون أن يقول الكلمة الفصل في ذلك . وناقش ابن خلدون مسألة نسب الفاطميين اذ أقر بصحته . وفصل في دولة برغواطة التي كتب عنها الكثير، ولكنه انصفها حيث لم يأخذ بالزعم القائل بنسبهم اليهودي .

51) " تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية " لابي عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي (كان حيا سنة 894 هـ/1488م) سجل شذرات هامة تخص اللباس الذي فرضه الامير الموحدي المنصور على اليهود كالشلة والقمصان والبرانس والقلانس وهو ما يؤيد ما ذكره المراكشي في كتاب " المعجب " .

52) " المونس في أخبار افريقية وتونس " لابن ابي دينار القيرواني (كتبه عام 1140 هـ/1698م) ينفرد برواية تقول بوجود اليهود أثناء الفتح الاسلامي في مدينة بنزرت بافريقية ـ المغرب الادنى ـ ويذكر بأن هؤلاء كانوا يعملون أيام السبت . فان أخذنا بالابعاد الحقيقية لهذه الرواية كوجود اليهود في هذه المدينة أيام الفتح الاولى ، وهو ما لم ينكره غيره ، فان قبول فكرة عمل اليهود يوم السبت تحتاج الى وقفة ، لان هؤلاء تفرض عليهم نصوصهم الدينية عدم القيام بذلك ، فربما كان ذلك من باب المبالغة ، فالمصادر تؤكد على وجود جالية كبيرة من الروم (76) ولم تذكر اليهود .

---

75) السالمي : هو محمد بن أحمد بن عامر البلوي من أهل طرطوشة ، كان من أهل الادب والعلم والتاريخ الف " درر القلائد وغرر الفوائد " وكتابا في اللغة ، و " الشفا " في الطب ، وكتابا في التشبيهات ، راجع ابن الابار ، التكملة لكتابة الصلة ، نشر وتصحيح السيد / عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي بمصر ، والمثنى ببغداد ، 1956 ، ج 2 ، ص 495 .

76) البكري ، " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب " ص 57 ، 58 .

53) " نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب " للمقري التلمساني (ت 1041 هـ/1631م) (77) يمتاز هذا الكتاب بافراد قسم خاص للشعراء اليهود باللغة العربية حيث ترجم لهم، وسجل أخبارهم، وأورد أبياتا من أشعارهم تدل على تمكنهم من لغة المسلمين (78).

واستفدت كذلك من الشذرات الهامة عن أخبار اليهود في الاندلس المتفرقة في الكتاب - كالاعمال التي يقومون بها، وعلاقتهم بالمسلمين، ولباسهم، وطريقة المسلمين في معاملتهم أثناء الفتح.

54) " الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى " للناصري السلاوي (ت 1315هـ/1897م) احتوى مجموعة من الاخبار عن اليهود في المغرب قبل الفتح وأثناءه وبعد اتمامه، اذ يروي روايات كثيرة عن المورخين الذين كتبوا عن القبائل المغربية كابن خلدون في تقسيمهم وحالتهم قبل الفتح الاسلامي، وتحدث عن دولة برغواطة انطلاقا من الروايات التي تقول بديانتهم اليهودية دون مناقشة، وانما اكتفى بالنقل، واستفدت منه في رواياته عن حوادث الاندلس والدور اليهودي في عصر الطوائف.

وخلاصة القول أن المورخين القدماء أهملوا الجاليات اليهودية، ولم تأت أخبارهم الا عرضا في سياق حديثهم عن حدث معين، أو ذكر أثار الرجال ومآثرهم، أو التأريخ لمدينة معينة، لذلك لم تصل الينا الا شذرات عن هؤلاء، مما يصعب من مهمة الباحث في الحصول على معلومات دقيقة، وتكوين فكرة شاملة عن اليهود الذين كانوا يعيشون بين ظهراني المسلمين في دار الاسلام.

ولم يهمل العلماء والفقهاء المسلمون اليهود في العصور الوسطى، اذ افردوا كتابات كثيرة تمثل الجدل والصراع الفكري والديني بين اليهود والمسلمين، كالطرطوشي (المتوفى سنة 520هـ/1126م) (79) الذي ألف " السعود في الرد على اليهود " (80) وكذا ابن بدران " الفصول الجامعة فيما يجب على أهل الذمة من أحكام الملة " (81).

---

77) عن المقري وكتابه راجع، الحبيب الجنحاني، المقري صاحب نفح الطيب، دراسة تحليلية، تونس، دار الكتب الشرقية، 1955، ط 1.

78) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 525.

79) عن الطرطوشي، انظر، جمال الدين الشيال، أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، سلسلة اعلام العرب، رقم 74، 1968.

80) أبو الفضل القاضي عياض اليحصبي، " فهرست شيوخ القاضي عياض " دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، 1978، ص 131.

81) الونشريسي، المعيار، ج 2، ص 258.

وألف الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ/1111م) " المبادئ والغايات في قتل المسلم بالذمي " (82)، و " اظهار تبديل اليهود والنصارى في التوراة والانجيل وبيان تناقضها بأيديهم من مما لا يحتمل التأويل " للشيخ أبي محمد علي بن أحمد الاموي (ت 456هـ/1054م) (83)، و " الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة " للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أدريس القرافي المالكي (ت 684هـ/1285م) كتبها ردا على اليهود والنصارى ورتبه على أبواب (84)، و " الدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود " لاحمد بن علي المعروف بابن الساعاتي البغدادي (ت 694 هـ/1294م) في الرد على الفيلسوف اليهودي ابن كمونة (85)، كما ألف علاء الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن الباجي الشافعي (ت 714هـ/1314م) " الرد على اليهود " (86)، وقد صنف محمد ابن عبد الرحمن بن المصري (ت 380هـ/990م) في نفس الموضوع (87)، أما الشيخ عماد الدين بن حسين الاسنوي الشافعي (ت 777هـ/1375م) فألف " الرياسة الناصرية " في الرد على من يعظم أهل الذمة ويستخدمهم على المسلمين (88).
كما ألف الشيخ زين الدين سريجا بن محمد الملطي " نهوض حثيث النهود في دحوض خبيث اليهود " رد فيه على اليهودي ابن كمونة (89)، و " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى " لابن قيم الجوزية (ت 751هـ 1351م) (90).
ان هذه المؤلفات تبرز بصورة واضحة وجلية أهمية الصراع الاسلامي واليهودي في الميدان الديني والفكري الذي يعد مرآة للصراع في الميدانين الاجتماعي والاقتصادي، وأغلب هذه المؤلفات على ما يبدو مفقودة، أو قليلة التداول حتى يمكن للباحث الاطلاع عليها والاستفادة منهـا.

---

81) الونشريسي، المعيار، ج 2، ص 258.
82) مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، بيروت، دار العلوم الحديثة، طبعة جديدة بالاوفست، دون تاريخ ج 2، ص 1579.
83) نفسه، ج 1، ص 118.
84) نفسه، ج 1، ص 11،
85) نفسه، ج 1، ص 734،
86) نفسه، ج 1، ص 839،
87) نفسه، ج 1، ص 839
88) نفسه، ج 1، ص 934،
89) نفسه، ج 2، ص 1994،
90) نفسه، ج 2، ص 2030.

ثانيا — المراجع الحديثة :

أما الدراسات الحديثة التي استفدت منها فأهمها :

55) " اليهود في الاندلس " للدكتور محمد بحر عبد المجيد ، يغطي الكتاب المرحلة التاريخية الممتدة من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة الموحدين ، وعلى الرغم من صغر حجمه فقد أوضح الكثير من الجوانب الثقافية لليهود القاطنين بالاندلس كالشعراء والادباء ، والاطباء ، حيث ركز المؤلف على الجانب الادبي الذي يحتاج الى كشف للتعرف عليه .

56) " الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية " للاستاذين علي سامي النشار وعباس أحمد الشربيني ، والهدف من الكتاب تقديم نماذج من الفكر اليهودي ومقارنتها بالفكر الاسلامي ، لاثبات أنه لم يكن لليهود قبل الاسلام تاريخ فكري أو أصالة عقلية أو دينية ، وهذا باعتراف اليهود انفسهم . فمن خلال هذا المؤلف تعرفت على عدد كبير من المفكرين اليهود الذين نبغوا باحتكاكهم بالفكر الاسلامي بصورة مباشرة ، كما تعرفت على الابعاد الفكرية الفلسفية لهؤلاء ، وتصوراتهم للمسائل الدينية والدنيوية المستمدة من الاصول الفكرية الاسلامية .

57) " الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية " للدكتور عبد المنعم الحفني ، تعرضت هذه الموسوعة للمفكرين اليهود وفلسفتهم على طريقة المعجم . وضم الكتاب مجموعة من تراجم الفلاسفة والمصطلحات الفلسفية بمفهومها اليهودي من القديم الى العصر الحديث . وقد افادتني هذه الموسوعة في التعرف على أهم فلاسفة اليهود خلال العصور الوسطى . وفي حقيقة الامر ، احتوت الموسوعة جوهر ما يوجد في كتاب " الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية" (91) فان كان كتاب " الفكر اليهودي " أشمل وأوسع ، فالموسوعة أبسط وأوجز وأقرب الى الفهم والوضوح بالنسبة لغير أهل الاختصاص في الميدان الفلسفي .

58) " التوراة واليهود في فكر ابن حزم" للدكتور ابراهيم الحاردلو ، نجد فيه معلومات قيمة وهامة عن الجدل بين المسلمين واليهود ، خاصة المناظرة بين ابن حزم الاندلسي و الوزير ابن النغريلة انطلاقا من كتاب " الفصل في الملل والاهواء والنحل " . والكتاب يهيء الارضية لفهم الصراع بين فقهاء الاسلام والعلماء اليهود ، ويوضح الابعاد الحقيقية لهذا النقاش الجاد .

---

91) قارن مثلا : الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية ، علي سامي النشار ، وعباس احمد الشربيني ، الاسكندرية منشأة المعارف ، 1972 ، ص 95 وما يليها والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، عبد المنعم حفني ، بيروت ، دار المسيرة ، 1980 ، ط1 ، ص 125 .

59) " التلمود تاريخه وتعاليمه " لظفر الاسلام خان ، استفدت منـــه لمعرفة التطور التاريخي لهذا الكتاب ، ومحتواه ، ومدى انعكاساته على حياة اليهـــود الروحيـــة والاجتماعية والفكرية والاقتصادية(92). فالتلمود يتمسك به اليهود أكثر من الكتاب المقدس " التوراة" . وقد أطلق على الذين يفضلونـه التلمود يــــون (93).

60) " مقارنة الاديان : اليهودية" للدكتور احمد شلبي ، عولت عليـــه في النصوص المقتبسة من التلمود التي تبرز أهم مكونات وأسس الحياة الاجتماعية لليهود عموما وعلاقتهم بغيرهم على ضوء ما جاء فيه . وهذا الكتاب من أهم المؤلفات للتعرف على الشريعة اليهودية وطقوسها .

61) " أهل الذمة في الاسلام " لترتون ، يعالج المستشرق مسألـــة العلاقات بين المسلمين والاقوام المختلفة غير الاسلامية انطلاقا من عهد عمـــر الذي قطعه لاهل دمشق لما فتحها المسلمون سنة 14 هـ/635م (94). وقـــد اقتصر الكتاب على أهل الذمة في المشرق، اذ لا نشعثر على أخبار اليهود فـــي المغرب الا قليلا، وقد انكر تولي أهل الذمة من اليهود وظيفة الجباية والكتابـــة في المغرب الاسلامي (95) وهو ما تدحضـه الوثائق المتوفرة لدينا اليوم، وقـــد يكون عذر ترتون في عدم توفرها حينما ألف كتابـــه .

62) " احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام" للدكتور عبد الكريم زيدان ، وهو عبارة عن دراسة شاملة لاحكام غير المسلمين في الديار الاسلاميـــة، تستمد أصولها من أصول الشريعة الاسلامية وقواعدها ، مبينا ما لهم، وما عليهـــم، استفدت منه من الناحية النظرية لتحديد وضع اليهود في المغرب.

63) " اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني " لقاسـم عبده قاسم وهو محاولة لتتبع علاقة الدول الاسلامية المتعاقبة على حكم مصر باليهود خلال المراحل التاريخية المختلفة . استفدت من هذا السفر للتعرف على أوضاعهم بمصـــر، وهي لا تبدو مختلفة عن أوضاعهم بالمغرب خاصة العادات الاجتماعيـــة، وتمسكهـــم بالشريعة الموسوية .

---

92) لقد بذلت قصارى جهدي للاطلاع على هذا الكتاب، فلم اتمكن من الحصول عليه فاكتفيت بالمراجع التي اقتبست منه ، وهما أضعف الايمان .

93) راجع ، الحفني ، الموسوعة ، ص 81 .

94) عن فتح دمشق، أنظر، البلاذري ، فتوح البلدان، ص 127 وما يليهـــا وعن عهد عمر، راجع، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشـي ، " سراج الملوك "، مصر ، المطبعة المحمودية التجارية بالازهر، 1935، ص 252 وما بعدها .

95) ا.س. ترتون ، أهل الذمة في الاسلام : ترجمة وتعليق حسن حبيشي : مصـــر، دار الفكر العربي ، ص 97 .

64) " المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا " للاستاذ مصطفى عبد الله بعيو ، كشف المؤلف في هذا الكتاب أحد المشاريع الصهيونية الخطيرة لجعل ليبيا موطنا لليهود في بداية القرن العشرين ، وذلك قبل أن تضع ايطاليا يدها على هذا البلد العربي . وقد استفدت من هذه الدراسة الجيدة مما جاء في الفصل الاول حينما تطرق الاستاذ بعيو لليهود في ليبيا قبل الفتح الاسلامي حيث كانت تقطن الجاليات اليهودية أهمها في مدينة شحات (96).

65) " النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى " للمستشرق الانجليزي هوبكنز ، أفرده للانظمة السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية من الفتح الى نهاية الدولة الموحدية ، وقد خصص الفصل الخامس من كتابه للاقليات الدينية اذ ابرز أوضاع اليهود والنصارى في انظمة الحكم التي تعاقبت على المغرب الاسلامي .

66) " ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية " للمرحوم حسن حسني عبد الوهاب ، وهو من المؤلفات الطريفة جمع فيه ((كل ما يمت بصلة الى تاريخ العلم والاجتماع والادب والفن في البلاد التونسية ، منذ استقرت بها طلائع النور العربي الى هذا الزمان القريب)) (97). ويحتوي على شذرات هامة من اخبار اليهود في افريقية خلال العصر الوسيط .

67) " تاريخ الفكر الاندلسي " للمستشرق الاسباني بالنثيا ، يشتمل هذا المؤلف الضخم على عدد كبير من المفكرين اليهود الذين نبغوا بالاندلس اذ تطرق الى ثقافتهم ، وتأليفهم باللغة العربية ، ودوره في نقل الحضارة الاسلامية الى أوروبا ، مركزا على أهمية تفاعل اليهود مع الثقافة العربية الاسلامية .

68) " الفكر العربي ومركزه في التاريخ " لاوليري دلاسي ، خصص قسم من كتابه للمثقفين والعلماء اليهود ، كما أوضح دور الثقافة الاسلامية في نبوغ هؤلاء ، والدور الذي لعبه كنقلة للفكر الاسلامي للدول الاوروبية انطلاقا من الفردوس المفقـــود .

69) " أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية " للويس برنارد ، يحتوي على مادة تاريخية وفكرية تتضمن مناقشة أصول الفاطميين وفي هذه المسألة التاريخية الخطيرة التي اسالت أقلام المؤرخين القدماء والمحدثين ، نجد لويس برنارد لا يأخذ بالنسب اليهودي للفاطميين وقد ناقش هذه القضية مناقشة طويلة النفس معتمدا على أهم المصادر التي اهتمت بهذه المشكلة التاريخية القديمة الحديثة .

---

96) شحات : مدينة ليبية تدعى اليوم مدينة البيضاء تابعة لمحافظة الجبل الاخضر تعتبر من أهم وأوسع المناطق الاثرية .

97) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، تونس ، مكتبة المنار، 1972 ، ط2 القسم الاول ، ص 7 .

70) " دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية " لجواتيان ،
مجموعة من المقالات الهامة المتعلقة بالتاريخ الاسلامي ، حيث استفدت من المعلومات التي استقاها المؤلف من دفين الجنيزة بالقاهرة(93)، هذا الدفين الذي يشتمل على وثائق يهودية يرجع تاريخها الى العصور الوسطى . ويحتوي هذه الوثائق على جوانب تاريخية تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية لليهود المغاربة من خلال مراسلاتهم لاخوانهم بالمشرق ،ووثائق الجنيزة تمدنا بمعلومات قد لا نجدها في كتب التاريخ ، لانها عبارة عن مراسلات شخصية لم تستغل بعد خاصة من قبل الباحثين المسلمين الا بصورة جزئية .

اما الدراسات باللغة الفرنسية فهي عديدة ، كتب جلها يهود يعيشون في أوروبا ومما لا شك فيه كتب هؤلاء دراسات ضخمة ، واهتموا بتراثهم ، ولكنهم نظروا اليه نظرة احادية تبرز مواقفهم وتخدم مصالحهم، لذلك جاءت هذه الدراسات مخالفة لما نجد في المصادر الاسلامية، وحتى المعلومات المستقاة من هذه المصادر جاءت محرفة ومشوهة للواقع التاريخ بالنسبة للاحداث نفسها ، فما بالك من ناحية التفسير . وعلى الرغم من ذلك اعتمدتها ، وقابلتها بالنصوص العربية المستمدة من المصادر الاسلامية ، وحاولت نقدها ، والرد على الكتابات المحرفة لعرضها في اطارها الطبيعي .

ومن جهة أخرى وجدت معلومات غير مثبتة في المصادر الاسلامية أو المراجع العربية ، فاستعنت بها بكل حذر، لانها تبين جوانب غامضة ، أو غير معروفة، فوسعت بهذا افاق البحث حتى لا تكون المعلومات مستمدة من جانب واحد . وأهم هذه الدراسات :

---

93) يحاول اليهود في الوقت الحالي نهب هذا التراث للاستفادة منه واخراجه من مصر بصورة غير شرعية بشتى الوسائل على الرغم من أن هذا التراث اسلامي ، عن هذه القضية أنظر ، منمنات أحمد فؤاد " التراث المصري الى اين ؟" ضمن كتاب صناعة الجهل كتاب في السياسة " القاهرة ، دار المستقبل العربي ، 1985 ، ط 1 ، ص 262ـ 266 .

Histoire du Judaisme, ANDRE CHOURAQUI (71

تناول المؤلف تاريخ الديانة اليهودية من القديم الى اليوم وخصص الفصـــــل الثاني منه لليهود في ظل الحكم الاسلامي ، تحدث فيه عن ازدهار الفكـــــر اليهودي اللاهوتي ، والفلسفي ، مع ذكر اشهر الاعلام الذين لعبوا دورا هامــــا في الحياة الثقافية اليهودية خلال العصـــور الوسطى .

Le statut légal des non musulmans en pays d'Islam, ANTOINE FATTAL. (72

يحتوي الكتاب على أوضاع اليهود في دار الاسلام كأهل ذمة ، وعلى الرغم من أنه قد حاول أن يكون موضوعيا ، غير أنه ركز على الوضعية السيئة لليهود في اطار المجتمع الاسلامي انطلاقا من نظرة معاصرة .

Pédagogie Juive en terre d'Islam, HAIM ZAFRANI (73

اهتم هذا الكتاب بالثقافة اليهودية بالمغرب الاقصى ، مركزا على الجانب التربـــوي للتعليم اليهودي في الوقت الحاضر ، وقد افرد قسما خاصا لهذه المسألة فـــي العصر الوسيط . فاخذت منه طريقة التعليم لدى اليهود ، وهي في الحقيقـــة لا تختلف كثيرا عن طريقة التعليم لدى المسلمين ، وانما الاختلاف في المناهج ، ومحتوى التعليم ، ومقاصده .

Les Juifs d'Afrique du Nord, ANDRE CHOURAQUI (74

وهو عبارة عن دراسات شاملة لليهود في المغرب من أقدم العصور الى العصـــر الحاضر ، وقد خصص لليهود في العصر الوسيط فصلا ابتداء من الفتح الاسلامــي ، وحاول ابراز دور اليهود في الحواضر المغربية الكبرى ، كما ركز على الحياة السيئـة التي عاشها هؤلاء في ظل الحكم الاسلامي على الرغم من دورهم الخلاق .

Les Juifs d'Espagne, H. GRAETZ. (75

ألف هذا الكتاب أصلا باللغة الالمانية ، وترجم الى الفرنسية ، يتضمن أخبـــار اليهود في الاندلس من الفتح الاسلامي الى أواخر الدولة الموحدية ، وأهم ما فـــي الكتاب الحوادث التاريخية المستقاة من المصادر العبرية ، ويتميز بتحيزه الكلـــي لليهود ، مبرزا محاسنهم وعبقريتهم . وقد ظهر هذا المؤلف في الوقت الذي بدأت تظهر فيه المشكلة اليهودية ، التي كانت اساسا لميلاد الفكرة الصهيونية .

Etude sur l'histoire des Juifs au Maroc, NAHUM SLOUSCHZ. (76

دراسة مطولة لليهود في المغرب الاقصى من أقدم العصور ، تحدث عن المرحلـــة الاسلامية مطولا ، وركز على الجانب الفكري والفلسفي والديني لليهود ، والمحافظـــة على تراثهم ، وتمسكهم بديانتهم ، ليظهر العبقرية اليهودية في ثبوتها الناصع ، كما تحدث عن مضايقة المسلمين لليهود دون الاشارة الى الاسباب الحقيقيـــة الكامنـــة من وراء ذلك ، مركزا على صورة الانسان اليهودي المضطهد .

La vie quotidienne dans l'Europe médievale sous domination (77
arabe, CH. E. DUFOURCQ.

أبرز المؤلف أوضاع أوروبا خاصة الاندلس في ظل الحضور الاسلامي ، وقد افرد لليهود فصلا خاصا ، فتحدث عن حياتهم وأعمالهم ، وثقافتهم ، وعلاقتهم بالمسلمين ، ولا يختلف هذا الكتاب عن سابقيه في نظرته للمسلمين ومعاملتهم لليهود .

VII — المقـــالات :

وقد استفدت من عدة مقالات باللغة العربية منها " 10 حقائق عن التلمود " لمحمـــد بركات، يشرح فيها اهمية التلمود عند اليهود ، ويورد مقولات من هذا الكتـــاب الخطير يوضح فيها النظرة العنصرية لليهود .

"جوانب من الحياة الاقتصادية بالمغرب في القرن السادس الهجري " للامين توفيق الطيبي ، اعتمد فيها على وثائق الجنيزة بالقاهرة ، حيث أثبت الكثير مـــن الحقائق الاقتصادية التي نجدها في المصادر العربيـــة .

" العرب واليهود في التاريخ " للدكتور عبد المجيد مزيان ، المقال عبارة عن عرض نقدي لكتاب الاستاذ أحمد سوسة ، يحتوي على مناقشات، وتعليقاتهامـــة شجعتني على الاستمرار في الاهتمام بالموضوع .

وأما عن أهم المقالات بالفرنسية فهي :

"Le signe distinctif des Juifs au Maghreb" FAGNAN.

اهتم فيه صاحبه باللباس المميز لليهود، والاشارات الخاصة التي يضعونها ، ليتميـــزوا عن بقية السكـــان ، كما اشـــار الى الاسباب التي أدت الى مثـــل هذا التمييـــز .

"L'Empire des Berghouata et les origines des Blad Essiba" SLOUSCH

يحتوي هذا المقال على الاصول اليهودية لدولة برغواطة، ويشرح دورهم السياسـي في تاريخ المغرب ويذهب الى ابعد من ذلك حين يقول بأن فتح الاندلس كـــان تقريبا على يد اليهود .

"Trois études d'histoire de la médecine Arabe en Occident" RENAND.

يهتم هذا المقال بالطب العربي في الاندلس ، مخصصا القسم الاول منه لابن بكـــلارش ، الطبيب اليهودي ، الذي خدم المستعين .

"IBRAHIM IBN YAQUB et sa relation de voyage en Europe" M. CANARD.

الفصل الأول

اليهود في المغرب قبل الفتح

1. الهجرة اليهودية إلى المغرب
2. اليهود في العهد القرطاجي
3. اليهود في العهد الروماني
4. اليهود في العهد الوندالي
5. اليهود في العهد البيزنطي

1) الهجرة اليهودية الى المغرب:

ان الكتابة عن هجرة اليهود — في القديم — الى المغرب عسيرة ، لان الاراء مختلفة ومتضاربة أحيانا ، اذ لم تتفق على تحديد تاريخ يعتبر منطلقا لقدوم اليهود الى بلاد المغرب . ومما يزيد في التعقيد ، الاختلاف على المناطق التي هاجرت منها الجماعات اليهودية ، فأدى ذلك الى القول بغموض أصل يهود الشمال الافريقي (1) .

فيرى أندري شوراكي (André Chouraqui) أن الوجود اليهودي في المغرب يعود الى العصور الموغلة في القدم ، ويحدد وصولهم مع الفينيقيين الذين أسسوا مدينة قرطاجة معتمدا على الاحتمالات وليس على الوثائق (2) .

ونفس الرأي يقدمه موريس ازنبيث (Maurice Eisenbeth) حينما يؤكد أن اليهود رافقوا الفينيقيين ، وهؤلاء هم الذين أسسوا النواة الاولى للجالية اليهودية في المغرب (3) .

أما ناحوم شلوش (Nahum Slouschz) فيقول بوجود اليهود في مدينة طرابلس منذ أقدم العصور، أي قبل مجيء الفينيقيين . وقد عارض هذا الافتراض الاستاذ مصطفى عبد الله بعيو بمرونة ، وبنوع من التردد بقوله : ((ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة اذا عرفنا أن مدينة طرابلس (أويا) لم تظهر للوجود الا على أيدي الفينيقيين . واذا عرفنا أن شلوش نفسه يؤكد لنا في كتابه أيضا أن مجيء اليهود الى برقة كان حوالي 320 ق م . عندما استقدم ملك مصر بطليموس الاول أعدادا من يهود فلسطين ، وأسكنهم في المعسكرات

---

1) أنظر : Robert Brunchvig , La Berbérie orientale sous les Hafsides des origines à la fin du X V siecle, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, 1982, T 1 , p 396. Atallah Dhina, les états d' l'Occident Musulman aux X III, X IV, et X V siecles, institutions gouvernementales et administratives, Alger, office des publications universitaires, E N A L, 1984, p. 259. André. Chouraqui, marche vers l'occident, les Juifs

2) أنظر : André.Chouraqui, marche vers l'occident, les Juifs d'Afrique du nord, France, P.U.F. , 1952, p. 13.

3) أنظر : Maurice. Eisenbeth, les juifs en Algerie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours(Extrait de l'encyclopédie coloniale et Maritimes) Paris, sans date, p.3.

الحربية التي أنشأها لهم في مصر وليبيا)) (4) . وعلى الرغم من ذلك يتفق في النهاية مع أطروحة شلوش القائلة بمجيئهم منذ أقدم العصور (5) أي قبل بناء مدينة طرابلس دون تحديد لتاريخ معين .

وقد حدد م . ب . كاهن (M.B. CAHEN) بداية مجيء اليهود الى المغرب اثر حملة بطليموس سوتر (6) على بيت المقدس حوالي عام 320 قبل الميلاد وترحيل أكثر من مائة ألف يهودي الى مصر حيث أرسل جزء منهم الى ليبيا (7) ومنها انتشروا في بقية بلاد المغرب .

وتطرق دارمون (DARMON) لنفس المسألة حينما حاول معرفة أصول وتكوين الجالية اليهودية في مدينة تلمسان ، اذ يرى بأنها جاءت من مصر بعد تحطيم المعبد الذي بناه أونياس (ONIAS) فتفرقوا في افريقيا فاستوطنت مجموعة من اليهود المدينة وضواحيها ، معتبرا هذه الرواية مجرد فرضية (8) .

ويعتبر حاييم الزعفراني اليهود أول مجموعة غير بربرية وفدت على المغرب على الرغم من عدم وجود نقوش تؤكد هذه الحقيقة التاريخية منذ عهود سحيقة من غير أن يحدد الوجهة التي جاؤوا منها ، أو يحدد تاريخ دخولهم أرض المغرب . ويرى بأن الادلة المادية المتمثلة في النقوش الاثرية غير متوفرة لتأييد فكرة وجود مستعمرات يهودية على السواحل المغربية في عهود مدنيات صور وصيداء حيث يعتبر تاريخ تلك الفترة ضربا من الاساطير (9) .

---

4) ـ مصطفى عبد الله بعيو ، المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا ، تونس ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، 1975 ، ص 33 .

5) ـ نفسه ، ص 33 .

6) ـ حكم بطليموس مصر حكما مطلقا . وصل اليها سنة 323 قبل الميلاد وفي سنة 305 قبل الميلاد أصبح ملكا عليها يتوارث ذريته الحكم وتسموا باسمه فلقبوا بالبطالمة . وبعد وفاته الهه ابنه تلبية لرغبته فسمي (سوتر) بمعنى المنقذ . راجع: عبد الرحمن الرافعي ، تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة من فجر التاريخ الى الفتح العربي ، القاهرة ، مكتبة النهضة العربية ، 1963 ، ط 1 ، ص 199 ، 200 .

7) ـ أنظر ، M.B. CAHEN, Les Juifs dans l'Afrique Septentrionale, p.8.

8) ـ أنظر ، DARMON, origine et Constitution de la Communauté Israelite de Tlemcen, Revue Africaine, 1870, p . 376, 377

9) ـ حاييم الزعفراني ، الف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم ، دار قرطبة ، الدار البيضاء ، 1987 ، ص 09 .

أما تاريخ تحديد معالم الهجرة اليهودية الى المغرب الواضحة والمقبولة ضمن مسار مجريات الاحداث التاريخية ، وان كانت لا تتعدى بعض الافراد ، فلعلها تتحدد منذ بداية الالف الاولى قبل الميلاد نتيجة لعلاقة مدينة صور الفينيقيـــة بالعبرانيين (10) أثناء حكم الملك حيرام وسليمان الحكيم . وتبدو هذه العلاقـة الودية في طابع المعاملات والمبادلات التجارية بينهما ((حيث تلقى الصوريـون كميات من الاغذية مقابل الاخشاب والخبرات الفنية التي قدموها للعبرانيين))(11) ولعل هذا ما يفسر سيطرة اليهود على تجارة الحبوب في تلك المدة ، لان مدينـة صـــور كان بامكانها جلب الحبوب التي تنتجها سهول تونس من مستوطنـــة أوتيكا (12).

وبعد وفاة الملك سليمان ، توقفت التجارة البحرية لان العبرانيين لم يكونوا مهرة في بناء السفن ، وارتياد البحار ، اذ يرجع الفضل للصوريين المتمرسين على خوض البحار في وصول السفن التجارية اليهودية الى ترشيش (13).

ثم تتضح الهجرة الى المغرب فيما بعد بجلاء بعد حملة " نبوخذ نصّر" (NABUCHODONOSOR) سنة 586 ق.م على بيت المقدس (14) فتوجـــه اثرها عدد من اليهود الى مصر ، ومنهم من قصد بلاد المغرب (15) دون أن نعرف الاسباب الحقيقية التي جعلتهم يختارون هذه الوجهة ولا الاماكن التـــي استقروا بها . ولعل العامل التجاري ، ووجود اقلية يهودية من أهم الاسبـــاب التي ساعدت اليهود على القـــدوم الى المغرب.

---

10) ــ العبرانيون : مصطلح يطلق على اليهود ما يزال منتشرا على الرغم من بعده عن الواقع التاريخي ، أنظر ، أحمد سوسة ، مفصل العرب واليهود في التاريخ العراق ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، 1981 ، ط 5 ، صص: 494ــ506 .

11) ــ محمد الصغير غانم ، التوسع الفنيقي في غربي البحر المتوسط ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1979 ، ص 94 .

12) ــ نفســـه ، ص 94 .

13) ــ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، بغداد ، مكتبة النهضة ، 1976 ، ط 2 ، ج 1 ، صص 640 ــ 641 .

14) ــ عن اسباب ونتائج الحملة ، راجع ، سوسة ، مفصل العرب واليهود في التاريخ ، صص 606 ــ 607 .

15) ــ عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ، ديوان المطبوعـــات الجامعية ، 1982 ، ج 1 ، ص 54 ، أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ط 2 ، ص 147 .

ويعتبر بناء مدينة الاسكندرية سنة 332 ق م على يد اسكندر المقدوني وتحولها عاصمة للبطالمة خلفاء الاسكندر حدثا مهما بالنسبة لليهود ، اذ استقدم هؤلاء الحكام اعدادا كبيرة منهم ، واتخذوهم عملاء وأولياء مغدقين عليهم المزايا لضمان بقائهم الى جانبهم (16) . وقد قدر عدد اليهود المجلوبين الى مصر ما بين 100 ألف و 120 ألف ، استقرت جالية منهم بالاسكندرية . وبفضل تعاونهم مع السلطات الحاكمة ، تبوأ اليهود مراكز ممتازة في الهرم السياسي للدولة حتى قيل : ان العناصر الحاكمة هي يونانية ويهودية (17) .

وبعد أن بسط البطالمة نفوذهم على مدن برقة ، شجعوا اليهود على التنقل اليها والاستقرار بها ، مما أدى الى تكوين جالية يهودية تعد من أهم العناصر السكانية (18) ، تنعم بالرخاء والازدهار . واستمر هذا الوجود ، بل تدعم بفضل قدوم أفواج جديدة انتشرت في طلميثة و قورينة وتوكرة وسوسة والمرج ، أهم مدن منطقة برقة ، وفي نواحي أخرى من الريف (19) .

كما تحدث من كتبوا عن اليهود في المغرب على وجود جالية في قرطاجة غير أن الشواهد الاثرية نادرة جدا باعتراف أحد المتخصصين في التاريخ القديم (20) . ولا نعرف مدى أهمية الهجرة اليهودية بعد تأسيس المدينة الفنيقية الا من خلال الاحتمالات والفرضيات ، وبعض الشذرات النادرة في المصادر التاريخية .

---

16) ـ عبد الرحمن الرافعي ، تاريخ الحركة القومية في مصر من فجر التاريخ الى الفتح العربي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ، ط1 ، ص 206 .

17) ـ جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ترجمة لفيف من العلماء ، القاهرة ، دار المعارف ، 1970 ، ج 4 ، ص 52 .

18) ـ بعيو ، المشروع الصهيوني ، ص 23 .

19) ـ مجهول ، تاريخنا ، من سقوط قرطاجة الى عصر التحرير الاسلامي ، ليبيا ، دار التراث ، دون تاريخ ، الكتاب الثالث ، ص 182 .

20) ـ Paul Monceaux "Les colonies juives dans l'Afrique Romaine" Cahiers de Tunisie, N° 71 72. (Année 1970) p. 159.

وفي العهد الروماني ، وبعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق م ، بدأت بعض العناصر اليهودية تعيش بالمغرب ، اذ كشفت الاثار على وجود نقوش عبرية باليونانية واللاتينية . غير أن النقوش اليهودية المعرفة لا تتجاوز الاربعة في قورينة ونوميديـا وسطيف وسـرتا (21) . وقد حددت دراسة حديثة بثلاثة نقوش في سلاووليلي و قـرطاجة (22) . وبدخول الرومان كقوة عظيمة في ميدان التنافس السياسـي والعسكري والاقتصادي في البحر المتوسط اصطدم هؤلاء مع اليهود في صراع طويل يوضحا منه حملة "تيتوس" (TITUS VASPASIEN) سنة 70 م ضد اليهود في المشرق ، وتحطيم رموزهم في بيت المقدس اثر ثورة ضد السلطات الرومانية المسيطرة على المنطقة . ومن نتائج هذه الحملة تفرق اليهود وتشتتهم . فالمؤرخ أوروسيوس (23) في حديثه عن بني اسرائيل ، ولدى تعرضه للحملة قال ((ثم تفرقوا التفرقة التي عم اليوم فيها)) (24) من غير أن يوضح المناطق التي قصدوها اثر هذا الشتات (25) أما "يوسيفوس" المؤرخ اليهودي * فقد بين الوجهة المقصودة في المغرب محددا مدينة قورينة في منطقة برقة (26) . كما رحل القائد الروماني المنتصر 30 ألف يهودي الى موانئ المغرب في 12 مركبا (27) ، واذا صدقنا هذه الرواية ، فان المغرب في الثلث الاخير من القرن الميلادي الاول تحول من أهـم المناطق التي يتمركز فيها اليهود وعلى الخصوص منطقتي برقة وقرطاجة .

---

21) ـ Dictionnaire des antiquités Grecques et Romaines d'après les textes et les monuments, sous la direction de Mar che. Daroumberget E.D.M. Saglio Paris librairie Hachette T 3 p 622

22) ـ شيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، صص 198 ، 199 .

23) ـ يعرف هذا المؤرخ اللاتيني عند المسلمين "بهروشيوش" وقد اعتمد ابن خلدون على كتابه .

24) ـ أوروسيوس ، تاريخ العالم ، الترجمة العربية القديمة ، تقديم وتحقيق عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1982 ، ط 1 ، ص 179 .

25) ـ الشتات : نجدها في الكتب مرادفة لكلمة (DIASPORA) اليونانية التـي تعني التفرق ، وتطلق على اليهود خارج فلسطين ، أنظر ، سوسة ، المفصل ، ص 335 .

* ـ عن يوسيفوس ومؤلفاته راجع ، يوسابيوس القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ترجمـة القس مرقس داود ، القاهرة ، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع ، 1966 ، صص 122 ـ 126 .

26) ـ مجهول ، تاريخنا ، ج 3 ، ص 233 .

27) ـ أنظر Chouraqui marche vers l'occident p. 24.

والغريب في الامر أن العنصر اليهودي ازداد في المغرب بعد التدمير الذي أحدثه القائد الروماني " تيتوس" على الرغم من كونه مستعمرة رومانية ، بمعنى أن اليهود ستلاحقهم روما في مكان قريب منها ، في حالة وقوع أحداث تمس الامن ، يشاركون فيها . ويمكن تفسير ذلك بمحاولة التجمع لتكوين قوة ضاغطة على السلطات الرومانية في منطقة ذات امكانيات بشرية هامة ، وكذا التربص بها للقيام بثورة حينما تتاح الفرصة (28) هذا من الوجهة السياسية . ولقد كان للعامل الاقتصادي أثره الواضح ، في الهجرات الاجنبية . لأن منطقة المغرب أصبحت منطقة جذب في العهد الروماني لما امتازت به من تطورات اقتصادية مثلما تأكد في دراسة ظهرت مؤخرا حيث شرح صاحبها هذه المسألة بقوله : ((غير أن أبواب الهجرة الى بلاد المغرب لم تتسع أمام الوافدين من مختلف بلدان حوض البحر المتوسط الا في العهد الروماني الذي أوجد لهم فرص الانتقال الى هذه البلاد ووسائل العيش الافضل فيها . خاصة أثناء العهد الامبراطوري حيث أصبح البحر المتوسط وسيلة اتصال ونقطة عبور بين مختلف بلدانه)) (29) .

ان هذه العوامل تشرح وتوضح اختيار اليهود المغرب في هذه المرحلة ، فهم يقصدون تجميع قواتهم البشرية التي تتركز في مصر والمغرب ، بالاضافة الى محاولة جمع الخبرات التي يمكن جمعها من مناطق توصل للتمكن من الثورة . بعدها تأتي المرحلة الموالية المتمثلة في مجابهة روما في الوقت المناسب وهذا ما سيحدث فعلا .

وحينما سقط المغرب في ايدي الوندال سنة 439 م لم نتحقق من وجود هجرة يهودية على الرغم من التسامح الذي أظهره هؤلاء لليهود ، خلافا لما حدث للمسيحيين .

وفي العهد البيزنطي تقلص عدد اليهود في المغرب خاصة أثناء حكم " جستنيان " اذ تدخلت السلطات البيزنطية في شؤونهم ، مما أدى الى نزوح عدد منهم نحو اسبانيا بينما نزح آخرون الى ايطاليا (30) فرارا من الاضطهاد ، لان سياسة الامبراطور تهدف الى وضع قانون موحد وعقيدة واحدة للامبراطورية (31) .

---

28) ـ أنظر : Cahen, Les juifs dans l'Afrique Septentrionale, p. 12.

29) ـ شنيتي ، التغيرات الاقتصادية ، ص ص 184 ـ 185 .

30) ـ أنظر : Mathias Mièses Les Juifs et les Etablissements Puniques, p2.

31) ـ السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1982 ، ص 96 .

وتنفيذا لهذه السياسة ، استعمل الشدة والقسوة ، مما أدى الى اضطهاده باليهود والوثنيين والهراطقة من أتباع ماني وغيرهم (32).

وآخر هجرة لليهود عرفها المغرب قبل الفتح الاسلامي ما بين سنتي 612 – 613 م من اسبانيا حينما اعتلى العرش الملك " ششبوت" (SISBUTO) القوطي الذي أقر مبدأ اضطهاد اليهود (33) فضيق عليهم الخناق، كما حرم عليهم اقامة الشعائر الدينية وأعطاهم مهلة سنة للتفكير في الاختيار بين اعتناق الديانة المسيحية أو الرحيل عن اسبانيا . فمنهم من تظاهر باعتناقها للحفاظ على أرواحهم وأملاكهم ، وهاجر عدد آخر (34) فالتحق جزء منهم بسواحل المغرب (35) لوجود نوع من التسامح معهم في أواخر العهد البيزنطي بالمغرب .

2) – <u>اليهود في العهد القرطاجي</u> :

بدأت مرحلة الارتياد الباكرة للفينيقيين الى بلاد المغرب أثناء فترة ازدهار المدن الفينيقية منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد (36) اذ كان هؤلاء يعملون على جلب الموارد الاقتصادية التي يحتاجون اليها خاصة المعادن التي تستخرج من شبه جزيرة ايبيريا (37). وبما أن المسافة طويلة والرحلات البحرية شاقة، أنشأوا المراكز الكثيرة للتوقف والراحة . وفي نفس الوقت للتبادل التجاري . فأحتل الساحل المغربي للبحر المتوسط مكانة هامة حيث برزت فيه شبكة من المراكز والمحطات والمدن ، قدرها المؤرخون بحوالي ثلاثمائة مركز ونحو المائتي مدينة (38) بسواحل المغرب .

---

32) – نفسه ، ص 98 .

33) – السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981 ، ص 56 .

34) – محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، المكتبة الثقافية عدد 237 مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 ، ص 15 .

35) – أنظر: Ismael Hamet Les juifs du Nord de l'Afrique (Noms et prénoms) Paris Sociétés d'Editions, Géographiques maritimes, et Coloniales, 1928, p. 5.

36) – غانم ، التوسع الفينيقي ، ص 68 .

37) – نفسه ، ص 68 .

38) – الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص 49 .

وفي بداية الرحلات الفنيقية الى المغرب حل معهم اليهود بفضل حذقهم للتجارة (39) ولكن لا نعرف بالتحديد مدى أهمية هذه الهجرة .

أما عن حالة اليهود في هذا العهد ، فان المعلومات التي وصلتنا قليلة جدا وبالتالي لا يمكن ابراز حقائق واضحة ومطلقة . فالاستاذ : " مانســـو" (Monceaux) يؤكد أنه ((ليس لدينا عن اليهود ــ في هذا العهد ــ معلومات دقيقة)) (40) مما أدى به الى التساؤل في النهاية : ((هل توجد جالية يهودية في قرطاجة التي تعتبر المركز الرئيسي أثناء العهد البوني ؟ ويجيب بقوله على هذا السؤال ((لا يمكن الجزم بذلك الا بظهور اكتشافات أثرية جديدة (41) . وفعلا فالاثار المكتشفة لعهد قريب لا تؤكد الحقيقة التاريخية القائلة بوجود جالية يهودية في العهد القرطاجي . فلم يعثر الباحثون الا على قطعة أثرية واحدة تعود الى هذا العهد وهي عبارة عن خاتم (42) . وندرة هذه الاثار تبيـــن قلة العنصر اليهودي في المغرب ، ان لم تنف وجوده تماما .

ومـــع احتمال وجودهم في رأي الاكثرية على الرغم من ندرة الشاهد التاريخي ، فان اليهود في المغرب قد تمسكوا بديانتهم وشعائرهم ، وهي ديانة الاباء قبـل دخولهم فلسطين (43) كما أن هذه الديانة لم تمنعهم من عبادة " بعل " (44) الـــه الجبال والمطر والعواصف والجو (45) . ان هذه العبادة المزدوجـــة لليهود في اقامة الشعائر الدينية توضح مدى الاثر الفنيقي في حياتهم . وقـــد يتعدى هذا التأثير الى جوانب عـــديدة لدى الجالية اليهودية .

---

39) ــ مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزائر ، مكتبة النهضة الجزائرية ، 1963 ، ج 1 ، ص 220 .

40) ــ أنظر : Monceaux Lescolonies juives p. 172.

41) ــ أنظـر : Ibid. p. 160.

42) ــ انظـــــر : Y. Le Bohec Inscriptions juives et judaisants de l'Afrique romaine Antiquités Africaines N° 17(1981) p. 202

43) ــ مرت ديانة اليهود بثلاثة أدوار : الاول دور ابراهيم واسحاق ويعقوب داوت حوادثه في القرنين 19 و18 ق م وهي ديانة وحداوية ابراهيمية والدور الثاني حملة موسى على فلسطين وجرت حوادثه في القرن 13 ق م بدأت بوحدانية اخناتون ثم انحرفت الى الوثنية والدور الثالث وقعت حوادثـــه في القرن 6 ق م وهي ديانة وحدانية يهوه ، أنظر سوسة ، مفصل العرب واليهود ص 348 ــ 349 .

44) ــ انظـــر : Eisenbeth, Les Juifs, p. 3.

45) ــ عصفور ، المدن الفنيقية ، ص 45 .

أما عن تنظيمات الجالية، وحياتها الاجتماعية والثقافية في العهد الفنيقي، فلا توجد الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها لمعرفة أسرارها، ما عدا الدراسة المقارنة للتعرف على بعض الجوانب. فالاستاذ "بيكار" (PICARD) في حديثه عن التربية في العهد القرطاجي، عقد مقارنة قد تبدو مفيدة على الرغم من أنها تعتمد على التخمين ((يجوز أن يظن، أن التوجيه التربوي بقرطاجة كان يرمي الى اعداد الولدان للتجارة والاسفار البعيدة. ومن الواضح أن أسر الكهنة كانت لها مدارسها الخاصة الشبيهة ببيع الربيين الاسرائيليين. ففي هذه المدارس كانوا يعلمون الاحداث القراءة والكتابة باللغة الفنيقية ويحفظونهم القصائد والاحكام التي تضمنت القصص والطقوس الدينية)) (46). فالنص يقدم لنا على الاقل الشبه الموجود بين المدارس اليهودية والفنيقية والمواد التي تدرس بهما.

ولكن اذا اعتمدنا على التلمود (47) في المجال التعليمي فان المدارس لم تظهر لدى اليهود الا بعد القرن الاول قبل الميلاد. اذ كانت العائلات هي التي تتكفل بالتربية والتعليم حيث تعمل على تعليم الاولاد حب الاله والتقيد بتعاليمه (48).

فان كانت المعلومات حول الجالية اليهودية في منطقة قرطاجة والمناطق الغربية حتى ليكسوس قليلة لا تسمح بأخذ فكرة واضحة عنها، فان منطقة برقة ومدنها تعتبر أحسن حالا، فهي تحتوي على أعظم جالية يهودية في المغرب خاصة مدينة قورينة (Cyrène) (49) التي كانت تابعة للافريق،

---

46) ــ نقلا عن ابراهيم لحبيدي التوزيي، تاريخ التربية بتونس، تونس الشركة التونسية للتوزيع، دون تاريخ، ج1، ص 21.

47) ــ التلمود : هو كتاب تعلم ديانة وآداب اليهود يحتوي على مجموعة الشرائع اليهودية الشفوية وشروح وتفاسير رجال الدين عليها. ((وينقسم التلمود الى قسمين : ((المشنة)) وهي النص ومعناها الدرس والمطالعة و ((الجمارة)) وهي التفسير مع تكملة النص ومعناها الاتمام والتكميل. والمشنة هي خلاصة الشريعة الشفوية ومجموعة قوانين اليهود السياسية والمدنية والدينية المتفق عليها. أما الجمارة فتقوم على روايات وأحاديث ومسموعات عن الحاخامات وتحتوي على ايضاحات وشروح وتفاسير على المشنة)) أنظر محمد بركات ((10 حقائق عن التلمود)) الهلال، 5، السنة السابعة والسبعون (1 مايو 1969) ص 32، و ظفر الاسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، بيروت، دار النفائس، 1972، ص ص 11 ــ 22.

48) ــ عمر رضا كحالة، جولة في ربوع التربية والتعليم، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980، ط1، ص 30.

49) ــ قورينة : مينة غرب مصر وشرقي الموت في منطقة برقة تأسست حوالي 631 ق.م. أنظر : D'AVEZAC Afrique Tableau général Tunis Editions Bouslama, 1981 T1 p. 13.

على الرغم من تحدث المصادر عن يهود قورينة ، فلا نعرف عددهم بصورة دقيقة، كما يصعب تحديد الاعمال التي كانوا يمارسونها . غير أن دورهم الواضح يتمثل في النشاط الاقتصادي في منطقة برقة . حيث اشتغلوا بالزراعة والرعي والاعمال الزراعية (50). وليس من المستبعد أنهم اشتغلوا أو مارسوا التجارة كأكثرية اليهود المتوزعين في العالم .

ويبدو أن ليهود برقة أحياء خاصة بهم على غرار يهود مدينة الاسكندرية الذين استقروا في شرق عاصمة البطالمة (51). وهي عادة ما زالت متبعة الى اليوم لديهم اذ يستوطنون في أحياء تدعى ((الحارة)).

وعلى الرغم من حسن معاملة خلفاء الاسكندر لليهود ، فانهم لم يمكنوا المستقرين في برقة من مرتبة المواطنة . ومع ذلك تمتعوا بالاستقلال القضائي حسب شريعتهم في المسائل المتعلقة بالاحوال الشخصية (52). كما سمح لهم بجمع الضرائب لارسالها الى بيت المقدس لرعاية هيكلهم هناك (53).

ومارس اليهود ديانتهم بكل حرية، اذ لم يتعرضوا للمضايقة أثناء الحكم البطلمي الذي فتح لهم الابواب في جميع المجالات السياسية والادارية حيث أصبحت هذه الجالية في قمة الهرم الاجتماعي . مما أدى بالاغريق أنفسهم الى الاشمئزاز من هذه المعاملة . ولكنهم كتموا شعورهم ضد اليهود حتى تحين الفرصة الملائمة للتعبير عن ذلك (54).

---

50) ــ بحيو ، المشروع الصهيوني ، ص 29 ،

51) ــ كافين رايلي ، الغرب والعالم ، تاريخ الحضارة من خلال موضوعات ، ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري ومدى عبد السميع حجازي ، مراجعة فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة 90 ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، (يونيو ، 1985) ، ص 109 ،

52) ــ بحيو ، المشروع الصهيوني ، ص 29 .

53) ــ أنظر: Hamet, Les Juifs de l'Afrique du Nord, p. 4.

54) ــ بحيو ، المشروع الصهيوني ، ص 29 .

وتأثر اليهود في منطقة برقة بالحياة الهيلنستية(55) نظرا لقربهـا من مدينة الاسكندرية عاصمة البطالمة . ويتمثل هذا التأثير في اتقانهم اللغة الاغريقية المستعملة في الجهاز الاداري واللباس الاغريقي (56).

وقد ظهرت في أوساط الجالية اليهودية شخصية علمية تعتبر من أعظم المثقفين اليهود الذين تأثروا بالثقافة الاغريقية الكاتب " جاسون " (JASON) الذي ألف حوالي 160 ق.م مؤلفا من خمسة كتب عن الحروب اليهودية المسماة بحروب المكابي (57)، اعتمد عليها فيما بعد محرر سفر المكابيين الثاني (58). وقد احتوى الكتاب تلخيصا لاحداث سنوات ما بين 175 ـ 160 ق م(59).

ان الصورة التي يمكن استخلاصها عن الجالية اليهودية بمنطقة برقة هي اندماجها في المجتمع الاغريقي بطريقة مرنة ، الشيء الذي سمح لها بالاخذ بمظاهر الحياة الاغريقية التي تساعدها على العيش والحفاظ في نفس الوقت على مصلحتها في المسائل المتعلقة باللغة واللباس فقط. لذلك نجد اليهود يعرضون عن معاشرة الناس(60) . مما يدعو الى القول بانغلاق هذه الجالية في الحياة الاجتماعية .

---

55) ـ الهيلنستية : حينما ظهر الاسكندر المقدوني في النصف الاول من القرن الرابع قبل الميلاد على مسرح السياسة الدولية ، استطاع أن يسترد المستعمرات الاغريقية بأسيا الصغرى من الفرس في عام 334 ق م، اتجه نحو الشرق للاستيلاء على ممتلكات الامبراطورية الفارسية ؛ تم له ذلك مابين 332 ق م و 331 ق م . بعدها بدأ ينشر الهيلينستية الاغريقية في الشرق ؛ فظهرت حضارة جديدة انصهرت فيها الروح الهيلينية والروح الشرقية في بوتقة واحدة تدعى الحضارة الهيلينستية . أنظر ، نعمت اسماعيل علام، فنون الشرق الاوسط من الغزو الاغريقي حتى الفتح الاسلامي ، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1975 ، ص 15 .

56) ـ بحيو ، المشروع الصهيوني ، ص 29 .

57) المكابيون أو الحشمونابيم أسرة يهودية أسست حزبا للوقوف ضد الحزب الهيليني أي اليهود الذين ابتعدوا عن اليهودية ما بين 150 ـ 143 ق م، انظر ، فؤاد حسين ((المكابيون)) المجلة التاريخية المصرية، المجلد 18، (1971) ، صص 21 ـ 54 .

58) ـ أنظر: D AVEZAC, L'Afrique, p. 116.

59) ـ جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ج 5 ، ص 49 .

60) ـ نفسه ، ص 63 .

3) – اليهود في العهد الروماني :

اتسمت الهجرة اليهودية في العهد الروماني بالضخامة والوضوح ، وأصبحت لها أهمية كبيرة (61). فقد أخذت ابعادا سياسية وعسكرية سنلمسها في الدور الخطير الذي قام به اليهود ضد الرومان ، حينما اصطدمت مصالحهم بمصالح أعظم قوة في البحر الابيض المتوسط .

ان أكبر جالية تقريبا ظهرت في العهد الروماني خاصة الثلث الاخير من القرن الاول قبل الميلاد ، عقب حملة " تيتوس " (TITUS) على بيت المقدس حيث قام بتهجير حوالي 300،000 من اليهود كسبايا حرب (62). ويقدر المورخ اليهودي " يوسيفوس فلافيوس" ( ) عدد اليهود الذين استقروا في ليبيا بنصف مليون في القرون الاولى بعد الميلاد (63).

وعلى العموم لا يمكن التطرق الى مسألة الاحصائيات بجدية لنقص الوثائق ولتضارب الآراء ، مما جعل المورخين يحددون بصعوبة عدد السكان عموما في العهد الروماني . فقد أبرز أحد المهتمين بالتاريخ القديم هذه المشكلة بقوله ((والواقع أنه لا يوجد احصاء دقيق لعدد السكان الذين تعايشوا في المغرب الروماني خلال زمن ما من فترة التواجد الروماني به ، ثم أن كل التقديرات المختلفة بعدد السكان وانشطتهم لا تستند الى معلومات تاريخية دقيقة، فهي تعتمد على النصوص الادبية وجود الاسماء الاثرية والمرافق العامة للمدن ، كخزانات المياه المموئة ، وسعة المسارح والحمامات والكنائس وكذلك الاحصائيات الجزئية المتعلقة بالموظفين الاداريين أو الدينيين (64) فالتقديرات حول الاحصائيات السكانية انطلاقا من هذا الواقع صعبة للغاية ، لذلك قال بعضهم : يستحيل الحصول على احصاء خاص باليهود (65) ،

---

61) – أنظر : Monceaux, les colonies juives, p. 167.

62) – أنظر : Chouraqui Marche vers l'occident p. 23 Note N 1.

63) – أنظر : Ibid p. 23. Note N 1.

64) – شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ص 202 .

65) – أنظر : Yann. Le Bohec Juifs et judaisants dans l'Afrique romaine remarques onosmatiques Antiquités Africaines N° 17 (1981) p. 209.

أما المناطق التي استوطن بها اليهود ، فيبدو أن الاكثرية منهم استقروا في المدن الكبرى على الساحل وفي بعض المناطق الداخلية المحاذية أو القريبة من المدن الساحلية ابتداء من ليبيا حتى عمق المغرب الاقصى (66).
ودون شك تتبوأ ليبيا ـ أي منطقة برقة ومدنها ـ مكانة الصدارة، حيث تعتبر مدينة قورينة من أعظم مراكز اليهود ، وكذلك مدينة طرابلس (أويا). وتمتد شبكة مراكز اقامتهم الى بيزاسين (BYZACENE) اذ تحتوي مدينة " توزر " (THUSURUS) جنوب تونس حاليا على آثار قليلة للعنصر اليهودي (67) ومدينة سوسة (HADRUMETUM) وفي نوميديا نجد اليهود يتمركزون في المدن : هيبونة (عنابة) وسرتا (قسنطينة) ومنشير فوارة (68) وتبسة.
أما في منطقة موريطانيا ، فان الجاليات اليهودية استقرت بالمدن الكبرى كسطيف وسور الغزلان (أوزيا) وتيبازة وشرشال . وفي موريطانيا الطنجية مدينة وليلي (69).

ولا تبتعد القائمة التي قدمها " لبوهيك " (Le Bohec) عن لائحة " بول منسو " (P. Monceaux) الا قليلا، فقد حدد المدن التي تسكنها جالية يهودية في المغرب ابتداء من ليبيا كما يلي : مدينة السلطان في السرت، طرابلس، حمام الانف (NARG) ، قرطاج ، أوتيكا ، عنابة ، سطيف ، تيبازة ، شرشال ، قصر فرعون بالمغرب الاقصى (70).

وفيما يتعلق بنظام الجالية ، فلكل واحدة منها مجلس ثقافي يشارك فيه اليهود بالولادة ، والوثنيون المتهودون (71) ومجلس اداري يصل عدد اعضائه تسعة يختارون من طرف الجالية .

---

66)_ Monceaux, les colonies juives, p. 161.

67)_ Ibid, p. 160.

68)_ منشير فوارة : توجد في الطريق الرابط ما بين سوق اهراس وتبسة .

69)_ Monceaux, les colonies juives, pp. 165-166.

70)_ Le Bohec, Inscriptions juives, p. 201.

71)_ حينما تكلم ايزنبيت عن نظام الجالية لم يتحدث عن مشاركة المتهودين في المجلس، بل قال برفض غير اليهود . وشوراكي عندما يخالفه في الرأي وهذا طبعا قصد ايهام القراء بتفتح الجالية اليهودية . وبذلك يستبعد مشاركة المتهودين في المجلس الذي ينظر في شؤون اليهود ، وهم يتأرجحون بين الديانة اليهودية ودياناتهم الخاصة ، بالاضافة الى بعدهم عن اليهود من الناحية العرقية أو الدموية، أنظر ،
Eisenbeth, les juifs, p. 5.

ومجلس القدماء وهو على ما يبدو شبيه بمجلس الشيوخ ، يهتم بادارة شؤون الحياة الادارية والمالية ويسهر على التنظيم الديني . كما يمثل هذا المجلس مصالح الجالية لدى القضاء وأمام السلطات (72) في حالة المنازعات لحل المشكلات التي تعترض اليهود . ولم تقتصر مهام المجلس على الصلاحيات الادارية والدينية بل جاوزتها الى القضايا الاجتماعية ، كتقديم المساعدات للمحتاجين . والموافقة على بناء البيع والمدارس والاهتمام بالمكتبات وتعيين المتصوفين الاداريين .

فالمجلس بهذه الصلاحيات المتعددة عبارة عن مجلس تشريعي وتنفيذي له كامل الصلاحيات ، لادارة شؤون الجالية ، والمحافظة على مصالحها المادية والمعنوية .

ويرأس الجالية اليهودية من الناحية الدينية الربي الذي يسهر على تطبيق مبادىء القانون ، ويشرف على التعليم الديني ، ويترأس الاجتماعات المتعلقة بالمسائل الدينية، يساعده حزان (،) أي موظف متواضع يعاون الربي في الشؤون الدينية (73).

ومن مساعدي المكلف بالديانة اليهودية القراء الذين يتلون في البيعة الكتاب المقدس لليهود ، بالاضافة الى المترجم الذي يقوم بترجمة مقاطع لدى قراءتها من القارىء فوريا على مسامع الحاضرين (74).

وتحتل البيعة مكانة بارزة في أوساط الجالية اليهودية لانها محور الحياة اليهودية كمركز للقضاء وتنفيذ العقوبات ، والاعفاء من الضرائب ، فهناك تناقش كل القضايا المالية والسياسية والقانونية (75). وبما انها في الاصل هي مركز ديني اساسا ، تقام الصلوات فيها ، وتلقى دروس الوعظ والارشاد المستمدة من أسس الديانة اليهودية ، كما هي كذلك مدرسة لتعليم ابناء الجالية (76).

---

72)— أنظر: Chouraqui, marche vers l'occident, p. 29.

73)— أنظر: Eisenbeth, les juifs, p. 5.

74)— أنظر: ibid, p. 6.

75)— أنظر: ibid, p. 6.

76)— أنظر: Chouraqui, marche vers l'occident, p. 29.

أما عن حالة الجالية نفسها ، فهي تختلف من طبقة الى أخرى وعلى حد قول " بول منسو" (P. Monceaux) تتمتع الجالية اليهودية في مدينة قرطاجة بالثراء (77)، وهو رأي يحتوي على مبالغة واضحة ، لان اليهود لا ينتمون الى طبقة واحدة اجتماعيا . والاستاذ " لابوهيك " (Le bohec) يخالفه أيضا في هذا الرأي ، وذلك بالاعتماد على أثار بيعة حمام الانف (NARO) بتونس يرجع تاريخها الى العهد الروماني — والتي يقول بشأنها ((تحتوي على زركشة جميلة من الفسيفساء وليس في مقدور الفقراء بناؤها)) وكذلك القبور الضخمة بقمرت (GAMART) (78) التي تحتاج الى امكانيات مادية ضخمة ليست في متناول الطبقة الفقيرة التي تحتوي على أعداد كبيرة من اليهود الذين يعيشون كعبيد ، وعمال في ميناء قرطاج (79).

من هذا الرأي يمكن استجلاء الحالة الاجتماعية للجالية اليهودية التي يتربع على عرشها الاغنياء ثم أصحاب المهن الحرة من صناع وغيرهم، وأخيرا الطبقة الفقيرة المتكونة من العبيد والمعدمين .

ونتيجةً للوضعية الاجتماعية لليهود ، يمكن ابراز بعض الاعمال التي كانوا يقومون بها ، والوظائف التي اشتغلوا بها ، اذ تختلف من طبقة الى أخرى حسب الشخص وامكانياته المادية ، ودون شك حسب نوعية الثقافة التي تحصل عليها كذلك .

فيدخل في الطبقة الاولى ، كل الذين تولوا الوظائف العامة في الادارة ، ومراتب في الجيش الروماني ، والذين اشتغلوا بالتجارة والزراعة كملاك الاراضي الكبار، والتجار الذين يسيطرون على التصدير والاستيراد في المدن الكبرى حيث توجد جالية يهودية كبيرة ، وأصحاب البنوك ، ورجال الاعمال ، والاطباء التابعين للدولة الرومانية (80) ، والاطباء الاحرار ورجال الثقافة (81) والعلوم (82) ورجال الدين .

---

77) — أنظر: P. Monceaux, Les Colonies Juives, p. 9.

78) — أنظر: Le Bohec, inscriptions Juives, pp. 169-170.

79) — أنظر: Ibid, p. 170.

80) — ليس لدينا معلومات عن بعضهم في المغرب ما عدا أوفورب (EUPHORBE) طبيب يوبا الثاني.

81) — أشهرهم في أرض المغرب " جاسون مقنوس " (Jason Magnus) الذي عاش في مدينة قورينة وألف كتابا عن حروب المكابي ، أنظر ص من هذا البحث.

82) — أنظر: Eisenbeth, Les Juifs, P. 6.

ومن اليهود الذي شارك في الاعمال والمهن الحرة ، أحد اليهود الذي فتح مصنعا للمصابيح في مدينة سوسة (HADRUMETUM) على الساحل الشرقي التونسي . وقد كانت سلعته رائجة ومعروضة للبيع في مدينة الجم (THYDRUS) وفي نواحي القيروان (83). ومن هؤلاء التجار الصفار أصحاب الحوانيت في المدن الصغرى حيث توجد جاليات صغيرة من اليهود ، والاسكافيين ، والخبازين ، والجزارين وغيرهم (84).

وفي أسفل الهرم الاجتماعي الفقراء ، ومن بينهم العبيد الذين اشترتهم الاسر الغنية ، وأولائك الذين يعملون في الميناء ، بالاضافة الى أصحاب الاعمال المتواضعة الذين يصعب عليهم الحصول على قوتهم اليومي .

أما فيما يتعلق بالجانب الثقافي للجالية اليهودية في المغرب ، فيبدو أن الثقافة السائدة في أوساطها هي اللغة اللاتينية التي تأتي في الدرجة الاولى ، بعدها اليونانية التي تحتل المرتبة الثانية . أما العبرية فاستعمالها قليل (35) اذ أن النقوش التي تركها اليهود في الاراضي البونية سابقا جلها باللغة اليونانية (86).

ان استعمال العبرية قليل بل نادر ، وهو ما يفسر استعمالهم اللغة اللاتينية . وأحسن دليل على ذلك وجود المترجمين في بيع اليهود الذين يقومون بترجمة مقاطع من الكتاب المقدس كما عرفنا (87).

فاذا كانت اللغة اللاتينية هي السائدة في المنطقة الشمالية ، أي نواحي قرطاجة ونوميديا خاصة بعد سياسة الرومنة التي انتهجتها روما لمسخ المنطقة ، والسيطرة عليها . فان يهود ليبيا والمهاجرين اليها من مصر يتحدثون لغة يهود الاسكندرية (88) وهي حسب الظاهر لغة الاغريق التي كتب بها جاسون مثلوس كتابه التاريخي . وقد تكون مزيجا من الاغريقية واليهودية لان الاولى هي لغة المعاملات والادارة ، والعبرية تستعمل في المجال الديني .

---

(83) _ أنظر Le Bohec, les inscriptions juives, pp. 173-174.

(84) _ أنظر EIsenbeth, les juifs, p. 6.

(85) _ أنظر Le Bohec, les inscriptions juives, p. 170.

(86) _ أنظر Mieses, les juifs et les établissements pruniques, p.139.

(87) _ راجع الصفحة من هذا البحث.

(88) _ أنظر Mieses, les juifs et les établissents Puniques, p.139

وحول هذه المسألة هناك العديد من التساؤلات التي يمكن اثارتها . أهمها لماذا ترك اليهود لغتهم على الرغم من كون تمسكهم بالعبرية معروفاً عنهم (89) . ان الاجابة على السؤال تكمن في أن المشرق قد تعرض لتأثير الحضارة الهيلينية منذ القرن الرابع قبل الميلاد وبالتالي فان هجرات توجهت نحو المغرب خاصة ليبيا ومنها الى قرطاجة وحواضر المغرب الكبرى . فحافظ هؤلاء المهاجرون على اللسان الاغريقي المسيطر عليهم ولكون الاغريقية هي لغة التمدن والحضارة والرقي فاستعملتها الطبقة الغنية والموسرة على نطاق واسع مما يبين كثرة النقوش اليهودية باللغة اليونانية .

أما عن الاسماء التي أعظمها لاتيني (90) فهي ليست معيارا قويا وحاسما في المسألة ، على الرغم من كونها تدل على انتماء طبقي (91) تلك الطبقة التي ربطت مصلحتها بالمصلحة الرومانية بعد كل هذا لا يمكن ابعاد التفسير القائل بعد اتخذهم التسمية في المغرب وحلولهم به بعد انتشار اللغة اللاتينية على نطاق واسع (92) .

بعد أن سقطت قرطاجة سنة 146 ق م في أيدي الرومان ، وفرض هؤلاء سيطرتهم على منطقة برقة التي أصبحت تابعة للدولة الرومانية اثر وفاة بطليموس أبيون (93) ابتداء من سنة 95 ق م . استمرت روما تعامل اليهود معاملة حسنة ، وحمتهم من السكان الاغريق الذين يكنون الحقد والكراهية لهم منذ الفترة الاولى من حكم البطالمة .

فالآثار تؤكد هذه الحقيقة ، اذ عثر على عمود من المرمر الابيض في منطقة برقة باللغة اليونانية يمجد محتواه الوالي الروماني على معاملته الانسانية لليهود (94) . كما أن الوثائق التاريخية شرحت الحرية التي كانوا يتمتعون بها ،

---

89) ـ شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ص 199 .

90) ـ أنظر: Mièses, Les juifs et les Etablissements puniques, P.139.

91) ـ أنظر: Le Bohec. Juifs et judaisants dans l'Afrique Romaine, P. 216.

92) ـ شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ص 199 .

93) ـ بطليموس التاسع الملقب أبيون (APION) هو ابن بطليموس الثامن ملك مصر من سنة 116 ق م . الى 96 ق م ولم يدخل ضمن عائلة البطالمة لانه ابن غير شرعي .

94) ـ أنظر: D'AVEZAC, l'Afrique, pp. 122-123, Cahen, les juifs dans l'Afrique Septentrionale, pp. 8-10.

والدعم المعنوي الذي قدمه لهم القيصر أغسطس (Cesar Auguste) (95) للحفاظ على قوانينهم وعاداتهم ، وارسال الاموال الى بيت المقدس وانزال العقوبات بالمذنبين ، ومصادرة أملاكهم في حالة سرقة أموال اليهود وأمتعتهم (96).

ويبدو تأثير طبيبه الخاص اليهودي بارزا في عملية الحماية هذه . لان الجاليات اليهودية تستعمل الوساطة ، وتعمل على ارشاء أهل الحل والعقد للوصول الى أهدافها . وتدخل الطبيب " موزا (Ontonius Musa) في مثل هذه الظروف وارد بالحاح لارضاء يهود ليبيا . لان القيصر على ما يظهر لم يكن متحمسا لليهودية كما يتراءى للبعض ، فقد هنأ حفيده قايوس (Gaïus) لعدم تقديمه قربانا في بيت المقدس أثناء زيارته للمشرق (97).

هذا عن علاقة الرومان باليهود قبل حملة تيتوس ، أما بعدها فان الاوضاع تغيرت تماما . فاليهود بعد تحطيم معبدهم ((كانوا قد تفرقوا بين مدن العالم في جاليات منغلقة على نفسها ذات سمعة خاصة في تدبير المكائد والفتن))(98). وبذلك بدأت المواجهة بين اليهود وروما في كثير من مناطق العالم.

وقد كانت أرض المغرب ، خاصة منطقة برقة ، ميدانا للصراع مباشرة بعد انتهاء حملة تيتوس سنة 70م أثناء حكم والده فسباسيان (VESPASIEN). فرت جموع كبيرة من اليهود المتطرفين الى الاسكندرية ، وهناك حاولوا القيام بثورة ، غير أن السلطات وضعت حدا لاعمالهم . فهربوا نحو مدينة قورينة لاثارة يهود ها . وتزعم الحركة جوناتان (Jonatas) الحائك الذي استطاع أن يجمع حوله الفين من الثائرين متخذا الصحراء مقرا له . ولكن تصدى لهم حاكم المدينة الروماني كاتا للوس (Catallus) بكل قوة وعنف حيث تمكن من القضاء على

---

95) ـ ليس هذا غريبا لان طبيب أغسطس يهودي يدعى انطنيوس موزا (Antonius Musa) بواسطته يتعرف على أشياء كثيرة تتعلق بديانة اليهود وبالتالي كان أثر طبيبه واضحا أنظر
Suetone, Vies des 12 Cesars, Introduction, Traduction, et notes de Pierre. Grimal, Livre de Poche, N° 718, France, Librairie Générale Française 1974, P.P 140-141.

96) ـ أنظر Cahen, Les Juifs dans l'Afrique Septentrionale, P. 11.

97) ـ أنظر Suetone, Vies des 12 Césars, P. 150.

98) ـ مجهول ، تاريخنا ، ج 3 ، ص 179 .

الثورة ، وأسر قائد ها ، وسلمه الى الامبراطور فسباسيان (VASPASIEN) (99).

وهذه الثورة لم تقف عند هذا الحد ، بل كان لها أثر عظيم في علاقة اليهود بالرومان . فالمورخ اليهودي يوسيفوس أكد بأن جوناتان اتهم أغنياء اليهود بتدبير الثورة وذلك قصد تأخير معاقبته وربح الوقت (100) والانتقام منهم لعدم موازرتهم له . غير أنه لا يمكن استبعاد هذه الحقيقة ، لأن الثورة قامت مباشرة بعد تحطيم معبد اليهود في بيت المقدس ، كما كان لليهود قومية بيعة في الاراضي المقدسة . فليس من الغلو الاخذ بهذه الرواية كانتقام لما حدث في المشرق ، مما أثار شعور الغضب والانتقام لديهم .

ومن نتائج هذه الحادثة فساد العلاقة بين اليهود والرومان . فالوالي الروماني قتل حوالي ثلاثة آلاف من اليهود ، وصادر أملاكهم (101) للانتقام ولوضع حد لمؤامرات ودسائس اليهود الذين يحاولوا الاثراء على حساب الغير ، كما اتهمهم بذلك سكان قورينة من الاغريق . فاليهود لا يتورعون عن نبذ الاخلاق ، ونهب الشعوب الاخرى ، همهم الوحيد جمع الاموال ، والاستيلاء عليها بأي طريقة كانت . ان التلمود — كتابهم الديني — يبيح لهم مثل هذه الاعمال اذ جاء فيه ((حياة غير اليهودي ملك لليهودي فكيف بأمواله)) (102).

وعاود اليهود الثورة ضد روما في بداية القرن الثاني بعد الميلاد في عهد الامبراطور تراجان (TRAJAN) * وهي أعنف الثورات لانها شاملة غدات مدطلقة برقة ، وتجاوزتها للمناطق المحيطة بها ، ثم امتدت الى مصر وقبرص ، وما بين النهرين وأنطاكية (103).

---

99) — أنظر : D'AVEZAC, l'Afrique, pp. 125-126 Cahen, lesJuifs dans l'Afrique, P 12.
Chouraqui, Marche vers l'occident, P. 23.

بعيو ، المشروع الصهيوني ، ص 28 ، مجهول ، تاريخنا ج 3 ص 133 .

100) — أنظر : D'AVEZAC, l'Afrique, P. 126.

101) — أنظر : Ibid, P. 126.

102) — عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، 1979 ، ط 3 ، ص 74 .

* — عن أوضاع اليهود اثناء حكم تراجان ، راجع يوسابيوس ، تاريخ الكنيسة ص 160 — 161 .

103) — مجهول ، تاريخنا ، ج 3 ص 133 .

اجتاحت في بداية الامر منطقة قورينة (Cyrène) متخذة في ظاهرها شكل صراع بين اليهود والاغريق ، ثم تحولت الى ثورة عارمة ضد الوجود الروماني تحت زعامة أندري (André) (104) حيث حطم الثوار كل ما وجد في طريقهم بمنطقة برقة .

وقد صور ديون كاسيوس (Dion Cassius) (105) وحشية وشراسة اليهود اذ ((انهم كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ، ويصنعون من أمعائهم أحزمة يتمنطقون بها ، ويلدلخون أجسامهم بدمهم، ويسلخون جلود هم ويتخذ ونها ملابس لهم . وأنهم عمدوا الى كثير من منهم فشطروهم شطرين من رأسهم الى أسفل ، وألقوا بآخرين الى الوحوش المفترسة، وأرغموا الكثيرين على مصارعة بعضهم بعضا ، كما يفعل المصارعون . وقد بلغ عدد الذين اهلكهم اليهود من الاغريق والرومان من سكان البلاد اثنين وعشرين ألف نسمة)) (106) .

وبعد نجاحهم في برقة زحفت الجموع اليهودية الى مصر للاستيلاء على مدينة الاسكندرية . ولكنهم فشلوا في اقتحامها ((فانتشروا في بقية البلاد ينشرون فيها الدمار والفساد ، ويساعدهم اخوانهم يهود مصر الذين اشتركوا في الثورة على السلطات الرومانية في مصر)) (107) .

لقد دمر اليهود كل شيء أثناء الثورة وامتدادها الى مصر، اذ تجاوزت أعداد الضحايا المصريين ضحايا منطقة برقة (108) مما يدل على الشراسة والكراهية والحقد الذي يحمله اليهود في صدورهم على جيرانهم، وعلى السلطات الرومانية .

حدث كل هذا والامبراطور تراجان (Trajan) مشغول في حربه ضد البرثيين (Les Parthes) (109) ولما انهى مهمته ضدهم، اشتغل بالثورة، فارسل جيشا عظيما يتكون من المشاة والبحرية والخيالة تحت قيادة ماركوس توربو (M. Turbo) (110) الذي استطاع أن يقضي على ثورة اليهود في برقة سنة 118م بعد أن استمرت ثلاث سنوات .

---

104) ــ اختلف في اسم زعيم الثورة فمنهم من قال " اندري " ومنهم من قال تحت زعامة " لوكاس " ( ) ، أنظر
Cahen, Les Juifs dans l'Afrique Septentrionale, P. 15.

105) ــ ديون كاسيوس: مؤرخ ولد في نيقيا حوالي 155م وتوفي حوالي 235م، كتب بالاغريقية تاريخا للرومان .

106) ــ نقلا عن بعيوء المشروع الصهيوني ، ص 31 .

107) ــ نفسه ، ص 32 .

108) ــ مجهول ، تاريخنا ، ج 3، ص 133 .

109) ــ أنظر: Michel. Rouche, Les empires universels. 2-4 Siècles livre de poche, Paris Larousse, 1968, P. 42

110) ــ أنظر: D'Avezac. l'Afrique, P. 127.

لم يحدد الذين كتبوا عن هذه الثورة الاسباب الحقيقية الكامنة وراءها . فاكتفى أحدهم بقوله ((ان الاسباب مجهولة)) (111) . ولكن من خلال التنظيم الواضح ، واختيار الوقت المناسب أي أثناء انشغال تراجان بحروبه الخارجية ، وانتشارها بسرعة ، وشموليتها ، وضراوتها ، تؤكد أنها مؤامرة يهودية مبيتة ذات أهداف واضحة ، شارك الربي أكيبة (RABBIN-AKIBA) في بلورتها مع بقية اليهود الناقمين على السلطات الرومانية التي لم تستجب لمطامحهم في هذه المرة ، ولم ترضخ لضغوطهم .

وبانتهاء الثورة وقمعها دمويا (112) انتهى دور يهود منطقة برقة وبالتالي انتقل مركز القوى لديهم في الشمال ما بين السرت والمغرب الاقصى خاصة قرطاجة وكذلك شرشال التي ازدهرت بها جالية يهودية في عهد يوبا الثاني كما وصفها ابن أشنهو بقوله (113) ((كان اليهود كثيرين بشرشال في عهد يوبا يتعاطون التجارة والحرف وكان لهم معبد كبير (ARCHI-SYNAGO) على رأسه حاخام ذو أهمية يدل ذلك على كثرة عددهم والحال انهم كانوا يتمتعون بكل حرية للقيام بشعائرهم لما كان ليوبا من العطف عليهم)) (114) .

---

111) — أنظر Cahen. Les juifs dans l'Afrique Septentrionale P. 14.

112) — Rouche. les Empires Universels, P. 42.

113) — عبد الحميد بن أشنهو ، الملك العالم يوبا الثاني وزوجه كليوباطرة سلين ، الجزائر ، وزارة الاخبار والثقافة ، مديرية الثقافة ، 1971 ، ص 41 .

114) — يوبا الثاني حكم من سنة 25 ق م حتى 23 بعد الميلاد ، حمل الى روما وهو صغير بعد انهزام والده يوبا الاول . قامت بتربيته أخت الامبراطور الروماني أكتافيوس ، وبعد أن شب كلف ونصب ملكا على موريطانيا وقد كان مجرد منفذ لاوامر الرومان مما اتاح لهم التغلغل في المغرب أكثر ضمن سياسة الرومنة . كما شارك في قمع الثورات التي قام بها المغاربة كالتدخل ضد الموزولامي وأيضا ضد تاكفاريناس . ولم يكن الانتظار منه أقل من هذا من أحد صنائع الرومان . تزوج بيهودية تدعى تلافيرة ، واتخذ من أقرب اليهودي طبيبا وهو ما يشرح عطف يوبا الثاني على اليهود ، ووجود عدد كبير منهم في عاصمته ، أنظر ، ابن اشنهو ، الملك العالم ، ص 25 ، 26 ، محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية الى سقوط موريطانيا ، الجزائر ، ش و ن ت ، 1982 ، ص 82 .
MAHFOUD KADDACHE, l'Algérie dans l'Antiquité, Alger, SNED. 1972, pp. 103-104.

والمسألة التي يمكن التوقف عندها هي عدم مشاركة اليهود في قرطاجة وكذا في منطقة قيصرية في الثورة ضد الرومان . هل وضعيتهم في هذه المناطق لا تسمح لهم بالتجاوب مع الثورة ؟ أم أن عددهم يعتبر قليلا بالمقارنة مع عدد يهود قورينة وبالتالي رفضوا الدخول في معركة خاسرة مسبقا ؟ أم أن هناك صراعا أو تجافيا بين الجاليتين ؟

ان الاشارات التاريخية تشير الى مجيء الربي أكيبة الى المغرب وبالضبط الى منطقة قرطاجة وذلك حسب التلمود (115) فالرجل يعتبر من بين أعظم الشخصيات اليهودية تأثيرا في الاحداث اذ يربط البعض بين قدومه للمغرب وتزامن الثورة ضد الرومان . فوجوده يعني اثارة العناصر اليهودية بالمغرب ، غير انها نظرت الى الاحداث دون المشاركة فيها مشاركة عملية .

وفي الواقع لا يمكن الاجابة على هذه التساؤلات في الوقت الحاضر لقلة النصوص التي تتعلق بهذه القضية . ولكن الشيء المؤكد هو ان يهود قرطاجة ونوميديا أقل عددا من الجالية الضخمة في برقة . وعلى ما يبدو أكثر استقرارا وتقربا من السلطات الرومانية التي منحتهم ادارة شؤونهم بأنفسهم ضمن القوانين اليهودية .

أما عن علاقة اليهود بالمسيحية (116) في المغرب فهي علاقة عداء وتصادم على الرغم مما قيل عن انتشار المسيحية في بداية الامر في أوساط الجالية اليهودية (117) .

لقد قام اليهود بدور خطير في اضطهاد المسيحيين في أوروبا وبصفة خاصة في روما متصدين للدين الجديد ((ووصفوه بأنه الدين الجديد الذي يسعى الى تخريب مبادئ التلمود ناموسهم الاساسي الذي لا تقل قدسيته في نظرهم عن العهد القديم (118) . وقاموا بشن حملة من التهم والافتراءات على موسس المسيحية وحوارييه وتلاميذه تستهدف تصفيتهم والحط من قدسيتهم)) (119) .

---

115) — Chouraki Marche P. 23 et note N 3.

116) — عن انتشار المسيحية بالمغرب ، أنظر ، شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ص ص 265 — 268 .

117) — أنظر: Paul Monceaux, Histoire litteraire de l'Afrique Chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe, Paris, Ernest Le Poux, 1901, T1, P. 9.

118) — العهد القديم يسمى التوراة وبالعبرية ((تورة)) ومعناه الهدى والارشاد يتكون من 39 سفرا وهو الاسفار المقدسة التي ظهرت قبل السيد المسيح عليه السلام، أنظر، سوسة، مفصل العرب واليهود ، ص 330 وما يليها .

119) — محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس، ص 8 .

وكما هو الشأن في أوروبا ، كان الوضع نفسه في المغرب . فقد أثار اليهود العناصر الوثنية في وجه المسيحيين لاضطهادهم (120) ومضايقتهم مثلما أكد طرطوليانوس وقد نشطت الدعاية اليهودية لتوقيف تيار المسيحية الجارف.

ولم يكتف هؤلاء بالعمل الدعائي المباشر وغير المباشر، وبالجدل الديني ، بل تجاوزوا حدود اللياقة مستعملين الاساليب الساخرة والتهكمية التي تمس شخصية المسيح عليه السلام . ومن هذه الاساليب عمل أحد اليهود في شوارع مدينة قرطاجة صورة كاريكاتورية للمسيح في ثوب فضفاض وأقدام ظلفاء ، يحمل كتابا . وقد كتب بجانب الرسم ((رب المسيحيين ينام مع الحمير)) (121).

ومقابل هذه الاعمال نشط المسيحيون للدفاع عن انفسهم ونصرة دينهم . ومن بين المدافعين طرطوليانوس الذي ألف كتابا بعنوان ((ضد اليهود)) ما بين 200 و206 م (122) للرد عليهم ، ودحض حججهم ، وبين مواقفهم المضادة للمسيحية . كما الف كتابا آخر يعد أكثر شهرة ((L'APOLOGIQUE)) للدفاع عن المسيحية ومحاولة توطيد أركانها ونشرها بين الناس.

قال طرطوليانوس عن اليهود ((ان عماء اليهود يبدو في طموحهم وكبريائهم لانهم يحلمون دائما بالعظمة الدنيوية)) (123). انه هنا يتوغل في أغوار نفوس اليهود مؤكدا حقيقة ما يتمناه اليهودي من المتاع والمال في الحياة الدنيا . ان التلمود يوضح مدى سيطرة فكرة حب الثراء لديهم بعد ظهور المسيح المنتظر ((وفي ذلك اليوم تكون الامة اليهودية غاية في الثراء لانها تكون قد ملكت كل أموال العالم)) (124). فهمهم الاوحد جمع الاموال في الدنيا وبأي وسيلة كانت ولو وضيعة، وقد ابرز أحد الكتاب المعاصرين هذا الموقف ((ليس في تاريخ البشرية أمة اشتهرت بحب المال والسعي الى جمعه كما اشتهر به اليهود فقد سلكوا في ذلك كل الطرق المشروعة وغير المشروعة حتى ما كان بعيدا عن المروءة ...)) (125).

---

120) ـ أنظر: Monceaux, les Colonies Juives, P. 161.

121) ـ أنظر: Ibid, P. 174.

122) ـ أنظر: Eisenbeth , les Juifs, P.7.

123) ـ أنظر: Monceaux, les Colonies Juives, P.175.

124) ـ سليمان مظهر، قصة الديانات ، دار الوطن العربي ، دون تاريخ ، ص 376 .

125) ـ عفيف عبد الفتاح طبارة ، اليهود في القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين 1982 ط 9 ، ص 32 .

وعلى الرغم من الفارق الزمني فان سلوكات اليهود لم تتغير، فعبادة المال هي الاساس لديهم ، مما حدا بالسيد المسيح أن يخاطبهم بقوله ((لا تعبدوا ربين : الله والمال)) (126) . ويشير ("ول ديورانت" الى ظاهرة حب اليهود للجانب المادي المتمثل في الحياة الدنيا ((ان اليهود قلما كانوا يشيرون الى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء من الخلود ، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا)) (127) .

كما دافع عن المسيحية ضد اليهود " منيسيوس فلكس" (Minucius Felix) وأسقف قرطاجة " كيبريانوس " (CYPRIANNUS) (128) والشاعر " كومود يان " (Commudian) و " سان أغستان " (Saint- Augustin) أسقف بونة (129) الذي قام بدور عظيم في سبيل اثبات العقيدة المسيحية . كما كتب رسالة عن اليهود (Tractatus adversus Judaeos) وكتيبا يحمل عنوان ((حوار حول نزاع المسيحية واليهودية)) يشرح فيهما الخلاف القائم بين الديانتين وجوانب عديدة من الجدل الديني (130) .

ان هذا التراكم الكبير للادب المسيحي ضد اليهود يوضح مدى الدور الخطير الذي لعبه هؤلاء في الوقوف ضد انتشار الافكار المسيحية بين السكان المغاربة وبين اليهود انفسهم ، ومحاولة زرع الشقاق بين العناصر السكانية مما ((يؤكد صفة الابتزاز المتأصلة في اليهود منذ القدم والمتمثلة في اثارة الاخرين ضد بعضهم قصد اضعافهم وتكريس العداوة بينهم كي يخلو لهم الجو وينصرف عنهم اهتمام أعدائهم بهم)) (131) .

---

127) ــ نفسه ، ص 33 .

128) ــ كيبريانوس ، ولد حوالي 210 م بقرطاجة، تعاطى المحاماة وارتقى الى درجة أسقف، ألف 12 تأليفا في العلوم الدينية ، قتل عام 253 م بعد أن نال من العذاب الاليم في سبيل العقيدة المسيحية .

129) ــ سان أغستان (354 ــ 430م) ولد قرب عنابة ، تلقى تعليمه بمسقط رأسه ثم مدوروش التحق بقرطاجة فأتم تعليمه العالي . سافر الى روما حيث درس بها ، ثم عاد الى المغرب وهناك تولى أسقفية عنابة . من أثاره في العقيدة المسيحية وفلسفة التاريخ ((الاعترافات)) و ((العقيدة المسيحية)) و ((الثالوث)) و ((مدينة الله)) .

130) ــ أنظر : Monceaux, les Colonies Juives, PP.180.182.

131) ــ شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ص 193 .

ولم يقتصر موقف المسيحيين في الرد على اليهود كتابة وجدلا وانما تدخلت السلطات العليا الكنسية في المجامع الدينية لوقف اليهود عند حدهم ففي مجمع " ألفير " (ALVIRE) باسبانيا ، والذى شارك فيه المسيحيون من المغرب سنة 303 م (132) وجه نداء للمسيحيين بعدم الاختلاط باليهود في السكن والأكل ، والا يسمحوا لرجال الدين اليهود بمباركة محاصيلهم الزراعية مثلما تعودوا من قبل (133) . وعلى مايبدو لم يؤخذ هذا النداء بجدية لان المشاركة في المجلس اقتصرت على رجال الدين المسيحيين في اسبانيا والمغرب دون غيرهم لتركيته من طرف الجميع وليصبح هذا الاجراء خاضعا لرقابة صارمة من كل المسيحيين .

غير أن هذه الوضعية لم تستمر ، اذ تغير الموقف تماما بعد اعتناق الامبراطور " قسطنطين " المسيحية سنة 312 م وأصبحت الديانة الرسمية هي المسيحية . فعمل على توحيد الديانة في أرجاء الامبراطورية تحت اشراف الدولة .

أما عن علاقة اليهود بالمسيحيين في عصره ، فقد اتخذ مجلس أنطاكية (LAODICEE) (134) المنعقد سنة 320 م قرار يمنع الحصول على الهدايا والاعطايات من اليهود ، كما منع الاختلاط بهم ، واقامة علاقات بين اليهود والمسيحيين مهما كان نوعها ، غير أن أبواب الكنائس لم تغلق في وجوههم نهائيا ، اذ بامكانهم الاستماع الى قراءة الانجيل (135) وتعليم رجال الدين (136) فقط حتى لا يتعرف اليهود على أسرار اقامة الشعائر الدينية ويتخذونها وسيلة للسخرية منهم ، وهذا في كنف الصراع الديني ، والجدل المستمر بين اليهود والمسيحيين . وقد يكون هذا التساهل من المسيحيين محاولة جذب عدد من اليهود وادخالهم في المسيحية عن طريق الترغيب .

---

132) ـ أنظر : Cahen, les Juifs dans l'Afrique septentrionale, P.18.

133) ـ محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 14 . Cahen, op, cit, P.18.

134) ـ لاوديسي (LAODICEE) مدينة باسيا الصغرى على الساحل السوري وتدعى اليوم انطاكية .

ـ أورد المورخ " يوسابيوس " رسالة أمر فيها الامبراطور رجال الكنيسة بالكف عن التدخل في الشوون السياسية راجع تاريخ الكنيسة ، ص ص 462 ـ 463 .

135) ـ الانجيل : كلمة يونانية تعني البشارة أى بشرى بقدوم المسيح ، والانجيل مجموعة أعمال المسيح وأقواله تحتوى على أربع روايات وضعها كل من متى ويوحنا ، ولوقا ومرقص ، للتوسع أكثر ، راجع محمد أبوزهرة ، محاضرات في النصرانية ، تقديم الدكتور عمار طالبي ، وتسديد الشيخ محمد الغزالي ، الجزائر شركة الشهاب ، 1989 ، ص ، 112 ـ 140 .

136) ـ أنظر : Cahen, op, cit, p.18.

وفي مجمع نيقيا (NICEE) * المنعقد سنة 325 م بدعوة من الامبراطور قسطنطين خطا المسيحيون خطوة أخرى للابتعاد عن اليهود حيث منع على رجال الدين والعامة من الاكل معهم (137). وهذه الاجراءات تدخل ضمن السرد على اليهود بسبب المشكلات التي أثاروها أمام المسيحية ولعزلهم عن المجتمع الذين يعيشون فيه ، كما هي على ما يبدو محاولة لاخراج اليهود الذين يخفون تنصرهم، وتشجيع اليهود على اعتناق الدين الجديد .

وفي الحقيقة، ان الامبراطور المسيحي لم يكن قاسيا ومتشددا على اليهود مما سمح للكثيرين منهم بالحفاظ على دياناتهم ، ولعل هذه المضايقة تهدف بالسماح للديانة المسيحية التعبير عن حقيقتها في جو خال من المنافسة ، خاصة وأن الجدل المذهبي بين المسيحيين أنفسهم قد وصل الى درجة كبيرة من الحرارة والشدة ، ان لم نقل العنف ،(138) على الرغم من سياسة التوازن التي انتهجها الامبراطور.

ولما خلف " قسطانس" (Constance) (139) " قسطنطين" أصبحت الاجراءات أكثر شدة من الناحية الاجتماعية على اليهود وذلك بمنع الزواج بينهم وبين المسيحيين ، كما منعهم من امتلاك العبيد المسيحيين ، ومعاقبة المرتدين من اليهود بمصادرة أملاكهم (140).

ان مسألة منع اليهود من امتلاك العبيد لها جانب اقتصادي، اذ بواسطته يمكن ضرب مصالح الاثرياء، الذين يملكون اعدادا كبيرة من هؤلاء عن طريق تشجيع العبيد المتنصرين للخروج من وضعيتهم الاجتماعية البائسة ، وأيضا ضرب مصالح تجار الرقيق من اليهود . وبالتالي بدأ الجانب الاقتصادي يمتزج ويتداخل بالعامل الديني ، واتخاذه وسيلة من وسائل الضغط ضدهم، خاصة اذا عرفنا طغيان سلطان المادة على الروح في عرف الاوساط اليهودية . ويصف زعيم المادية " كارل ماركس" هذه الظاهرة بقوله ((ان اله اليهود اله علماني وهم يعبدون المال ويصبوه الاهانة، والمتاجرة هي دياناتهم الحقيقية، وبجانب المال لم يعد يعيش بينهم اله آخر)) (141).

* ـ عن انعقاد هذا المجمع أنظر: René Metz,histoire des Conciles,Paris, P.4.F,(que sais-je?),n)11&,1964,PP 20-22.

(137) ـ أنظر : Cohen,les juifs dans l'Afrique Septentrionale,p.19.

(138) ـ يتمحور الجدل بين مختلف المذاهب على طبيعة المسيح فالاريوسية تنكر ألوهية المسيح على أساس نكران صفة الشبه بين الاب والابن واعتبرت ان ابن الله ليس الا مخلوقا ، راجع ، السيد الباز العريني ، الدولة البزنطية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1982 ، ص 32.

(139) ـ قسطانس (Constance) تولى شؤون الامبراطورية من 351 ـ 361م.

(140) ـ أنظر :

(141) ـ عبد المنعم الحفني ، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، بيروت دار المسيرة 1980 ، ص 65.

لقد كانت ثورة اليهود بقورينة ضد الرومان كما رأينا مؤامرة يهودية ضـــد الرومان . ويعلل بعضهم الحلف بوحدة المصلحة في القضاء على الوجود الروماني والاغريقي في المنطقـــة . غير أن هذا التفسير يدلل لهذه القضية من جانب واحـد . ينحصر في وحدة المصلحة الآنية .

ولا بد من النظر الى الجانب الآخر ليكتمل الطرح الحقيقي . فالصراع يجمع الاجانب سواء كانوا رومانا أو اغريقا أو يهودا ، فهم بالنسبة للمغربي دخلاء، فلماذا التحالف مع طرف معين دون الاخرين ؟ماذا يربح الانسان المغربي بانتصار أحد هؤلاء على الآخر ؟ وبالنسبة له التصارع بين القوى الثلاث هو في الاصل لصالحـــه . وبالتالي فان القول بالتحالف مع اليهود يجانب الواقع السياســـي المطروح في تلك الفترة على أرض المغرب .

وعرفنا كيف أن اليهود يتعالون على بقية الشعوب باعتبارهم شعب اللـه المختار ، فالتلمود يوضح ذلك جيدا وبصورة جلية ((الفرق بين درجة الانسان والحيوان كالفرق بين اليهود وبقية الشعوب)) (142) هذا بالنسبة للشعوب بما فيهم المغاربة . ولكن ما هي نظرة التلمود لسكان المغرب ؟ يجيب على هذا السؤال بكل وضوح ((ان سكان المغرب شعب من المجرمين)) (143). ان هذه النظرة المتعالية المستمدة من النصوص الدينية لا يستطيع اليهود اخفاءها عـن وجـــــه المغاربة ، وان خفيت فليس لمدة طويلة . فسلوكات اليهود اليوميـــة المتمثلـــة في الاحتقار والابتزاز ستظهـــر على السطح لا محالة مهما طال الامد . مما يجعل الانسان المغربي يبتعد عن اليهود وهو ما يسقط أطروحة التحالـــــف المزعومـــة ، والملفقـــــة .

ومن خلال الاحداث التاريخية عرفنا أيضا كيف أن اليهود اضطهدوا المسيحيين ومنهم دون شك المغاربة . ان هذا الاضطهاد يزيد في تعميـــق الهوة لان المسيحية في نظر المغاربة هي الرفض للوجود الروماني في بدايـــة الامر أي قبل أن تتنصر السلطة ، ثم تحول الى تيار رافض للدولة الرومانيـــــة بعد تنصرها والذي تبلور بوضوح وجلاء في الحركة الدوناتية التي اعتمدت علـــى الطبقة الفقيرة . وعلى المتضررين من الوجود الاستعماري الروماني .

---

142) ــ مظهر، قصة الديانات ، ص 376 .

143) ــ والنص الوارد كما هو لدى المؤلف بالفرنسية

وعلى كل ليست هناك نصوص واضحة وصريحة تبين مدى علاقة السكان المغاربة باليهود سوى الجانب الديني (144) الذي يجب اعادة النظر فيــــه بصورة جدية لتوضيح بعض الاثر اليهودي ، حتى لا يبقى مطية للصهيونية ومن يدور في فلجهـــا .

4) ـ اليهـــود في العهـــد الوندالي :

انقسمت الامبراطورية الرومانية سنة 395م الى قسمين بين ابني ثيودوسيوس فكان من نصيب " أركاديوس " الشرق و " هنوريوس " الغرب . وفي بداية القرن الخامس الميلادي أصبحت الامبراطورية تعيش في حالة ضعف واضمحلال من جراء الانقسامات الدينية والفتن الداخلية مما سمح للشعوب البربرية التحرش بها (145) .

في هذه الاونة استطاعت الاقوام المتبربرة ومنهم الوندال الدخول الى اسبانيا الذين بقوا ينتظرون الفرصة المناسبة للاستيلاء على المغرب قصد الاستفادة من خيراته الزراعية (146) الوفيرة التي عرف بها منذ العهد الروماني .

وجاءت الفرصة المنتظرة من " بونيفاس " القائد الروماني بالمغرب والذي اختلف مع القصر الامبراطوري . فاستنجد بهم ((وهكذا بدأ اكتساح الونـــدال الحقيقي لافريقيا عن طريق طنجة وسبتة سنة 429 م في جيش لا يقل عدده عــن ثمانين ألف)) (147) زارعين الدمار والخراب في طريقهم .

---

144) ـ يعتمد هؤلاء الذين يسلمون بالاثر الديني على بعض الاسماء وعلــى بعض العادات اليهودية التي انتشرت بين السكان المغاربة . ولكن هذه الظواهــر ليست دليلا قطعيا على اعتناق اليهودية والتأثر بها . فالــى وقت قريب توجد الكثير من العائلات التي تستعمل الوشم وهي عادة قديمة للتفريق بين المسيحي الذي يحمل علامة الصليب والوثني ، وعلى الرغم من بعد الزمن وهي بعيدة كل البعد عن المسيحية . وكذا بعض العادات الاخرى كالاحتفال بالاعياد وما شابه ذلك .

145) ـ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، بيروت ، دار النهضة العربيــة ، 1981 ، ج 2 ، ص 2 .

146) ـ نفســـه ، ص 2 .

147) ـ ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، 1984 ، ط 2 ج 1 ص 63 .

وفي تلك الاثناء عاد " بونيفاس" ليحارب الوندال الى جانب الرومان ، فاعتصم في مدينة عنابة ينتظر المدد . فضرب عليه " جنسريك " حصارا دام حوالي عاما ونصفـــا . وفي النهاية عقدت هدنة بين الوندال والرومان سنة 435 م تمكن بمقتضاها الوندال من الحصول على الاستيطان بافريقيا في مقابل دفع ضرائب خفيفة غير أنهم خرقوا الاتفاق واستولوا على قرطاجة سنة 439م . ورغم المحاولات الرومانية لاسترداد مناطق نفوذهم ، فقد باءت بالفشل . مما جعل في نهايـــة الامر الامبراطورية الغربية أن تعترف بسيادة الزعيم الوندالي سنة 476م (148).

لقد رحب اليهود بالوندال ، لان هؤلاء تمتعوا بحرية تامة لاعتبارات دينية مذهبية ، حيث يتمسك الوندال بالمذهب الاريوسي ، مما سمح لهم باضطهاد بقية المذاهب المسيحية الاخرى وهو ما يساير سياسة اليهود المتمثلة في سياسة فرق تســـد . بالاضافة الى أن هذه الاضطهادات جرت بموافقة اليهود عليها (149) .

لم يجد النازحون الجدد الى المغرب مقاومة تذكر من طرف اليهود . لذلك حاربوا المسيحية أكثر مما حاربوا اليهودية (150) وهو ما يفسر تسامح الوندال معهم . فالنصوص خالية من الاشارة لليهود ، خاصة الجوانب المتعلقة بعلاقتهـــم بالونـــدال .

وفي ظل هذا التسامح والحرية المطلقة ، مارس اليهود نشاطهم الاقتصادي المعتمد أساسا على التجارة والصناعة دون مضايقة أو خوف (151) .

ان اهتمام الوندال بالمسيحيين والتنكيل بهم ، حيث ((صادروا كنائسهم وما فيها من كنوز وتحـــف)) (152) ، سمح لليهود بأداء شعائرهم الدينية بكـل حريـــة . نتيجة تحول اهتمامات المسيحيين عنهم ، للاشتغال بأنفســـهم ، والبحث عن وسيلة للخروج من وضعيتهم المحرجـــة .

---

148) ــ نفســه ، ص 63 ــ 64 .

149) ــ الجيلالي ، تاريخ الجزائر ، ج 1 ، ص 95 .

150) ــ أنظر : Cahen, OP. Cit, P.21.

151) ــ أنظر : Ibid, P.22

152) ــ سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 35 .

فان كان السواد الاعظم من المسيحيين في المغرب قد انشغل بالوضعية الجديدة الناجمة عن السادة الجدد ، فان رجال الدين لم يتركوا جانبا الاهتمام بالصراع المسيحي ــ اليهودي ، فهذا أحدهم المدعو " كالسوس" (GELSUS) قد كتب في مقدمة رسالة لاهوتية مؤرخة في أواخر القرن الخامس الميلادي ، تحدث فيها عن تعنت اليهود الذي يفوق تعنت الوثنيين (153).

هذه الكلمات لاحد رجال الدين المسيحيين الذين يعيشون اضطهادا بشعا على أيدي الوندال القساة ، تبين مدى أهمية دور رجال الدين للوقوف والتنديد باليهود حتى في أحلك أيامهم (154).

5)ــ اليهود في العهـــد البيزنطي :

يعود تقريبا السبب المباشر لانتهاء الحكم الوندالي الى ثورات المغاربة ـ الذين سيطروا على موريطانيا الطنجية ، والقيصرية ، وموريطانيا السطايفيـــــة ، ونوميديا الجنوبية (155). وفي عهد " هيلدريك " (HILDERIC) (156) استمرت الثورة ضـــده بقيادة " ابدالاس" . فخلع " هيلدريك " من منصبه وأعلن " جليمار" (GELIMER) ملكا على الوندال خلفا له (156).

وفي هذه الاثناء تدخل الامبراطور "جوستنيان" ليطالب بارجـــاع الملك المخلوع الى عرشـــه لما بينهما من صداقة ، غير أن " جليمار"((رد عليه ردا قبيحا أثاره ، وجعله يفكر جديا في محاربة الوندال واسترجاع المغرب. واستعادة أمجاد الامبراطورية الرومانية)) (157).

فجهز الامبراطور البيزنطي جيشا بقيادة " بلزاريوس"(BELISAIRE)

---

153)ـ Monceaux, Les Colonies Juives, P. 182.

154)ــ ان الضربات التي تلقاها المسيحيون الكاثوليك على أيدي الوندال موجهة، لها بعد سياسي وديني فعدد رجال الدين الذين نفاهم " هنريك " الى الصحراء قد يبلغ: 4976 كاثوليكيا . وهم على ما يبدو من الذيـــن رفضوا الاعتراف بالسلطة الوندالية فكان مصيرهم النفي والتهجير ، أنظر:
D'AVEZAC , Afrique Ancienne, P? 214.

155)ــ سالم ، المغرب الكبير، ج 2 ، ص 29 .
Kaddache, L'Algérie dans l'Antiquité, P 208.

156)ــ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ص 65 .

157)ــ سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 30 .

الذي استطاع أن ينتصر على الجيوش الوندالية في معركتين حاسمتين غرب قرطاجة (158) وبذلك عادت منطقة المغرب الى الامبراطورية الرومانية وأيضا الى حظيرة الكاثوليكية (159) في سنة 533م بعد أن دام الحكم الوندالي حوالي مائة سنة لم يترك خلالها أثرا يـــذكر.

بعد هذه العودة الى سيادة الامبراطورية الرومانية في عهد " جستنيان " اهتم الامبراطور باعادة هيبة الكنيسة الكاثوليكية ورد لها ممتلكاتها (160) التـــي انتزعت منها اثناء الحكم السابق.

ولم ينتظر طويلا لاصدار متجـــدد (NOVELLE) (161) يحمل رقـــم 146 يحدد فيه القاعدة القانونية الجديدة لمحاربة اليهودية (162) دون هوادة، وكذا بقيـــة العقائد الدينيـــة.

تضرر اليهود في عهد " جستنيان " بصورة خاصة ((انتقاما منهم حيث أعانوا الوندال على مقاومة مذهب الروم فيما سبق)) (163) على الرغم من مساعدات الجاليات اليهودية قصد استعادة الاراضي الغربية حيث اعتمد عليهم البيزنطيون كطابور خامس (164). ولعل اشتراك اليهود في انجاح مشاريع الامبراطـــور يقصد منه الحفاظ على مصالحهم المادية والمعنوية وليست هذه المساعدة عفويـــة لشعورهم بضعف الوندال وتردي أوضاعهم. /

والتضييق على اليهود، ومجمل العقائد الاخرى يدخل ضمن سياســـــة " جستنيان " المتمثلة في ايجاد قانون واحد وعقيدة واحدة للحفاظ على كيان الامبراطورية كوحدة متكاملة في جميع الميادين تحت اشرافــــه، باعتباره من أخلاف القياصرة الـــــرومان، وعلى عاتقه يعاد مجد الامبراطورية كما كانت في سيرتها الاولى.

---

(158) ـ عن هاتين المعركتين، أنظر، عبد العزيز سالم، المغرب الكبير،ج 2، ص ص 43 ـ 45.

(159) ـ هـ. أ. ل. فيشر، تاريخ أوروبا، العصور الوسطى، تعريب محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1976، ط6، ص 48.

(160) ـ أنظر: Chouraqui , O.P. Cit, P.41.

(161) ـ أن الشرائع الرومانية في عهد جستنيان مرتبة كما يلي: القانون (Codex) شرح الاحكام (Digest) أصول القانون (Institutes) المتجددات (Nouvellae)، أنظر، فيشر، تاريخ أوروبا، ص 55.

(162) ـ أنظر: Chouraqui, O.P. Cit, P. 42 , Eisenbeth, OP. Cit, P.7.

(163) ـ الجيلالي، نفسه، ص 103.

(164) ـ أرشيبالد. ر. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، القاهـــرة، مكتبة النهضة المصرية، 1960، ص 41.

ومن أجل ذلك حارب اليهود وغيرهم متخذا تدعيم الكنيسة الكاثوليكيــة وسيلة من الوسائل لتحقيق حلمـــه . فمدها بالدعم اللازم ، وبعث الارساليات التبشيرية بهدف نشر المسيحية بين قبائل الداروب والتوتاز وشمال افريقيا وحوض النيل (165).

أما مدى الضرر الذي لحق بهم ، فقد أبعدوا من الوظائف العامة (166) في الدولة ، ومنعهم من مزاولة المهن الحرة ، كما ابعدوا من صفوف الجيش (167) الذي يعتبر أداة التدخل لفرض سلطان القانون الجديد وقمع الثورات ، والفتــك بالمناهضيـــن .

وتبعا لسياسة " جستنيان " حولت البيع اليهودية الى كنائس ، وفرض المنع على الديانة اليهودية ، وكل الاجتماعات (168). وفي بعض الاحيان يحولـــون بالقوة للديانة المسيحيـــة ، مثلما حدث ليهود بوريون (BORION) فـــي ليبيـــا (169) بعد فشل ثورتهم ضد السلطات المسيحيـــة (170).

وقد نصت اجراءات أخرى مثل منع التزاوج بين اليهود والمسيحيين بل تجاوز القانون أحيانا المنع الى القتل (171) قصد الابتعاد عن اللبس الذي ينجم من تكاثر مثل هذا الاقتران الذي يهدف في بعض الاحيان الى الهروب من القوانين السارية أو الجارية المفعول .

بفضل هذه السياسة التي انتهجها " جستنيان " مع اليهود ، انكمشــت الجاليات حول نفسها ، فهي لا تمكن في مثل هذه الظروف القيام بالثورة لان النهاية بالفشل تعني التنصر ، أو الموت بالنسبة للمتعصبين الذين لا يلقون أسلحتهم ، أو الاختيار المتمثل في الهجرة الاختيارية نحو مناطق أقل تمسكا بالقوانين الجاريـــة وتطبيقها بصرامة مما أدى بالكثيرين الى اختيار الهجرة الى اسبانيا وايطاليا (171).

---

165) ـ العربي ، الدولة البيزنطية ، ص 101 .

166) ـ أنظـــر : Monceaux , O.P. Cit, P. 183.

167) ـ أنظر : Efsenbeth, O.P. Cit, P. 6.

168) ـ أنظر : Monceaux, O.P. Cit, P. 183.

169) ـ أنظر : D'Avezac, O.P. Cit, P. 140. 141.

170) ـ أنظر : Chouraqui, O.P. Cit, P. 43.

171) ـ أنظر : Misses, O.P. Cit, P. 82, Monceaux, OP, Cit, P. 183.

فان كانت الهجرة الجماعية مقبولة من الناحية التاريخية ، فلا يستبعد تنصر عدد كبير من اليهود في المغرب اثر صدور القوانين التي تضايقهم . لانه ليس من اليسر على كل اليهود الهجرة بعيدا عن المغرب ، خاصة الطبقات الفقيرة التي لا تملك الامكانيات اللازمة والضرورية للهجرة ، صوب البلاد الاوروبية التي تعج بالجاليات اليهودية العاملة في الميدان التجاري بالمدن الكبرى . كناربون ومرسيليا وآرل في فرنسا . واشبيلية وقادس وطليطلة وقرطبة في اسبانيا بالاضافة الى يهود نابولي في ايطاليا (172).

وهذه الحقائق تدعو الى التسليم بتسرب بعض الافراد الى الداخل قصد الكد والعمل للحصول على لقمة العيش بعيدا عن المضايقات خاصة على طول الطرق التجارية ، والمدن الداخلية ، وليس كما يذهب أو يعتقد البعض لنشر الديانة اليهودية بين السكان (173) والتحالف معهم لضرب القوى البيزنطية .

وفي نهاية القرن السادس للميلاد خفت الاجراءات الصارمة ضد اليهود . فالامبراطور " موريس" (MAURICE) (174) منع تمسيح اليهود بالقوة . وأمر باعادة البيع الى أصحابها (175) في الوقت الذي أظهر فيه البابا " جريجوري " الاول (176) نوعا من التسامح تجاه اليهود في صقلية وسردينيا (177).

يقابل هذا التزامن في تخفيف الوطأة على اليهود من طرف السلطات الدنيوية والدينية ، غليان وفوران في المغرب احجبتهما نار الثورة الكامنة في صدور المغاربة على الوجود الاجنبي البيزنطي .

---

172) ـ أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية ص 22 .

173) ـ Hamet, O.P., Cit, P.4, Monceaux, OP.cit, P.183.

174) ـ الامبراطور موريس (582 ـ 602م) من أسرة جستنيان . ((يعتبر من أشهر اباطرة الامبراطورية البيزنطية ، لما اتصف به من الخبرة الحربية والزعامة السياسية)) أنظر ، السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، ص 102 ـ 103 .

175) ـ Chouraqui, O.P. Cit, P.43.

176) ـ جريجوري الاول الكبير اعتلى كرسي البابوية في روما ما بين 590ـ604م من أهم اعماله اصلاح الكنيسة وتنظيمها ، كما حافظ على استقلالها ، ورفض ضغوط الامبراطور عليه ، أنظر السيد الباز العريني ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1963 ، ص 179ـ180

177) ـ Monceaux, O.P. Cit, P. 183.

كانت الثورات المحلية سببا في اعادة تنظيم بلاد المغرب اداريا فظهر منصب البطريق الذي يشغله القائد العام للجيش البيزنطي (178) فكان من نصيب " جناديوس " وفي عهده قام المغاربة بثورة في سنتي 595 ــ 596 م لتقويض الوجود البيزنطي حيث توسعوا في غزواتهم ((وأوشكوا على الاستيلاء على قرطاجة . ولما لم يكن في امكان " اجناديوس " منعهم من ذلك ، فقد تظاهر بقبول وجهة نظرهم ، ودعا رؤساءهم الى حفل كبير ، ثم أمر باغلاق أبواب المدينة ، وبقتل ضيوفه وعلى هذا النحو أرغم الغزاة بالانسحاب الى الجبال)) (179) .

أما فيما يتعلق بتسامح " جريجوري الاول " مع اليهود ، فليس من قبيل الصدفة ، فقد قابله بالتنسيق مع الكنيسة الافريقية التي اعتبرها بمثابة للكنيسة الأم التي يجلس على كرسيها في روما بهدف ((محاربة المذهب الدوناتي ، الذي كان يجتذب البائسين ، والضحايا الاجتماعية للامبراطورية البيزنطية))(180) .

تلك الصورة التي يتمثل فيها واقع تخفيف الضغط على اليهود في المغرب وايطاليا ، بهدف التشويق والالتجاء الى القضاء على الثورات المغربية المتكررة والمتلاحقة ، وليس لغرض انساني براق كما بدا للبعض (181) الذين أرادوا اخفاء هذه الحقيقة ، وبالتالي وضعوا امام الاعين صورة تخدم جانبا أحاديا ، لا يمكن قراءتها الا من ناحية انسانية بحتة ، كرد الاعتبار لليهود بعد ما نالهم العذاب المرير نتيجة للتعصب والتجاوزات الدينية والسياسية .

وفي عهد " هرقل " (182) شهد المغرب فترة من السلام تمكن خلالها البابا " جريجوري الاول " من ارسال بعثات لتنصير السكان على أوسع نطاق في المناطق الجبلية والتي كانت مستعصية على البيزنطيين حيث ((نجح القساوسة المسيحيون بين كثير من القبائل البربرية)) (183) . في نفس الوقت بدأ الحرب يكتسحون الامبراطورية البيزنطية أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه (184) .

---

178) ــ عبد العزيز سالم ، المغرب العربي ، ج 2 ، ص 71 ــ 72 ، العريني ، الدولة البيزنطية ، ص 110 ــ 111 .

179) ــ عبد العزيز سالم ، المغرب العربي ، ص 72 .

180) ــ نفسه ، ص 73 .

181) ــ أنظر : Monesmux, O.P, Cit, P.183, Chouraqui, O.P.Cit, P.43.

182) ــ هرقل حكم من 610 حتى 641 ((من أعظم الاباطرة في التاريخ البيزنطي ، فهو على حد قول أحد المؤرخين الذي خلق بيزنطة العصور الوسطى)) أنظر ، العريني ، الدولة البيزنطية ، ص 115 ــ 116 .

183) ــ عبد العزيز سالم ، المغرب العربي ، ص 75 .

184) ــ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص 59 .

استمر وضع اليهود جيدا ، بل تدعمت الجالية اليهودية بالمغرب بعد طرد هم من اسبانيا في بداية القرن السابع الميلادي (185) ، ولكن لا نعرف أهميتها لعدم توفر الكتابات . وقد يكون سبب ذلك اهتمام الكنيسة بالوضع في المغرب كمحاولة تنصير السكان ، والانشغال بالمشكلات الدينية التي برزت في الامبراطورية البيزنطية بعد ظهور مذهب جديد يدعى المونوثيلية (186) .

هذا المذهب الذي لم يتحمس له ابن هرقل قسطنطين الثالث ، في حين سمح للمونوفيزتيين (187) بممارسة مذهبهم بكل حرية ، مما أثار رجال الدين في المغرب ضده ومعاونه الانفصال عن الامبراطورية ، وتنصيب جريجوريوس على العرش (188) .

استطاع هذا الاخير اعلان الاستقلال عن الامبراطورية سنة 646 م وغادر قرطاجة للاقامة في سبيطلة متخذا اياها حاضرة جديدة للمغرب . بينما كان أسطول قسطنطين بقيادة " منويل الخصي الارمني " (189) بمحاولة يائسة لاستعادة مدينة الاسكندرية ، التي دخلت في حوزة المسلمين ، الذين بدأت طوالعهم تجتاز أرض المغرب ((لكشف المنطقة ، والتعرف على سكانها ، وكسبها الى حضيرة الاسلام ، والدولة العربية ، قبل مفاجأتهم بجيوش ضارية تحتل المنطقة عنـــوة)) (190) .

ان هذه الاحداث جعلت المؤرخين يهتمون بها ، أكثر من اهتمامهم بالعنصر اليهودي الذي سيشاهد عهدا جديدا بعد الفتح الاسلامي .

---

185) ـــ Hamet, O.P. Cit, P.5.

186) ـــ المونوثيلية : مذهب يقول : أن للمسيح طبيعتين الهية وبشرية تتسمان بارادة واحدة ، أنظر السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ص 132 .

187) ـــ المونوفيزتية : يجعل هذا المذهب للمسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الالاهية ، أنظر السيد / الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، ص 52 .

188) ـــ عبد العزيز سالم ، المغرب العربي ، ص ص 76 - 77 .

189) شكري فيصل ، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1980 ، ط 5 ، ص 128 ، العريني ، الدولة البيزنطية ، ص 141 .

190) محمد موسى لقبال : المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القيروان حتى انتهاء ثورات الخوارج ، سياسة ، نظم ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981 ، ط 2 ، ص 18 .

اختلف المؤرخون في تحديد معالم الهجرة اليهودية الى المغرب. ولكن على ما يبدو بدأت أثناء مرحلة الارتياد المبكرة للتجار الفينيقيين منذ بداية الالف الاولى قبل الميلاد ، غير أنها لا تتعدى الافراد القلائل لان الاثار لم تترك الدليل القاطع على وجود جاليات كبيرة .

وقد بدأت الجماعات اليهودية تتمدد هذه الديار اثر حملة " نبوخذ نصر " على بيت المقدس سنة 586 م . كما شجع الحكام البطالمة استقرار اليهود منذ القرن الرابع قبل الميلاد .

وتعاظمت الجالية اليهودية في العهد الروماني نظراً لوجود وسائل العيش الافضل . وللتهجير الجماعي الذي قام به " تيتوس" أثناء حملته على بيت المقدس وتحطيم رمزهم الديني سنة 70م .

وفي العهد البيزنطي انجذب اليهود الى المغرب، بعد أن ضيقت عليهم السلطات في اسبانيا الخناق مقابل تخفيفها من طرف الامبراطورية البيزنطية خاصة في أواخر عهدها بالمغرب.

أما عن وضعية اليهود في القديم ، فهي صعبة التحديد لقلة الشاهد الاثري والتاريخي . ويمكن تحديدها خاصة في منطقة قوريئة (شحات حاليا) حيث استوطنت جالية ضخمة ، تضايق منها السكان الاغريق لتحالفهم مع الحكام البطالمة، ولمحاولتهم الاثراء على حساب الاخرين .

وقد تأثر اليهود بالحياة الهلستية في الظاهر، مع المحافظة على ممارسة عاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، مما يؤكد غريزة الانكماش لديهم .

ولما احتل الرومان منطقة المغرب ، استطاع اليهود في البداية الحفاظ على التوازن مع السلطة الرومانية . ولكنهم في نهاية الامر تصادموا معها لاختلاف المصالح الدينية والاقتصادية . مما أدى بهم الى القيام بالثورات والانتفاضات. وأخطر ثورة قاموا بها سنة 115 م في مدينة قوريئة وعمت العديد من المناطق ، غير أن السلطات الرومانية استطاعت القضاء عليها .

وحينما ظهرت المسيحية ، حاربها اليهود بجميع الوسائل المتوفرة لديهم، قابلها المسيحيون بجملة من الاجراءات القمعية والاضطهادات خاصة بعد تنصر الدولة الرومانية .

وتركت المواجهة المسيحية ـ اليهودية تراثا ضخما من الادب الديني والمجادلات التي تساعد على فهم ضراوة التناحر بين الديانتين . ومواقف اليهود من النصرانية مما يوضح لنا الاسباب العميقة للتضييق عليهم .

واستمرت المواجهة أيضا في العهد البيزنطي ، ففي هذه المرة خسرت اليهودية مواقعها أمام تيار المسيحية الجارف . وقد نستنتج من خلال ذلك نقصان عدد اليهود في المغرب بسبب الهجرة نحو أوروبا وتنصر الكثيرين منهم ، على الرغم من وجود هجرة في أواخر العهد البيزنطي نتيجة للاضطهادات والطرد الذي تعرضوا له في اسبانيا .

وفما يتعلق بعلاقة اليهود بالمغاربة ، فالمعلومات قليلة وبالتالي لا يمكن اعطاء فكرة واضحة تعتمد على الحوادث التاريخية الجديرة بالاهتمام سوى الجانب الديني الذي يرى فيه البعض عنصرا هاما من مظاهر الوئام والسلام بينهم وبين المغاربة اعتمادا على تهود جزء من سكان المغرب . ولكن هذا الجانب يدعونا الى الحذر منه ، لانه لا يتلاءم مع الروايات التاريخية المزورة والمشوهة لخدمة غرض يدخل ضمن استراتيجية الفكر الصهيوني (191) .

ان الجاليات اليهودية اثناء التاريخ القديم ، قد عاشت وتنعمت بمراحل سلم وازدهار ولكن لفترات قصيرة اذ عانى اليهود في الاكثر من الاضطهاد والتضييق عليهم اما لتعنتهم واحتقارهم للاخرين ، أو لموقف السلطات الرومانية المتخوف من الجالية التي تعيش في نطاق ضيق ومنكمشة حول نفسها (192) .

فهل هذه الوضعية التي عاشها اليهود في القديم بالمغرب ستستمر أم ستتغير ؟ ان الاجابة على هذا السؤال ستتوضح في الفصول القادمة .

---

191) ـ ان مسألة تفسير الروايات التاريخية وتشويهها ستتوضح في الفصل الثاني .

192) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ، جامعة بيروت العربية ، 1977 ، ص 102 .

الفصل الثاني

اليهود في المغرب بعد الفتح

1- اليهود أثناء الفتح
2- اليهودية في المغرب
3- اليهود في المغرب بعد الفتح
4- الوضعية الإدارية لليهود

1) ـ اليهود أثناء الفتح :

اعتاد المؤرخون لدى تطرقهم للفتح الاسلامي ، ذكر عناصر سكان المغرب الذين اتفقوا على أنهم يتكونون من الافارقة ، وهم خليط جنسي من القرطاجيين ، كما انتسب بعضهم الى السلالة الارية المتمثلة في الرومان والروم (1) ، وبعض سكان المنطقة الاصليين ((الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية)) (2) حيث دانوا بالطاعة والولاء للبيزنطيين ، وعنهم أخذوا المسيحية (3) .

ودخل أكثر الافارقة الى الدين الاسلامي بعد الفتح . وعلى الرغم من ذلك حافظوا على لغتهم الخاصة ، التي هي خليط مزيج من اللاتينية واللهجة المحلية (4) لان كلامهم ((ليس بعربي ، ولا عجمي ، ولا بربري ، ولا قبطي ، ولا يعرفه غيرهم)) (5) .

وبجانب الافارقة ، الروم أي البيزنطيين الذين يتصدرون قمة الهرم الاجتماعي في المغرب بسيطرتهم على الجهازين السياسي والاداري محصورين في ابراجهم وقلاعهم همهم الوحيد جمع الضرائب ، والحصول على الاتاوات (6) .

بالاضافة الى المغاربة ، سكان المنطقة الاقدمين وهم أضخم كتلة بشرية من بقية العناصر السكانية الاخرى يتوزعون في كامل أرجاء المغرب وينقسمون الى جذمين كبيرين ، قبائل البرانس ، وقبائل البتر .

أما اليهود فقد وجدوا أثناء الفتح (7) من ضمن المستقرين في المنطقة ولكن بصورة غير واضحة المعالم ، فكتب الفتوح لا تعطينا حقيقة هذا الوجود لكي نسلم بسهولة فكرة حضورهم بالمغرب .

---

1) ـ لقبال ، المغرب الاسلامي ، ص 16 .
2) ـ عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 133 .
3) ـ لقبال ، المغرب الاسلامي ، ص 16 .
4) ـ محمد شيت الخطاب ، عقبة بن نافع الفهري ، بيروت ، دار الفكر ، 1977 ، ط 5 ، ص 34 .
5) ـ أبو عبيد بن عبد العزيز البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، باريس ، مكتبة أمريكا والشرق ، (النص العربي) 1965 ، ص 65 .
6) ـ الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص 102 .
7) ـ محمود شيت الخطاب ، عقبة ، ص 34 .

فابن عبد الحكم (8) على الرغم من دقته لم يتعرض لذكر اليهود، وهو بصدد الحديث عن المراحل التاريخية للفتح . فقد ذكر الافارق أو الافارقة (9) وتعرض للروم في مواضع عديدة (10) وكـذا البربر (11) والعجم (12) . وأهملهم كذلك حين كتب عن الكاهنة ومواجهتها للمسلمين بقيادة حسان بن النعمان الغساني . وقد لا يبدو ذلك عن جهل، او تجاهل تجاه طائفة معروفة لدى العامة، فما بالنا بمؤرخ مثل ابن عبد الحكم .

ومن أقدم كتاب الفتوح، الواقدي (ت 207 هـ) الذي بدوره لم يتصدى لليهود في كتابه على الرغم من ايراده أخبار بعض رجال الدين المسيحيين في خبر فتح المهدية بقوله ((وكان للقسيس أربع بنات يقرأن الانجيل ...)) (13) .

واقتصرت اشارات البلاذري (ت. حوالي 279 هـ) في فتوحه على العناصر الرومية والبربرية (14) في المغرب دون ذكر لليهود .

ولم يتجاوز أبو العرب (ت 333 هـ) سابقيه من المؤرخين، اذ تعرض للبربر والنصارى (15) . هذا عن المصادر القريبة من عصر الفتوح للمغرب التي لم تحمل في طياتها أخبارا ولو كانت قليلة في أيام الزحف الاسلامي على المنطقة تتحدث عن اليهود .

---

8) ـ ابن عبد الحكم (ت 257 هـ) صاحب أقدم رواية تاريخية لفتح المغرب. عن المؤلف والمنهج، أنظر، سعد زغلول عبد الحميد ((فتوح المغرب والاندلس في رواية ابن عبد الحكم)) دراسات عن ابن عبد الحكم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص 153، 196 .

9) ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس، تحقيق وتقديم، عبد الله أنيس الطباع، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1964، ص 29 و 39 .

10) ـ نفسه، ص 28، 29، 31، 39 .

11) ـ نفسه، ص 69

12) ـ نفسه، ص 64 .

13) ـ محمد الواقدي، فتوح افريقية، تونس، مطبعة المنار، 1966، ج 1، ص 23 .

14) ـ أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، فتوح البلدان نشر ووضع الملاحق والفهارس، صلاح الدين المنجد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1956، ج 1، ص 270 .

15) ـ أبو العرب بن أحمد بن تميم القيرواني، طبقات علماء افريقية وتونس، تقديم وتحقيق، علي الشابي، ونعيم حسن اليافي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1968، ص 60 .

وقد استمر السكوت حتى لدى بعض المؤرخين الذين كتبوا فيما بعد. فالمالكي (ت بعد 453 هـ) جاء بمصطلحات البربر والنصارى (16) والروم (17) دون تاريخ لليهود في القسم المتعلق بالفتوحات.

ونجد ابن عذاري (ت. نهاية القرن السابع ؟) يسلك نفس المسلك، فيرمز للافارقة (18) والروم (19) والبربر والنصارى (20) والمجوس من الروم (21).

وتحدث صاحب ((معالم الايمان)) الدباغ (ت. 696 هـ) عن البربر (22) والافارقة (23) كما لم يتعرض ابن خلدون (ت 808) لليهود، حيثما كتب عن الفتوح في المغرب. حيث أشار الى الروم (24) والافارقة (25) بالاضافة الى البربر الذين خصهم بجزء لا يستهان به من تاريخه، بل يعتبر المصدر الاساسي.

والمؤرخ الوحيد الذي أشار الى اليهود هو القيرواني (ت. بعد 1092 هـ) (26) الذي ألف كتابه في بداية القرن الثاني عشر للميلاد. فأورد حيثما تعرض لفتح بنزرت رواية شفوية مفادها ((وسمعت من يقول أن الحاكم بها كان يهوديا في الزمن السابق ولما وضعت أمرهم وصاروا تحت الذمة عاملهم المسلمون الذين تملكوهم بأن جعلوا سوقهم يوم السبت نكاية لهم عما سبق من أذاهم حتى لا يتصرفوا معهم في معايشتهم يوم السبت)).

---

16) ــ أبوبكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش ومراجعة محمد لعروسي المطوي، بيروت، دار المغرب الاسلامي للطباعة والنشر، 1983، ج 1، ص 11.

17) ــ نفسه، ص 18.

18) ــ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار والاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س، كولان و أ ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة 1980، ط 2، ج 1، ص 12.

19) ــ نفسه، ص 12.

20) ــ نفسه، ص 20.

21) ــ نفسه، ص 24.

22) ــ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري الاسيدي الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1968 ط 2، ج 1، ص 9.

23) ــ نفسه، ص 35.

24) ــ ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1957، ج 4، ص 2002.

25) ــ نفسه، ص 1003.

26) ــ ابن ابي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، 1387 هـ، ط 3، ص 23 وعن القيرواني وكتابه أنظر:

نستنتج من هذه الرواية أن اليهود في مدينة بنزرت على الساحل الشمالي لتونس تقطن بها جالية يهودية كبيرة لانهم استطاعوا أذى الناس بحكم وجود حاكم يهودي مما أدى الى محاصرتهم بعد الفتح من طرف المسلمين وذلك بأن جعلوا أسواقهم يوم السبت وليس في يوم السوق العام . حتى يتعرضوا لنوع من الحصار الاقتصادي نكاية بهم لما فعلوه بالمغاربة قبل ذلك . وهي رواية لا يمكن الاخذ بها ، لان الديانة اليهودية تمنع البيع والشراء يوم السبت .

فان صحت هذه الرواية التي انفرد بها القيرواني تبين على الاقل أن هناك جالية يهودية بالمدينة قوية استطاعت أذى السكان وبذلك تتوضح العلاقة أكثر بين اليهود والمغربة وتنفي الفكرة القائلة بالتحالف بينهما للوقوف ضد الوجود الاجنبي .

ان سكوت المصادر هذا ، وعدم الاشارة الى اليهود أيام الفتوح يدل في الحقيقة على ندرة العناصر اليهودية ، لان المؤرخين لا يمكن أن يتغافلوا بهذه الطريقة الجماعية بصفة غير شعورية لميولهم والتزاماتهم العقائدية ، أو بصفة شعورية ومقصودة لالتزاماتهم السياسية .

فاذا أغفلت المصادر الاسلامية اليهود ابان الفتح ، فان المراجع خاصة اليهودية منها قد أشارت الى وجودهم في المغرب وبكثرة قبل مجيء المسلمين ، لان بعض اليهود ، اتجهوا نحو المغرب في عهد الرسول (ص) بعد غزوة خيبر سنة 7 هـ 628 م لكي لا يرتدوا (27) عن دياناتهم (28) متخذين بعض المناطق الصحراوية مستقرا لهم (29) . ناشرين بين العناصر اليهودية القديمة أي الموجودة منذ التاريخ القديم الاخلاق واللغة العربية (30) .

---

27) ـ أنظر : Cahen , OP . Cit. P . 23.

28) ـ ان الهدف من غزوة خيبر هي ضرب اليهود الذين يقومون بممارسات خطيرة ضد الاسلام ، ونقضهم للعهود وتحالفهم مع الاعداء . وليس المقصود ضرب اليهود كفئة دينية لمحاولة اخراجهم من اليهودية كما يزعم المؤلف .
وأحسن مثال يوضح مدى احترام المسلمين للديانة اليهودية رد صحائف التوراة التي كانت من بين الغنائم في هذه الغزوة لليهود ، ولم يتعرض لها المسلمون بسوء ، أنظر ، عماد الدين خليل ، دراسة السيرة ، بيروت ، موسسة الرسالة ، ودار النفائس 1981 ، ط5 ، ص 354 .

29) ـ أنظر : Cahen , OP . Cit P.P. 24. 25 .

30) ـ أنظر : Eisenbeth , OP . Cit . P 24 & 25 .

بهذه الطريقة حسب المؤرخين اليهود ، وصلت العربية قبل مجيء المسلمين وانتشرت بين اليهود قبل دخول الاسلام الى المغرب ، سابقين في ذلك القبائل العربية التي تسربت الى الصحـــراء في عهد الموحدين . هذه القبائل التي لعبت دورا في تعريب السكان بتلك المناطق القصية (31) . ان هذا الطرح المكشـــوف يهدف الى ابراز دور اليهود في نشر العربية بالمنطقة وتهييئها لقبول الفاتحين .

لا يمكن نكران وجود اليهود في المغرب قبل الفتح الاسلامي ، غير أن هذا العدد على ما يبدو قليل بالمقارنة مع الجاليات التي استوطنت المغرب في العهد الروماني قبل الثورة المعروفة بثورة توريليـــة وما تلاها من ابادة جماعية لليهود .

وعلى الرغم من ندرة الوثائق التي تحدد مدى أهمية الهجرات اليهودية الى المغرب أثناء الفتح . فان اعـــداد كبيرة منهم قد لحقت المسلمين فـــي عهـــد عقبـــة ابن نافع بعد تأسيس القيروان (32)، التي جلبت اليها من مصر ألف عائلة قبطية ويهودية (33). غير أن هذه الرواية التي ذكرها كل من "ازنبيت" و" شوراكي " تحتاج الى وقفة سريعة . فعملية نقل ألف عائلة قبطية الى المغرب لا تعـــود الى عهد عقبة ، وانما الى عهد حسان الذي بنى دارا للصناعة بتونـــس كما أكـــد ذلك البكري ((فكتب الى عبد الملك بن مروان الى أخيه عبد العزيز وهو والي مصـــر أن يوجه الى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده وأن يحملهم مـــن مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى ترشيش وهي تونس ... فوصل القبط الـــى حسان وهو مقيم بتونس)) (34).

فقد تصرف اليهود في الرواية حسب هواهم ، خدمة لاغراضهم السياسيـــة، ليظهرون أنفسهم بمظهـــر المشارك في بناء التاريخ المغربي .

وخلاصة القول ، حين بدأت عملية الفتوح سنة 21هـ/642م ، وجد المسلمون مجموعات قليلة من اليهود منتشرين عبر أرجاء المغرب . لا يمثلون قوة اجتماعيـــة لها وزنها . والقول بوجود جاليات يهودية ضخمة عند الفتح (35) لا يوجد مـــا يؤكـــده حسب المصادر الاسلامية والمـــراجـــع العربيـــــة

---

31) ـ مصطفى أبو ضيف أحمد عامر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 283 .

32) ـ محمـــد الحبيب ابن الخوجة ، يهود المغرب العربي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ، طبعـــة 1973، ص 12 .

33) ـ أنظـــر : Eisenbeth , OP . Cit , P . 8 Chouraqui, OP.Cit,P.57

34) ـ البكري ، المغرب في ذكر افريقية والمغرب ، ص 38 .

35) ـ أنظـــر : mièses , OP . Cit , P 132.

مـــا عدا الجاليـــات التي وجـــدت بالانـــدلس*

---

*) ـ عن الجاليات اليهودية بالاندلس ، راجع، مجهول ، أخبار مجموعة في فتـــح الاندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق وتقديم ، ابراهيم الابياري ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت دار الكتاب اللبناني ، 1981 ، ط 1 ، ص 22 ، 25 ، أبو عبد الله الشريف الادريسي ، القارة الافريقية وجزيرة الاندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق وتقديم وتعليق اسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ، ص 279 ، والهامش 107 ، ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ، ج ، س ، كولان ، وا ، ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة ، 1980 ، ط 2 ، ج 2 ، ص 12 ، أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1978 ، ص 50 ، 70 ، حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، جـــدة ، الدار السعودية للنشـــر والتوزيع ، 1985 ، ط 2 ، ص 77 ، 83 ، 520 ، 523 ، عبد الله حمادي ، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس ، 1492 ، 1616 ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، الجزائر ، الموسسة الوطنية للكتاب ، 1989 ، ص 18 ، جوزيف رينو ، الفتوحات الاسلامية في فرنسا ، وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي ، تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي ، بيروت ، دار الحداثة ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984 ، ط 1 ، ص 41 ، 43 ، أسعد حومد ، محنة العرب في الاندلس ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1980 ، ط 1 ص 44 ، عبد العزيز عتيق ، الادب العربي في الاندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشـر ، 1976 ، ط 2 ، ص 135 ، الامير شكيب ارسلان ، تاريخ غزوات العرب فـــي فرنسا ، وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، 1979 ، ص 268 ، ليفي بروفانسال ، الحضارة العربية فـــي اسبانيا ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، القاهرة دار المعارف ، 1985 ، ط 2 ، ص 132 ، ليفي بروفنسال ، حضارة العرب في الاندلس ترجمـــة ذوقان قرقوط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، دون تاريخ ، ص 103 ، محمـــد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، المكتبة الثقافية ، عـــدد 237 ، مصر ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، 1970 ، وأنظـــر :

ولكن بتقدم عملية الفتح الاسلامي ، خاصة بعد اتمام هذه العملية ، بدأت التجمعات اليهودية تردهر بحكم طبيعة النظام الاسلامي المتسامح مع الديانات السماوية كاليهودية والمسيحية .

2) ـ اليهودية في المغرب (36) :

تحدث المؤرخون عن اليهودية في المغرب بكل حماس خاصة اليهود الذين اهتموا بهذه المسألة اهتماما خاصا ، بقدر تحمسهم للفكر الصهيوني (37). والغريب في الامر، انتهج المؤرخون هذا المنهج اعتمادا على آراء بعض المؤرخين الذين تناولوا الموضوع دون الوقوف عندها ، واستشارة المصادر بهدف المقارنة لتوضح الحقيقة التاريخية التي بقيت مطموسة ، اذ استغلت استغلالا بشعا من الناحية التاريخية ، حيث أصبحت عقدة نادرا ما تجاوزوها .

لقد عرفنا أن كتب الفتوح العامة لا تشير الى العنصر اليهودي في المغرب. ولكن المراجع الحديثة تتبجح وبالحاح عن الحضور اليهودي المتمثل في بعض القبائل التي دانت باليهودية عن طريق الدعوة والتبشير. فالاستاذ " شوراكي " (Chouraqui) يقول في هذا الصدد ((اتفقت شهادة المؤرخين العرب بتحول الكثير من القبائل الى اليهودية في القرن السابع (الميلادي) احداها جراوة التي وهبت للمغرب بطلة، وجسدت مقاومته)) (38) ويقصد بالبطلة الكاهنة .

كما تعرض شلوش (SLOUSCHZ) للكاهنة نقلا عن "فورنال" (Foumel) بقوله ((تحكم الكاهنة الاوراس ، وتنتمي عائلتها الى جراوة ، القبيلة اليهودية التي زودت كل البربر بالملوك والرؤساء)) (39).

---

36) ـ المقصود باليهودية ، التهود المزعوم الذي تكلم الكثيرون عليه المتمثل في انتشار اليهودية بين سكان المغرب.

37) ـ الصهيونية : تنتسب الى جبل صهيون في جنوب بيت المقدس بفلسطين ، وقد تجاوزت هذه النسبة فأصبحت تدل على القدس ثم على جميع الاراضي المقدسة ، وأخيرا أصبحت رمز ماضي اليهود ومستقبلهم المرتبط بذكريات آلاف السنين . وهي تشير للقيم الروحية والقوى التاريخية التي شكلت الشعور بالقومية اليهودية . وهي تعني العودة الى جبل صهيون لاقامة كيان سياسي وبعث القيم الروحية والتاريخية والثقافية . أنظر، فتحي الابياري ، الصهيونية ، سلسلة كتابك ، عدد 13، القاهرة ، دار المعارف ، 1977، ص 5 ـ 9 .

38) ـ أنظر : Chouraqui , OP . Cit , P . 46 .

39) ـ أنظر : Nahum , Sluschz , judés - Hellemes, judésBerbères, recherches sur les origines des jeuifs et du judaisme en Afrique , Paris , Ernest le Roux , 1909 , P. 8.

وبعد أن انتصر زهير ابن قيس على كسيلة الاوربي . وأعاد القيروان للمسلمين، كتب " ايزنبيت" (Eisenbeth) معلقا على الواقعة ((ولكن على ما يبدو فان جراوة احدى أهم القبائل اليهودية قد تأثرت قليلا بهذه الهزيمة . فاستغلت الفرصة لاعلان الكاهنة المشهورة ملكة والتي أعاد ابن خلدون نسبها الى عهد الاحتلال الوندالي)) (40).

اتخذ كل هؤلاء تقريبا ابن خلدون كمصدر تاريخي اعتمدوا عليه للقول بيهودية الكاهنة وقبيلتها، لذلك نعود اليه للتحقيق والتدقيق في نصوصه المعتمدة .

عندما تعرض لاخبار المغاربة نقل عن ابن الكلبي (41) ما يلي ((... حتى جاء الاسلام وكان منهم من تهود ومن تنصر وأخرون مجوسا يعبدون الشمس والقمر والاصنام)) (42) وبعد صفحات من كتابه يتصدى مرة أخرى لديانة المغاربة ((في ذكر أخبارهم على الجملة من قبل الفتح الاسلامي ومن بعده الى ولاية بني الاغلب)) بقوله ((وكان دينهم دين المجوسية شأن الاعاجم بالمشرق والمغرب الا في بعض الاحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الامم . فان الامم أهل الدول العظمى ...)) (43). ثم يستطرد ((... ولا يبالهم الروم والافرنج في ضواحيهم ... وعنهم كلهم أخذوا دين النصرانية)) (44).

ان هذه النصوص توضح في البداية الديانات التي اعتنقها المغاربة وهي ديانات مختلفة نقل هذا النص عن ابن الكلبي دون مناقشة . فابن الكلبي يضع كل الديانات في فترة قبل الاسلام أي الديانات السماوية والوثنية دون تركيز يذكره فقد أجمع كل العقائد المعروفة قبل الاسلام في خانة واحدة الى ظهور الدين الاسلامي .

وابن خلدون حينما تعرض لهذه المسألة دون نقل . قال بديانة البربر المجوسية وأكد على اعتناق المغاربة لديانة الامم الكبرى وذلك في بعض الاحايين أي بعض المراحل وليس اعتناقها على امتداد مستمر . ثم يركز على الديانة النصرانية التي أخذوها عن الروم والافرنج . بمعنى يمكن فهم هذه القضية من خلال نصوص ابن خلدون نفسه ، وليس من خلال ما نقله دون تمحيص (45).

---

40) ـ أنظر : Eisenbeth , OP . Cit , P . 8 .

41) ـ هو هشام بن محمد بن السايب بن بشر ، (ت. 204 أو 206 هـ) عالم بالانساب وأخبار العرب وأيامها ، له العديد من الكتب في هذه المواضيع، أنظر، ابن النديم ، الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1978م ، ص 140 ـ 143 .

42) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 118 .

43) ـ نفسه ، ص 212 .

44) ـ نفسه ، ص 213 .

45) ـ لم يحسن ابن خلدون دائما النقل عن هذا الموضوع ، أنظر ، محمد الطالبي ، منهجية ابن خلدون التاريخية ، بيروت ، دار الحداثة ، 1981 ، ط 1 ، ص: 52 ويليها .

أما النص المشهور الذي اهتم به المؤرخون للتدليل على يهودية جراوة والكاهنة فهو ((وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهود يـــــة أخذوه عن بني اسرائيل عند استفحال ملكهم ، لقرب الشام وسلطانه منهـــــم كما كان جراة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لاول الفتح ، وكمـــا كانت نفوسة من برابر افريقية وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثـــة وبنو فـــزان من برابرة المغرب الاقصى حتى محا ادريس الاكبر الناجم بالمغرب من بني حسـن بن الحسين جميع ما كان في نواحيه من بقايا الاديان والملل ، فكان البربـــر بافريقية والمغرب قبل الاسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية)) (46) .

لقد اعتمد المؤرخون الاجانب على النص المترجم وليس على النص العربـــي الاصيل . فالنص المترجم الذي ترجمه البارون " دي سلان " (DE Slane) (47) يفتقد الى الامانة ، مما جعلهم يستنتجون نتائج خاطئة بعيدة عن الحقائق التاريخية ان النص العربي ـ الاصلي ـ يوضح ديانة المغاربة ومنهم جراوة قبيلة الكاهنـــة بصريح العبارة ((فكان البربر بافريقية والمغرب قبل الاسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية)) .

وبمناقشة النص منذ البداية نتوصل الى حقيقة مفادها أن ابن خلدون يشك في تهود المغاربة باستعماله ((ربما)) التي تعني التقليل . مما يقلل من شأن الروايـــة وقوتها . وبالتالي نتوصل الى تنصر السكان المغاربة وهذا مقبـــول من خلال الاحداث التاريخية .

وهناك العديد من المعطيات التي تؤكد تنصر ملكة الاوراس ، فابيهـــا من أب يوناني مما يدعو الى القول بأنها من المغاربة التي تمتزج عروقهم بالروم نتيجة للزواج المختلط ، وهو ما يفسر نفوذها على الروم أنفســـهم (48) .

---

46) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 214 .

47) ـ ان ترجمة دي سلان غير دقيقة وأمينة فقد بدأها Une partie des barberes professait le judaisme , religion qu'ils avaient reçue de leurs puissants v oisins ...))

وكان من المفروض ترجمتها De même , peut-être certains groupements Berberes avaient - ils même professé le judaisme...))

أنظر ، Mohamed TALBI un nouveau fragment de l'histoire du Maghrib 62 - 196 / 682 - 812 - l'epopée d'Alkahina)) les Cahiers de Tunisie, Nº 73 - 74 , Tome xix (1971) P. 42 .

48) ـ Ibid , P. 41 .

كما أن صاحبهاتبين تمسكها بغير اليهودية . فقد ذكر المالكي حينما تطرق الى حملة حسان الثانية ((فهربت تريد جبال أوراس ، ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده ، يحمل بين يديها على جمل)) (49). فهذا الصنم الخشبي الذي تحتمي به ، لا يدل بالضرورة على وثنيتها ، بل قد يرمز الى صورة المسيح ، أو العذراء ، وهي اشارات تدل على تنصرها (50). وبالتالي نستخلص أن الكاهنة وأفراد قبيلها جراوة هم من المسيحيين أثناء الفتح .

وبالمقارنة ، فبقية القبائل التي ذكرها ابن خلدون ، يمكن أن تكون مثل جراوة قد تنصرت . فقبائل نفوسة عرفت بعقيدتها المسيحية حتى بعد الفتح (51). وشهادة البكري كافية للرد على أطروحة اليهود حيث قال ((... وافتتح عمرو بن العاص رحمه الله نفوسة وكانوا نصارى)) (52). وتحدث الرحالة التجاني عن ديانة نفوسة حينما تعرض لفتح طرابلس واستعانة الروم ((بقبيل من البربر يعرفون بنفوسة دخلوا معهم في دين النصرانية)) (53). وأكد ابن ابي دينار هذه الحقيقة بقوله ((... وافتتح جبال نفوسة وكانوا على دين النصرانية))(54).

هذا عن ديانة نفوسة ، أما بقية القبائل الاخرى كمديونة (55) التي أفرد لها ابن خلدون قسم خاص فلم يتعرض الى ديانتها ، مما يؤكد غلبة الديانة المسيحية أو الوثنية في حياة المغاربة . لهذا فان مقاومة الكاهنة لم تنبع عن عقيدة عبرية مثلما ذهب البعض (56) بل نابعة من فكرة رفض الاجانب لانها لم تتعرف بعد الى حقيقة هؤلاء الذين تحاربهم ظنا منها أن ((العرب يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة)) (57).

---

49) ـ المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 51 . ونفس النص جاء عند محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1975 ، ص 66 .

50) ـ أنظر: TALBI , OP . Cit , P . 42.

51) ـ أنظر: IBID , P . 43 .

52) ـ البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص 9 .

53) ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني ، رحلة التجاني ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، 1981 ، ص 239 .

54) ـ ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص 26 .

55) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، صص 256 ـ 257 .

56) ـ شارل اندري جوليان ، تاريخ افريقية الشمالية ، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1978 ، ج 2 ص 23 .

57) ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ج 1 ، ص 36 ، الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، تونس ، نشر ، رفيق السقطي ، 1968 ، ص 61 .

ومجمل القول : أن العقيدة اليهودية التي ادعى الكثيرون بانتشارها في الاساط المغربية أثناء الفتوح ليس لها أساس من الصحة ، لان الدلائل التاريخية تشير من خلال النصوص الى عدم ثبوتها ، وانما حاول هؤلاء تفسير الوثائق القديمة حسب أهوائهم وميولهم العاطفية . على الرغم من أنها تبين انتشار الديانة المسيحية وتغلغلها لدى بعض القبائل في المغرب . فاليهودية ان وجدت ، في أوساط التجمعات اليهودية ، التي أشرنا الى قلتها وانحسارها . وسنتأكد من هذه التجمعات فيما بعد بحيث ستصبح واضحة المعالم في ظل الوجود الاسلامي ، والتسامح الذي رافقه .

وفيما يتعلق بالجالية اليهودية التي عرفنا صغر حجمها ، فقد استقرت بالساحل التونسي ، خاصة مدينة سوسة التي يعود أصلها الى القديم (58) يرى الاستاذ المرحوم حسن حسين عبد الوهاب بأنها تعربت بعد الفتح ، واندمجت بأهل البلاد (59). ان هذا الرأي يحتاج الى تدقيق أكثر لقبوله أو رفضه .

ولفهم قضية انتشار اليهودية في المغرب فهما جيدا ، لابد من معرفة حقيقة تنطوي عليها الديانة اليهودية هي : عدم انتشارها مثل بقية الديانات لان رجال الدين اليهود لا يملكون السلطة الدينية لنشرها ، بل همهم الوحيد الحفاظ عليها (60) على الرغم من بساطتها على حد تعبير "رينان" (61). لان الديانة تعتبر عند اليهود سلاحا حادا يمارسون عنصريتهم تجاه الشعوب من خلالها على أساس شعب الله المختار .

بالاضافة الى عدم اهتمامهم بنشر الديانة اليهودية لانشغالهم بأشياء أخرى تتمثل في محاولة جمع الثروات كما عبر الاستاذ عبد الفتاح عاشور أن اليهود ((لا يعنيهم نشر عقيدتهم بقدر ما يهتمون بامتصاص ثروات الشعوب التي حلوا بينها وخنقها اقتصاديا)) (62). فكيف يعتنق الناس ديانة ، يكرهون ويمقتون أهلها للعوامل المذكورة سابقا . وبالتالي يستبعد اعتناق المغاربة لليهودية ، انطلاقا من جميع هذه المعطيات .

---

58) ـ حسن حسين عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، تونس ، مكتبة المنار ، 1966 ، القسم الثاني ، ص 53 .

59) ـ نفسه ، ص 53 .

60) ـ أنظر : Histoire générale des Religions, sous la direction de maxime George et Raoul Mortier, Paris, librairie Aristide quillet 1945, teme3, p.

61) ـ أنظر : Ernest, Renan, judaisme et Cchristianisme, textes présentés par jean Gaulmier, PARIS, COPERNIC, 1977, P. 152.

62) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ((الارتباط بين التوسع السياسي والديني)) بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص 103 .

وحتى لو افترضنا بتهود بعض سكان المغرب ، فان ذلك لم يؤثر على أفكارهم ولا على شخصيتهم الدينية والثقافية حيث حافظت الوثنية المستمدة قيمتها وعباداتها من الظواهر الطبيعية ، الاكثر فعالية على عقول الناس واستقطابا (63).

3) ـ اليهـود في المغرب بعد الفتح :

بعد اتمام عملية الفتح ، وانتهاء مرحلتها النهائية على يد موسى بن نصير الذي تمكن من ((اخضاع بلاد المغرب كلها للاسلام)) (64) ماعدا مدينة سبتة المحصنة ، التي سيكون لها دور فيما بعد ، أثناء فتح الاندلس ظهرت ولاية افريقية (65) على غرار بقية الولايات الكبرى التابعة للدولة الاسلامية ، تخضع مباشرة للخليفة في المشرق ، حيث أصبحت القيروان مركز الولاية ، والقرار السياسي ، وحاضرتها الكبـرى (66) . ونتيجة لانتصار الاسلام ، اضمحلت الولاية البيزنطية ، وأثارها الادارية بالمنطقة ، فظهرت على أنقاضها الادارة الاسلامية .

ان هذا التنظيم الجديد الذي حضيت به ولاية افريقية قد جذب اليهود اليها ، ومن هؤلاء تحدثت المصادر عن أحد اليهود الطوافين (67) في ترجمة اسماعيل بن رباح الجزلي ، مما يثبت وجود التجار اليهود المتجولين في مدينة القيروان اثناء ولاية يزيد بن حاتم ، وقد ذكر سوق القيروان ، المؤرخ الرقيق القيرواني (68) ومن دروبه درب ابن طفيل (69) .

وخلال القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي ، بدأت منطقة المغرب تجتاحها ثورات الخوارج بعد تفاقم المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد عبيد الله بن الحبحاب الذي اضطهد العرب اليمنية وتعصب للقيسية (70) ، اذ ولى عمر بن عبيد الله المرادي على طنجة وما والاها فأساء السيرة نحو السكان حيث أراد تخميسهم ((وزعم أنهم فيء للمسلمين ، وذلك مالم يرتكبه عامل قبله)) (71) ، وقد انتهج ابنه اسماعيل في السوس الاقصى سياسة الاستبداد فسبي النساء

---

63) ـ ابراهيم بيضون ، ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1979 ، ص 205 .

64) ـ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 257 .

65) ـ عن نشأة الولاية ومراحل تمصيرها ، أنظر : لقبال ، المغرب الاسلامي ، صص 101 ، 103 .

66) ـ انظر Hicham Djait, (La Conquête Arabe et L'émirat) Histiore de la Tunisie, le moyen âge, Tunis, S.T.D. sans date, teme II ,pp 43- 43.

67) ـ أبو العرب ، طبقات علماء افريقية ص 146 ، المالكي ، رياض النفوس ج 1 ، الصص 336 ـ 337 .

68) ـ الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، ص 107 .

69) ـ لمعرفة ترجمته ، أنظر أبو العرب ، طبقات صص 105 ، 106 ، المالكي ، رياض النفوس صص 172 ـ 173 .

70) ـ محمود اسماعيل ، الخوارج في المغرب الاسلامي ، بيروت ، دار العودة ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1976 ، صص 46 ـ 47 .

71) ـ ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 52 .

وجمع الاموال ، وأباد الغنم للحصول على الجلود العسلية من سخالها (72) لارسالها الى الخليفة في المشرق ((فثارت البربر بالمغرب الاقصى ، فكانت أول ثورة فيه وفي افريقية في الاسلام (73) .

فهذه الوضعية التي عاشتها منطقة المغرب في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، والتي تبدو في سوء المعاملة والقسوة وطغيان بعض الولاة ، شجعت المغاربة على اعتناق المذاهب الخارجية والقيام بالثورة (74) للاطاحة بالعمال والولاة الطغاة . مما أدى الى ظهور العديد من الدويلات ذات الطابع المذهبي .

وأول دولة خارجية ، هي دولة برغواطة التي ظهرت سنة 124هـ/742م في اقليم تامسنا (75) تحت زعامة " طريف " أحد قواد ميسرة المدغري (76) . وبعد وفاته خلفه ابنه صالح الذي تسمى بصالح المؤمنين (77) . كما ادعى النبوة ، وشرع لبرغواطة ديانة خاصة ، عهد بها الى ابنه الياس ، الذي أمره باخفائها واظهارها حين يقوى أمره . وتولى بعده ابنه الياس الامارة حيث بقي في العرش نصف قرن من الزمن مظهرا الديانة الاسلامية ، ثم خلفه ابنه يونس ((فأظهر ديانة جده ، ودعا اليها وقتل من لم يدخل فيها)) (78) .

---

72) — ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 240 ، أبو جعفر بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، 1977 ، ط 4 ، ج 4 ، ص 254 — 255 ، وقد تناول هذه المسألة صاحب أخبار مجموعة بقوله ((... وقد يقول من يطعن على الائمة انهم انما خرجوا ضيقا من سير عمالهم وأن الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية فتذبح مائة شاة فربما لم يوجد فيها جلد واحد وهو قول أهل البغض للائمة)) ، مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، مجريط ، 1867 ، ص 31 ، 32 .

73) — ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 52 ، وقارن الرقيق القيرواني ، فتح افريقية والمغرب ، ص 109 .

74) — عن الثورات ، أنظر ، عبد العزيز فيلالي ((أسباب الثورة الشعبية المغربية ومقدماتها في العقد الثالث من القرن الثاني الهجري ببلاد المغرب)) سرتا ، العدد 1 ، السنة الاولى (نوفمبر) ص 33 — 45 .

75) — تامسنا : منطقة بالمغرب الاقصى تدعى اليوم الشاوية وهي ما بين سلا و أزمور على ساحل المحيط الاطلسي ، أنظر ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 428 ، أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1978 ، ص 278 — 279 .

76) — ميسرة المدغري ثار في المغرب الاقصى على عامل الحبحاب المرادي وقتله وعين نفسه خليفة غير أنه لم يحسن السيرة فقتل وولى مكانه خالد بن حميد الزناتي ، راجع ، ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 52 — 53 ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1965 ، ط 5 ، ج 4 ، ص 222 .

77) — ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 234 .

78) — نفسه ، ص 234 .

وقد دانت في عهده لبرغواطة الكثير من القبائل (79)، وعاشت هذه الدويلة أكثر من أربعة قرون على الرغم من المحاولات التي قام بها ملوك العدوتين للقضاء عليها. فحاربهم الادارسة والاميون والشيعة (80) والمرابطون قبل أن يد حرهم الموحدون بقيادة عبد المومن بن علي بصورة نهائية سنة 543هـ/1148.

ان دولة برغواطة التي ظهرت في خضم ثورات القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، لا نعرف مدى أهمية الجماعات اليهودية بها. غير أن المصادر تؤكد على نسب مؤسسها الاول طريف ((ولد شمعون بن يعقوب بن اسحاق)) (81). كما جاء في شهادة سفير برغواطة أبو صالح زمور البرغواطي للحكم المستنصر سنة 352هـ/963م. مما يثبت أصل مؤسس الدولة اليهودي. وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون ((آخرون يقولون في صالح أنه يهودي من ولد شمعون ابن يعقوب)) (82). ويذهب شلوش الى أبعد من ذلك في أن الامبراطورية البرغواطية كما يسميها ((اسلامية في شكلها، بربرية في طقوسها وعاداتها، ويهودية في أساسها واتجاهاتها)) (83).

وقبل النظر في هذا الزعم، نتعرف على الاسس التي تقوم عليها ديانة برغواطة. انها تستند على قرآن؟ من وضع صالح باللهجة المحلية يتألف من ثمانين سورة، نسب أكثرها الى أسماء الانبياء، أولها سورة أيوب، وأخرها سورة يونس (84). ومن تعاليم هذه الديانة صوم رجب وأكل شهر رمضان. واقامة خمس صلوات في اليوم وأخرى مماثلة في الليلة. وعيد الاضحى في اليوم الحادي عشر من محرم عوضا من عشرة ذي الحجة. وفي الاغتسال يبدأ الوضوء بالسرة والخاصرتين.

---

79) ـ البكري، المغرب، ص 140 ـ 141.

80) ـ ابن خلدون، العبر، ج 11، ص 432.

81) ـ البكري، المغرب، ص135.

82) ـ ابن خلدون، العبر، ج 11، ص 435.

83) ـ أنظر: N.SLOUSCH "l'EMPIRE des Berghouata et les origines des Blad-Es-Siba" Revue du Monde Musulman, Tome 10, (1910), p.396

84) ـ وتحمل سورة أخرى اسماء الحيوان: سورة الديك، سورة الحجل، سورة الجراد، سورة الجمل، سورة الحنش، أنظر، البكري، المغرب في ذكر افريقية وبلاد المغرب ص 140، ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 327، علي ابن أبي زرع الفاسي، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972، ص 131، أنظر أيضا، ابن خلدون، العبر، ج 11، ص 429.

وقد ادخل صالح بن طريف تعديلات في أوقات الصلاة حيث حول صلاة الجمعة الى يوم الخميس ضحا أي بعد طلوع الشمس (85) .

ومن الناحية الاجتماعية ، فقد تضمنت تعاليمه حرية الزواج ((من النساء ما استطاع على مباعلتهن والانفاق عليهن بلا حد عدد)) (86 . ومنع الزواج بالمسلمات ، واباحة الطلاق ورجم الزاني ، ونفي الكاذب ، وتحريم أكل رؤوس الحيوانات ، كما حرم ذبح الديك لانه بمثابة الاذان اذ به يتعرفون على الوقت . وكذلك حرمت ديانة صالح أكل البيض والدجاج مكروهة الا في حالة الاضطرار ، ولا يؤكل الحوت الا بعد أن يذكى أي يذبح (87) .

هذه بعض الملامح عن ديانة برغواطة التي دانت بمذاهب مبتدعة ملحدة (88) ، كانت على ما يبدو أصل الصراع بينها وبين الدويلات المغربية الاخرى .

استغل زعماء برغواطة ضعف العقول وكثرة الجهل المتفشي في أوساط المغاربة (89) لنشر مذهبهم الديني ، على الرغم من وجود بعض التقاليد الاسلامية المشوهة التي اندمجت بالطابع المحلي (90) .

أما فيما يتعلق بنسب طريف ، اليهودي ، فابن خلدون يطرح هذه المسألة من خلال العصبية بقوله ((وأما صالح بن طريف فمعروف منهم - البربر - وليس من غيرهم ، و لا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل لمنقطع جذمة دخيل في نسبه)) (91) . فهذا الكلام اذا ما قارناه بالاحداث التاريخية ، لم يكن قاعدة مطلقة ، بل رأينا كيف أن دويلات أخرى ظهرت في المغرب الاسلامي بزعامة مقطوعي جذمة مثل حكام الدولة الرستمية بتاهرت * .

---

85) - البكري ، المغرب ، ص ص 138 - 139 ، ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص ص 236 ، 237 ، ابن أبي زرع ، الانيس المطرب ، ص ص 130 ، 131 ، أنظر ، أيضا ، الفرد بيل ، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1981 ، ط 2 ، ص ص 175 - 178 .

86) - البكري ، المغرب ، 139 .

87) - البكري ، المغرب ، ص ص 139 - 140 ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص 131 .

88) - بيل ، الفرق الاسلامية ، ص 179 .

89) - ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ص 225 .

90) - العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص 282 .

91) - ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 435 .

* - قال ابن الصغير ((... ولكن هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه ... فقلدوه أموركم فان عدل فذلك الذي اردتم وان سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه فاجمعوا رأيهم عليه ...)) الكراريس التونسية ، المجلد 23 ، رقم 91 ، 92 ، 1975 ، ص ص 221 - 222 .

ومقابل اعتراض ابن خلدون على أصل طريف ، نجد ابن ابي زرع يؤكد الاصل اليهودي بقوله ((وكان صالح ابن طريف الذي ادعا فيهم النبوة ، رجلا خبيثا يهودي الاصل ، من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام)) (92) . فهذه الرواية تدعم أصل الرجل الذي صرح به سفير برغواطة ، وهي من دون شك منقولة من الروايات القديمة المتواترة المعتمدة على التقرير الشفوي المقدم للمستنصر .

وفي الحقيقة ، ان مسألة يهودية صالح غامضة جدا ، وصعبة التحديد والتصديق في نفس الوقت على الرغم من أنها ليست ملفقة من طرف الاعداء ، بل قال بها سفير برغواطة الذي يريد اظهار نبل الاسره الحاكمة في تامسنا ليس الا (93) . وهو ما ذهب اليه الاستاذ محمد طالبي الذي يذهب الى أبعد من ذلك ، فيرى بأن صالح لم يعد اجنبيا على الوسط المحلي نتيجة العمق الزمني الذي سمح له بالاندماج في أوساط المغاربة (94) . ولكن هذا الرأي يحتاج الى وقفة فاليهود كما نعرف لا يندمجون في الاوساط التي يعيشون فيها بهذه السهولة ويتعصبون لاصولهم ، ودياناتهم ، ويحافظون على شخصيتهم .

وهنا تكمن صعوبة التوصل الى معرفة أصل طريف البرغواطي . ولكن هل من خلال الديانة وبعض العادات يمكن الوصول الى هذه الحقيقة !؟ في واقع الامر لم تكن الاسس الدينية من وضع صالح ، وانما من وضع أحد أحفاده أي يونس بن الياس (227 ـ 271 هـ/842 ـ 884م) المعروف بعلمه ، وحبه للتنجيم . وقد رحل الى الحج وهو أعظم ملوك برغواطة ثقافة (95) . فالبكري يؤكد ظهور الديانة أثناء حكمه ((فأظهر دياناتهم ودعا اليها)) (96) . وقد رافق الدعوة استعمال العنف والقوة ((وقتل من لم يدخل فيها)) (97) وذلك قصد نشر الديانة الجديدة بين الناس معتمدا في ذلك على المكانة المعنوية التي احتلها جده ، خاصة الجانب العسكري الذي برز فيه (98) .

وخلافا لبعض الاراء التي تزعم بوجود تأثيرات يهودية في ديانة برغواطة ، فقد استمدت تأثيراتها من المذهب الخارجي اعتمادا على فكرة التقشف المتمثلة في الصوم لمدة أيام . وكذلك فكرة المهدي المنتظر الذي سيملا الارض عدلا بعد أن ملات جورا والمحافظة على الاخلاق النبيلة والعالية مثل

---

92) ـ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص 130 .

93) ـ أنظر: Mohamed.TAIBI"Hérésie,acculturation et Nationalisme des Berberes Bargawater - Actes du 1° Congrès d'Etudes des Cultures Méditerranéennes d'influences Arabo-Berbère-Alger,SNED(1977),p.219.-

94) ـ أنظر: -IBID,219.

95) ـ أنظر: -TALBI,IBID,p.225.

96) ـ البكري ، المغرب ص 136 .

97) ـ نفسه ، ص 136 .

98) ـ أنظر: -TALBI,HERESIE,p.224.

اعتبار الكذب كبيــــــرة من الكبائر ((يكفر صاحبه وينفى من الجماعة)) (9.9). ان هذا النوع من الاخلاق السائدة ، تحدث عنها الرحالة ابن حوقل بقولـــــــــه ((وفي برغواطة أمانة وبذل للطعام وتجنب للكبائر من الحرام والمحظورات من الاثام)) (100).

أما الزعم القائل بأخذ المغاربة لبعض العادات اليهودية ، فلا يمكـــن الاعتماد عليه لتبرير تأثير اليهود في المغاربة . لقد قارن شلوش بين تحريم لحـم الدجاج لدى برغواطة وفكرة محو الذنوب عن طريق الديكة لدى اليهود (101). والحقيقة أن أهل تامسنا لا يقدسون الديكة وانما لها على ما يبدو مكانة خاصة لديهم، والكل يعرف مدى الدور الذي يلعبه الديك في حياة أهل الريف بصورة عامة . ولا يخرج سكان المغرب عن هذه القاعدة . واضافة الى ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم اهتم بالديك (102) في عدة أحاديث.

هذا بالنسبة لبعض العادات ، أما الممارسات اليومية فهي نابعة ومستمدة من العادات المغربية القديمة، التي يعود أصلها على ما يبدو الى الطابع الوثنـــي الذي كان يمارســـه السكان طيلة قرون مضت . وليس من السهل الابتعاد عنه خاصة في المناطق النائية والبعيدة عن الحواضر الكبرى . وبمرور الوقت زالت الكثير مـــن العادات بفعل انتشار الاسلام الصحيح ، وبفضل جهود المرابطين والموحديـــن، والقبائل العربية التي تمركزت وأقامت بتلك النواحي . وخير دليل على ذلك شهــادة ابن حوقل التي مرت بنــــا .

واليهود في هذه الدويلة لا يمكن تواجدهم ، لان المصادر اكتفت بذكر بدعـة ديانتها والخروج عن أسس الديانة الاسلامية ، والحملات المجردة عليهــــا باستمرار ودون انقطاع حتى القضاء عليها . فالرحالــة حســـن الوزان (ليـــون الافريقي) انفـــــرد بتقسيـــــم قســــدم فيه عــدد

---

99) ـ بيل ، الفرق الاسلامية ، ص 177 .

100) ـ أبو القاسم بن حوقل النصبي ، صورة الارض ، بيروت ، منشورات مكتبة الحياة، 1979، ص 83 .

101) ـ أنظـر : Slousch, L'empire des Berghouata, p.397.

102) ـ الحديث الاول ((حدثني قتيبة ابن سعيد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن الاعرج ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتـم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فانها رأت ملكا ...)) أنظـــر، مسلم، الجامع الصحيح ، بيروت ، دار الفكر، دون تاريخ ، المجلد 4 ص 85 . والحديث الثاني ((عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة)) رواه ابو داود باسناد صحيح)) أنظر، أبو زكرياء يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تعليق رضوان محمد رضوان بيروت، دار الكتاب العربي ، 1982 ، ص 607 ، وانظر، ابوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، بيروت، دار احياء التراث العربي ، 1969، ط 3 ، ج 2 ، ص 258 .

الهالكين من سكان تامسنا أثناء حروبهم مع المرابطين حيث قدره بمليون نسمة رجالا ونساء وأطفالا (103) دون أن يحدد العنصر السكاني .

وهذا مما يزيد في التمسك ببعد برغواطة عن التأثير اليهودي ، اذ لا يمكن قيام دولة على أسس يهودية لا يوجد بها يهود . لقد دلت الوثائق التاريخية على قلتها وجود تجمعات يهودية في أكثر حواضر المغرب الاسلامي ذات النظم الاسلامية البحتة وبعيدة عن هذا التأثير ، فكيف لم تتمكن هذه الدولة من استقطاب وجذب اليهود اليها ؟ يمكن تفسير ذلك بحالة المواجهة اليومية التي تعيشها والحروب المستمرة خاصة بعد ظهور ديانة برغواطة وعدم وجود الاستقرار والامن ، وخوفا من ردود الفعل الجماعية ضد اليهود . غير أن هذا التفسير وحده لا يعطينا اجابة تاريخية للاخذ به . فسكوت المصادر عن العنصر اليهودي يؤدي بنا الى ابعاد التأثيرات اليهودية التي بالغ اليهود في ابرازها بهدف اضفاء الصبغة العبرية على دولة قامت على أسس فاسدة وتحريفية لمفاهيم الاسلام . أما استمرارها لمدة تفوق أربعة قرون ، فلا يعزى لقوتها وصلابة عقيدتها بقدر ما يعزى للانقسام المغرب بين دويلات صغيرة همها الوحيد المحافظة على التوازن السياسي ولو في اطار ضيق . وبظهور قوة المرابطين الكاسحة التي تحمل رمز التغيير لهذا الواقع السياسي المرير بحراب وسيوف داعية للاسلام السني . فبدأت المواجهة بينهم وبين برغواطة حيث ترك المرابطون في ساحة القتال الفقيه عبد الله ياسين الجزولي سنة 451هـ/1059م (104) الذي وهب حياته للجهاد ((في سبيل اصلاح الدين ومحاربة البدع)) (105) ورغم ذلك استطاع هؤلاء كسر شوكة برغواطة (106) الى أن جاء الموحدون ، فقضوا على دويلة برغواطة القائمة على أسس اسلامية فاسدة ممزوجة ببعض العادات القديمة .

---

103) ــ الحسن بن محمد الوزان الفاسي ــ ليون الافريقي ــ وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1983، ط 2 ، ص 196 .

104) ــ اما ابن خلدون فيقدر سنة وفاته بعام 450 هـ أنظر، العبر، ج 11، صص 376 و 434 .

105) ــ عبد الحميد حاجيات ((المرابطون ودورهم في تاريخ المغرب وحضارته)) مجلة التاريخ ، عدد 3(افريل 75) ص 35 .

106) ــ ذكر ابن ابي زرع تفاصيل ذلك في الخبر عن دولة الامير ابي بكر بن عمر الصنهاجي اللمتوني ((... وكان أول ما فعله أن أخذ في دفن عبد الله بن ياسين ، فلما فرغ من دفنه عبأ جيوشه وقصد الى قتال برغواطة مصمما في حربه متوكلا على الله تعالى في جميع أموره ، فاستأصل برغواطة حتى فروا بين يديه وهو في أثرهم يقتل ويسبي حتى أثخن فيهم وتفرقت برغواطة في الصحراء وأذعنوا له بالطاعة واسلموا اسلاما جديدا ، ولم يبق لديانتهم اثر الى اليوم ...)) الانيس المطرب، ص 133 .

وفي زحمة حوادث القرن الثامن للهجرة/ الثاني الميلادي ، استطاعت الصفرية أن تؤسس لها امارة بسجلماسة سنة 140 هـ / 758 م بعد تلاشي نفوذ السلطة المركزية أثناء ثورة ميسرة في المغرب الاوسط والاقصى . خلا الجو لدعاة الصفرية لنشر هذا المذهب (107) فاتصلوا بأبي القاسم سمجو من أهل مكناسة ، كان ينتجع بموضع سجلماسة (108) . وبعد أن كثر عددهم ((قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الاسود ، وولوه أمرهم)) (109) ثم شرعوا في بناء المدينة التي تحولت في نهاية القرن الثاني للهجرة الى مركز تجاري هام رافقه تداور ديمغرافي (110) . مما أدى الى جلب واستقرار عدد كبير من التجار المسلمين القادمين من الامصار الاسلامية في المشرق والمغرب ، وكذا جماعات من أهل الذمة كاليهود (111) الذين سنوضح فيما بعد مدى سيطرتهم على اقتصاديات المدينة .

وبعد مدة وجيزة ظهرت الدولة الرستمية سنة 161هـ/ 777 م التي قامت على عاتق عبد الرحمن بن رستم (112) وقد كان نسيجها العمراني يتكون من أجناس مختلفة ومتباينة كالمغاربة والعرب والسودان واليهود والنصارى (113) لما أصبحت المدينة مزدهرة (114) .

---

107) ـ عبد الحميد حاجيات ((مذهب الصفرية في سجلماسة)) مجلة التاريخ عدد 6 (جويلية 1978) ص 17

108) ـ البكري ، المغرب ، ص 149 .

109) ـ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج 1 ، ص 156 .

110) ـ الحبيب الجنحاني ، المغرب الاسلامي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3 ـ 4 هـ/ 9 ـ 10 م)، تونس، الدار التونسية للنشر، 1978 ص 174 .

111) ـ نفسه ، ص 137 .

112) ـ عن تولية عبد الرحمن بن رستم ، أنظر ، ابن الصغير ، تاريخ ، ص 221 ـ 222 .

113) ـ ابن الصغير، تاريخ ، ص 224 ـ 225 ، محمد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد التاهرتي ، مستغانم، المطبعة العلوية ، 1966 ، ط1 ، ص 32 ،

114) ـ قال ابن الصغير في هذا الشأن ((. . . ليس أحد ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بين أظهارهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله حتى لا ترى دارا الا قيل هذا لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي . . . واستعملت السبل الى بلد السودان والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الامتعة فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار تاجرون . . .)) ص ص 324 ، 325 .

وحينما انتصرت الجيوش العباسية في عهد الهادي بن المهدي على العلويين في موقعة فخ سنة 169 هـ/ 785م (115) هرب ادريس بن عبد الله ابن الحسن بن علي وقصد مصر رفقة مولاه راشد ، ثم توجه نحو المغرب، فنزل وليلي عند اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي فأكرمه وأجاره . وعمل على نشر دعوته . فاستطاع أن يؤثر في نفوس المغاربة بفضل فصاحة لسانه وبلاغته و ((خاصة بعد أن عرفوا قربته من الرسول أفأجمعت عليه قبائل أوربة ومغيلة وصديسة، وتبعتها قبائل زناتة وهي لواته وسدراته ونفزة ومكناسة وغمارة ، وبايعوه بالامامة)) (116) سنة 172 هـ/ 788م فظهرت دولة الادارسة التي عاشت حوالي قرنين من الزمن .

أما اليهود في هذه الدولة ، فقد كانوا يمثلون فئة كبيرة من شرائح المجتمع فابن ابي زرع تحدث عن تجمع اليهود في الحاضرة التي بناها ادريس الثاني أي فاس بقوله ((تجمع فيها عدد كبير من اليهود ممن رغب في العافية)) (117) وقد سيطر هؤلاء على المدينة حتى أصبح يطلق عليها ((فاس بلد بلا ناس)) (118) ويقصد بدون مسلمين (119).

ويذكر ابن خلدون أن مؤسس الدولة الادريسية ادريس الاول ، زحف على القبائل الذين كانوا على دين المجوسية واليهودية والنصرانية مثل قندلاوة وبهلوانة ومديونة ، وفتح تامسنا عاصمة برغواطة (120). لقد ناقشنا هذه المسألة من قبل . والاشارة الهامة لدى صاحب العبر تبدو في ذكره ديانة شالا وتادلا وتامسنا الذين أكد على يهوديتهم وتنصرهم فاسلم أكثرهم على يديه (121). وبهذا يعتبر الديانة اليهودية منتشرة في تامسنا ، غير أنه لم يشر الى ذلك حينما تحدث عن ديانة برغواطة حيث اكتفى بالقول ((... الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي معروفة في كتب المؤرخين)) (122).

---

115) ـ فخ : أحد الاودية في طريق مكة تبعد عنه ما بين ثلاثة وستة أميال .. أنظر ، الحميري ، الروض ، ص 436 ، وعن هذه الواقعة ، أنظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص ص 74 ـ 76 .

116) ـ السيد / عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 1 ، ص 469 .

117) ـ نقلا عن ج .ف. ب. هوبكنز ، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة أمين توفيق الطيبي ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1980 ، ص 120 .

118) ـ البكري ، المغرب ص 115 .

119) ـ هوبكنز ، النظم الاسلامية في المغرب ، ص 120 .

120) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 24 .

121) ـ نفسه ، ص 24 .

122) ـ نفسه ، ج 11 ، ص 429 .

ونتيجة لذلك نركن الى التحفظ فيما يتعلق بهذه الاشارة . وليس من المستبعد أن يكون ادريس الاول قد حارب اليهود وبقية المذاهب الاخرى طبقا لسياسته الرامية الى نشر الدين الاسلامي الصحيح وتوطيد أركانه في تلك الربوع .

وفي نهاية القرن الثاني الهجري ، قامت دولة الاغالبة التي تعتبر أهم الدويلات التي ظهرت خلال هذا القرن (123) . فقد كانت ولاية افريقية تحت امرة محمد بن مقاتل العكي الذي عينه هارون الرشيد سنة 181هـ/797م (124) فأساء السيرة في الرعية وكما أوضح ذلك الرقيق القيرواني بقوله ((ولم يكن بالمحمود السيرة)) (125) فثاروا عليه وخرج على طاعته تميم التميمي ، فساعده عامل الزاب ابراهيم بن الاغلب الذي استطاع أن يوقف الثورة ، وأعاد محمد بن مقاتل الى امارته بالقيروان . ولكن ((كره أهل البلاد ولايته ، ودا خلوا ابراهيم بن الاغلب في أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد في ذلك)) (126) متعهدا بدفع أربعين ألف دينار في مقابل اسقاط ما كانت تدفعه الدولة العباسية الى افريقية . استشار الرشيد أصحابه وكتب له العهد بالولاية (127) سنة 184 هـ / 800 م قال له فيه ((قد تقدم لكم بافريقية أمر)) (128) وبذلك استقلت الولاية عن الخلافة العباسية استقلالا جزئيا . وقد استطاعت هذه الدولة أن تعيش أكثر من مائة سنة قبل القضاء عليها من طرف الدولة الفاطمية .

سكن افريقية الاغلبية أجناس متعددة (129) من بينها اليهود ، اذ تشير المصادر الى اتخاذ اجراءات صارمة ضد اليهود والنصارى كالتي اتخذها عبد الله بن أحمد ابن طالب الذي ((جعل على أكتاف اليهود والنصارى رقاعا بيضاء ، في كل رقعة صورة قرد وخنزير ، وعلى أبواب دورهم

---

123) — السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ص 372 .
124) — ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 103 .
125) — الرقيق القيرواني ، ص 203 ، وكذا ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ص 104 .
126) — ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 419 .
127) — نفسه ، ص 419 ، وقال ابن الاثير((. . . فأحضر الرشيد ثقاته واستشارهم فيمن يوليه افريقية وذكر لهم كرامة أهلها محمد بن مقاتل فأشار هرثمة بابراهيم بن الاغلب وذكر له ما رآه من عقله ، ودينه ، وكفايته وأنه قام بحفظ افريقية على ابن مقاتل فولاه الرشيد في المحرم سنة أربعة وثمانين ومائة)) الكامل ، ج 5 ، ص 104 .
128) — ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 93 ، أحمد بن ابي ضياف ، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1975 ، ط 2 ج 1 ، ص 129 .
129) — السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص ص 415 — 421 .

ألواحا مسمرة في الابواب مصور فيها قردة)) (130) مما يثبت استيطان جالية يهودية في مدينة القيروان لان عبارة ((د ورهم)) تدل على الكثرة وعلى ما يبدو تجمعوا في حي خاص بهم .

وفي هذا الوقت بدأ الشيعة يعدون العدة لنشر مذهبهم . فأرسل القائم بالدعوة الاسماعيلية في اليمن ابن حوشب رجلين الى المغرب أحدهما يعرف بأبي سفيان والثاني بالحلواني وعلى ايديهما تشيع الكثير من المغاربة (131) . وبعد وفاتهما عهد بالدعوة الى ابي عبد الله الشيعي فقال له ابن حوشب ((ان ارض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة ممهدة لك (132) فخرج الى الحج مستترا ، فلقي رجالات كتامة (133) ورؤسائهم . وارتحل معهم الى المغرب حيث نزل بأرض كتامة . وانتشرت أخباره ((وأقبلوا اليه من كل ناحية ، فتسامع الناس بأنه يدعو الى أمر مكتوم لا يعلمونه ، وأن من دخل الامر لم يظهره ولا شيئا منه)) (134) . ثم جاهر بعد ذلك بمذهبه ، وأعلن الامامة لأهل البيت فاتبعه أكثر كتامة (135) .

وبعد أن قويت شوكة الداعية الاسماعيلي ، وكثر الداخلون في دعوته بدأ في عملياته الحربية للاطاحة بالاغالبة . وقد كانت معركة الاربس سنة 296 هـ بداية فاتحة عهد جديد ، اذ فر زيادة الله الاغلبي على اثرها الى مصر ، واستطاع أبو عبد الله دخول رقادة في نفس السنة على رأس تسعين ألف محارب ، ثم توجه الى سجلماسة لاخراج مولاه عبيد الله المهدي من سجنه عند اليسع بن مدرار . وفي طريقه اليها دك كيان الدولة الرستمية سنة 296 هـ ، كما تمكن من التغلب على صاحب سجلماسة في نفس السنة . وعاد الى افريقية فنزل برقادة وبذلك ظهرت الدولة العبيدية في المغرب .

---

130) ـ المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، صص 476 ـ 477 قارن أيضا ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، منشورات ، دار الحياة ، بيروت ، ودار الفكر ليبيا ، 1968 ، ج 2 ، ص 205 .

131) ـ القاضي النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت ، دار الثقافة ، 1970 ، ط 1 ، صص 54 ـ 55 .

132) ـ ابن الاثير ، الكامل ، ج 6 ، ص 127 .

133) ـ عن كتامة ومضا ربها ، أنظر ، موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الجزائر ش.و.ن .ت ، 1979 ، ص 92 وما يليها .

134) ـ القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص 76 .

135) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 67 .

أما اليهود ، فقد استمر تواجدهم بالمغرب ، واستعانت الدولة الفاطمية ببعضهم في تدبير شؤون الدولة والادارة . فقد استوزر المعز لدين الله ، يعقوب ابن يوسف بن كلس، كما تحصل على هذا المنصب أبو سعيد اسحاق الاسرائيلي (137).

واذا ما تجاوزنا العنصر اليهودي في الدولة الفاطمية أثناء وجود هـا في المغرب ، هناك مسألة اهتم بها المؤرخون ، وتتمثل في نسب الفاطميين وما مدى صحـة انتمائهم الى نسل فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد اتخذ المؤرخون مواقف متباينة ، منهم المؤيد ومنهم الناكر (138) ولكن الذي يهمنا هنا قول البعض بنسبهم اليهودي .

كتب ابن كثير يشير الى نسب الفاطميين ((الذين نبغوا بافريقية ويلقب أميرهم بالمهدي ، وهو أبو محمد عبد الله ابن ميمون القداح ، وقد كان صباغـا بسلمية ، وكان يهوديا فادعى أنه أسلم ، ثم سافر من سلمية فدخل بلاد افريقيـة فادعى أنه شريف فاطمي فصدقه على ذلك كثير من البربر وغيرهم من الجهلـة وصارت لهم دولـة)) (139).

وذكـر ابن عذاري رواية أخرى على لسان بعض المؤرخين مفاد هـا ((أن جعفر بن علي كانت له جارية ، ففشيها رجل من القرامطة ، وقيل من اليهود ، دفعت له مالا فلان يهواها وتهواه ، وقتلت جعفر مولاها ، فولدت جد عبيد اللـه هذا . فمن خفيت عليه هذه القصة قال انه علوي)) (140).

---

136) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 67 .

137) ـ أبو عبد الله محمد الصنهاجي المعروف بابن حمد ، أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم ، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص 26 ، أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ودراسة ، التهامي نقرة ، وعبد الحليم عويس ، الرياض ، دار العلوم ، 1981 ، ص 49 ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، تونس ، مكتبة المنار ، 1972 ، القسم الاول ، ص 237 .

138) ـ عن هذه الاراء ، أنظر ، عماد الدين اسماعيل ابي الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، دون تاريخ ، المجلد الاول ، ج 2 ، ص ص 63 ـ 64 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 6 ص ص 124 ـ 126 ، وأيضا ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولـة الفاطمية في المغرب ، ومصـر ، وسوريـة ، وبلاد العرب ، القاهـرة ، مكتبـة النهضة المصرية ، 1958 ، ط2 ، ص ص 57 ـ 79 .

139) ـ ابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل الدمشقي ، البداية والنهاية ، بيـروت ، مكتبـة المعارف ، 1966 ، ط 1 ، ج 11 ، ص 161 .

140) ـ ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 159 .

وجاءت رواية أخرى عند ابن ظافر الازدي (141) ملخصها قتل اليسع آخر ملوك بني مدرار بسجلماسة لعبيد الله المهدي في السجن . وحينما جاء عبيد الله الشيعي لاخراجه ، ولما عرف بموته عوضه بشخص آخر يهودي (142) .

وقد روى ابن خلكان حادثة القتل ((فدخل أبو عبد الله الى السجن فوجد المهدي مقتولا وعنده رجل من اصحابه كان يخدمه ، فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه ما دبره من الامر ان عرفت العساكر بقتل المهدي ، فأخرج الرجل وقال : هذا هو المهدي (143) دون الاشارة ليهوديته .

وتحدث ياقوت عن المهدي ((اختلف في نسبه فأكثر أهل السير الذين لم يدخلوا في رعيتهم وبعض رعيتهم الذين كانوا يخفون أمرهم يزعمون أنه كان ابن يهودي من أهل سلمية الشام وتزوج القداح الذي كان أصل هذه الدعوة بأمه فرباه الى أن حضرته الوفاة ولم يكن له ولد فعهد اليه وعلمه الدعوة ...))(144) .

ونقل ابن تغري بردي رواية القاضي عبد الجبار البصري في هذا الموضوع ((اسم جد الخلفاء المصريين سعيد ، ويلقب بالمهدي ، وكان أبوه يهوديا حدادا بسلمية)) (145) .

ان هذه الروايات المتخلفة في شكلها ، والتي تتفق في جوهرها الطاعن في نسب الفاطميين ، تبين الاصول اليهودية لدولة بن عبيد . ولكن في الحقيقة لم يتوقف المؤرخون كثيرا عندها . فاتهامهم بالنسب اليهودي يعود الى كرههم للحاكم الفاطمي وقصد الحط من شأن الاسرة الحاكمة، ولم يكن على أساس تاريخي (146) .

---

141)ـ هو الوزير جمال الدين أبو الحسن الازدي المصري ابن ابي منصور، ولد سنة 567 هـ/ 623 م أديب ومؤرخ من تأليفه ((الدول المنقطعة)) و ((بدائع البدائه)) و ((أخبار الشجعان)) و ((أخبار الملوك السلجوقية)) ، أنظر، محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة 1974 ، ج 3 ، ص 26 ـ 32 .

142)ـ نقلا عن موسى لقبال ، دور كتامة ، ص 324 ، الهامش ، رقم 505 .

143)ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة ، 1969 ، ج 3 ، ص 118 .

144)ـ شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، بيروت، دار صادر، ودار بيروت ، 1957 ، م 5 ، ص 220 .

145)ـ جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، 1963، ج 4 ، ص 75 .

146)ـ برنارد لويس، أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية ، تقديم ومراجعة خليل أحمد خليل ، بيروت، دار الحداثة ، 1980 ، ط 1 ، ص 117 .

فالرواية القائلة بموت المهدي في سجنه ، تفند ما الاحداث التاريخية، وحتى تلك المتحدثة عن قتلبه ((تروي أحداث الفترة التالية لفتح سجلماسة وكأن حادث القتل لم يقع لان عبيد الله استمر محورا لكل ما جرى في بلاد المغرب منذ أن استقر في رقادة الى يوم وفاته الطبيعية في المهدية)) (147). ومن هذا المنطلق فالرواية التي قالت بموت المهدي ، واحلال يهودي في مكانه ليس لها أي أساس وبعيدة التصور (148).

أما الرواية التي أورد ها ياقوت الحموي ، فقد علق عليها كناقل محايد معللا ظهور أصلها من أهل السير الذين لم يدخلوا في رعيتهم أو بعض الرعايا الذين يخفون أمرهم. وعبارة الزعم (149) تقلل من شأنها ومن قيمتها التاريخية.

ان أول من اختلق النسب اليهودي للفاطميين ابن مالك صاحب كتاب ((كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة)) الذي عاصر أيام المستنصر حينما بلغ النفوذ اليهودي (150) أقصاه (151) حيث كتب يقول ((والدليل على أنهم من ولد اليهود استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم اليهم

---

147) ــ لقبال ، دور كتامة ، ص 325.

148) ــ نفسه ، ص 324 ، الهامش رقم 505.

149) ــ تتوضح عبارة الزعم من حيث مفهومها في المنجد ((زعم قال قولا حقا أو باطلا، وأكثر ما يقال فيما يشك أو يعتقد كذبه)) المنجد في اللغة والاعلام ، بيروت ، دار الشروق ، 1984، ص 299.

150) ــ ارتفع شأن أهل الذمة ، خاصة اليهود في عهده حيث تولى أبوسعيد التستري اليهودي ديوان والدة الخليفة المستنصر ، كما تقلد أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي اليهودي الوزارة . فاغتنم التستري مكانته المرموقة وتحيز لليهود فتقلدوا الكثير من المناصب العليا في الدولة. وقد ازدادت سلطته وسيطر على شؤون القصر ، فأصبح الفلاحي يحمل منصب الوزارة أسميا فقط، فاستغل هذا الاخير استياء الناس واتهمه بدس السم لريحان زعيم الاتراك ، فترصدوا له وقتلوه سنة 439 هـ ولكن المستنصر عين شقيقه أبا نصر وقلد ابنه أحد الدواوين . ولنظرا لمكانة التستري لدى أم الخليفة تدخلت ، فأقيل الفلاحي من منصبه وسجن ثم قتل . أنظر ، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي ، الاشارة من نال الوزارة ، تحقيق عبد الله مخلص بغداد ، مكتبة المثنى ، طبعة بالاوفسنت ، صص 37 ــ 38 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 5، ص 19 ، حسن ابراهيم حسن الدولة الفاطمية ص 170، محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1974، ص 155.

151) ــ برنارد لويس، أصول الاسماعيلية ، ص 118 ، وتشير دراسة حديثة أن بداية الطعن في نسب الفاطميين ظهرت في المغرب عن طريق المؤرخ القيرواني ابن شداد وايضا الشاعر الغزالي الذين شك في نسبهم بقوله :

امن اليهود ؟ م النصارى ؟ أم هم د هرية جعلوا الحديث قديما .

راجع محمد اليعلاوي ، ابن هاني المغربي الاندلسي شاعر الدولة الفاطمية، بيروت، دار المغرب الاسلامي، 1985 ، ص 249 و 250.

تدبير السياسة ومازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم)) (152).

ان هذه الحجة غير كافية لاتهام الفاطميين ورميهم بالنسب اليهودي . ومن خلال ذلك نفهم رد الفعل هذا فاختلاف النسب اليهودي ، الغرض منه ضرب الدولة الفاطمية من الاساس، قصد تجميع كل العوامل الممكنة للاطاحة بها انطلاقا من بذر الشك والتشكيك في نسبها .

وبعد استقرار الامر في يد الفاطميين في المغرب ، بدأ هؤلاء التفكير في نقل قاعدتهم الى مصر ، فالمغرب لا يصلح أن يكون مركزا لدولتهم زيادة عن الاضطرابات المتكررة وضعف الموارد الاقتصادية ، فضلا عن قرب مصر من الخلافة العباسية ، التي يطمحون في الاطاحة بها (153).

وقد حاول عبيد الله المهدي فتح مصر ثلاث مرات ، الاولى سنة 301 هـ/ 913م والثانية سنة 307هـ/919م والثالثة 321 هـ/923 م فان فشلت الحملات (154) فانها أظهرت عدم استحالة فتح مصر ، لاضطراب أوضاعها السياسية والاقتصادية ، خاصة وأن الدعاة الفاطميين هيأوا الارضية لنشر المذهب الاسماعيلي (155).

ولما تولى المعز لدين الله الفاطمي (156) عهد الى قائده جوهر الصقلي (157) للاستيلاء على مصر بعد وفاة كافور الاخشيدي . فدخلها ودعا للمعز في سنة 358 هـ /969م (158) وبدأ في بناء مدينة القاهرة في أول ليلة نزوله بها . وفي سنة 361 هـ/ 971 م دخل المعز القاهرة بعد ان استخلف على افريقية يوسف بن بلكين بن زيري الصنهاجي (159).

---

152) ـ محمد حمدي المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص 38 .

153) ـ محمد جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص 62 ، وعن القول الفصل في مسألة النسب الفاطمي ، أنظر ، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، العدد 40 ـ 43 السنة الثالثة عشر (1975) ص 55 وما يليها .

154) ـ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، صص 616ـ620 .

155) ـ جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص 61 .

156) ـ عن هذا الخليفة الفاطمي ، راجع ، حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف ، المعز لدين الله الفاطمي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ط2

157) ـ عن القائد جوهر ، راجع ، علي ابراهيم حسن ، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ، ط2 .

158) ـ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 4 ، ص 28 ، بعد الاستيلاء على مصر أرسل جوهر يزف الخبر للمعز ، فقال ابن هاني الاندلسي :

يقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج 4 ، ص 30 ، وقارن القصيدة بنظيرتها المثبتة في ديوان ابن هاني بيروت ، دار صادر ، 1980 ، ص 131 .

159) ـ ابن تغري بردي ، نفسه ، ص 72 ؛ القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار فراج ، بيروت ، عالم الكتب ، 1980 ، ج 1 ص 307 .

وبانتقال الدولة الفاطمية الى مصر ، بدأت تظهر النواة الاولى للدولة الزيريـــة في المغرب ، على الرغم من بقاء التبعية للخليفة الفاطمي بالقاهرة حيث بقيت الخطبة على المنابر للفاطميين ، وضربت السكة باسمهم ، وارسال الجزية الـــى مصر كل سنة (160) .

ولما تولى المعز بن باديس ــ وقد كان ((منحرفا عن مذاهب الرافضة ومنتحلا للسنـــة فأعلن بمذهبه لاول ولايته ...)) (161) . وعلى ما يبدو فان تربيـــة وزيره ابن ابي الرجال على المذهب السني قد أثرت فيه (162) ــ قطـع الصلة بالفاطميين وأقام الدعـــوة بالمغرب للقائم بأمر الله العباسي (163) .

وقبل الوصول الى مرحلة القطيعة أو الازمة الكبرى (164) سبقتهـــا مجموعة من الاعمال لخصها الدكتور موسى لقبال في اضطهاد الشيعة والتحالـــف مع المالكيـــة والوفاق مع كتامة والتفتح على العالم الخارجي والتدخل في ميدان صقلية وعلاقة الود التي تربط المعز بن باديس بأبي العالم علي بن أحمد الجرجرائي (165) التي اساسها الاتفاق في الرأي حول نظام الخلافة الفاطمية(166) .

وتميزت المرحلة الاخيرة بسوء العلاقة بين المعـــز والوزير اليازوري نتيجة للسياسة التي انتهجها المعز تجاه الدولة الفاطمية وتجاه اليازوري نفسه . وقد شرح ابن الاثير هذا الخلاف بقوله ((... ثم ان المستنصر استوزر الحســن ابن علي اليازوري ولم يكن من أهل الوزارة انما كان من أهل الباتة والفلاحـــة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله من الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازوري بصنيعه فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع الى ما يجب فأكثر الوقيعـــة في المعـــز وأغرى به المستنصر...)) (167) .

---

160) ــ حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص 251 ــ 252 .

161) ــ ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 325 .

162) ــ ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 373 .

163) ــ اختلف المورخون حول تاريخ القطيعة ومظاهرها ، أنظر HADY Roger IDRIS
La Berberie Orientale sous les Zirides X-XII Siècles, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, 1962, Tome I, p.p. 172 et suites

وأيضا ، عبد العزيز سالم ، نفسه ، ص 660 ــ 664 .

164) ــ لقبال ، كتامة ، ص 597 .

165) ــ الجرجرائي نسبة الى جرجرايا بسواد العراق أمر الحاكم الفاطمي بقطع يديه ، توفي سنة 436 هـ انظر، ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص 35، 36، ابن خلكان ، وفيات ، ج 3 ، ص 407، 408، المناوي ، الوزارة والوزراء، ص 253 ــ 254 .

166) ــ لقبال ، كتامة ، ص 598 ــ 602 .

167) ــ ابن الاثير ، الكامل ، ج 8 ، ص 55 .

ونتيجة لذلك دفع الفاطميون قبائل بني هلال وبني سليم للانتقام من العبد الآبق فقال لهم اليازوري ((قد أعطيتكم المغرب ، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الابق فلا تفتقرون)) وكتب الى المعز قائلا ((أما بعد فقد انفذنا اليكم خيولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا)) (168).

اجتاحت القبائل أرض المغرب ، فخرج المعز لصدها ، غير أنها أوقعت به الهزيمة ودخلت القبائل الى مدينة القيروان فخربت . ولكي يخلص نفسه صاهر ببناته أمراء العرب (169) . وانهى المعز أيامه الاخيرة في مدينة المهدية حزينا الى أن توفي في سنة 454 هـ / 1062م (170) . وتقلصت الدولة الزيرية في افريقية حيث شملت المهدية وما يليها (171) .

أما فيما يتعلق بالعنصر اليهودي في الدولة الزيرية بافريقية، فان المصادر تؤكد حضوره فالشماخي تحدث عن وجود اليهود في الوسط الاباضي بالمنطقة الجنوبية الافريقية وجبل نفوسة و سدوس وجادو (172) . كما سيطر على ما يبدو من خلال مسألة قدمت للمازري ليفتي فيها تفيد ان تجارة الحرير في قفصة بأيدي اليهود (173) ، والمعز بن باديس نفسه قد اتخذ كطبيب ابن عطاء اليهودي (174) .

---

168) ـ ابن خلدون ، العبر، ج 11 ، ص 31 .
169) ـ نفسه ، ص 34 .
170) ـ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 671 .
171) ـ إبن ابي ضياف ، اتحاف اهل الزمان ، ج 1 ، صص 186 ـ 187 .
172) ـ أنظر Roger Idris, la Berberie Orientale sous les Zirides" T.II, p.764 - Rachid Bouruiba "L'esprit de tolérence chez les Zirides, les hammadidites et les Normands de Sicile" Actes du deuxieme Congrès International d'Etudes des Cultures de la Méditerranée Occidentale II, SNED, Alger, 1978, P.251.
173) ـ محمد الطابر ((جوانب من الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بسلسلة بافريقية في أواخر القرن (5) وأوائل القرن (6) للهجرة من خلال فتاوى عبد الحميد الصائغ والمازري)) دراسات وبحوث مقارنة، تونس ، المطبعة العصرية 1979، ط 1 ، ص 145 .
174) ـ الدباغ : معالم الايمان ، تحقيق وتعليق محمد ماضور، تونس ، المكتبة العتيقة ، ج 3، ص 161 ، أحمد بن ميلاد ، تاريخ الطب العربي التونسي في عشرة قرون ، تونس ، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، 1980، ص 61 .

وقد توصل الاستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب اعادة بناء مدينة القيروان من خلال تأليف المؤرخين والجغرافيين حيث وصف أرباض المدينـة الامــة، والحارات والشوارع والازقـة والاسواق العامرة من بينها سوق اليهـود المجاور لدرب الفرسان في داخل المدينة (175) وذلك في عهد الدولة الزيريـة أي خلال القرن الخامس الهجري . كما توصل الى حصر عدد السكان وقد رهـم بمائة ألف نسمـة (176). ولكنـه لم يتحدث عن أهمية الجالية اليهوديـة بل اكتفى بذكرهم ضمن العناصر السكانية الكثيرة التي تقطن المدينة بقولـه ((... زيادة على ماكان يقطنها من اليهود والنصارى الذين بقوا متمسكيـن بديانتهم محترمين في أشخاصهم وشعائرهم لتسامح الاسـلام)) (177).

فالجالية اليهودية في هذا العهد كبيرة دون شك على الرغم من قلة النصوص التاريخية لان مدينة القيروان كأكبر حاضرة في المغرب، وكمركز تجاري هـام قد جلبت اليهود اليها فهم ((انتقلوا وانتشروا ... بكيفية منتظمة على طول الطرق التجارية في كل عالم متحضر سواء كان عالم الحضارة اليونانية أو الرومانية أو العربية)) (178). وبالتالي فالقيروان لا تشذ عن هذه القاعدة الذهبية المعروفة ، والتي يمكن بها حل سر انتشار اليهود في الارض .

هذا عن التواجد اليهودي في ظل الدولة الصنهاجية من شعبـة آل باديس في افريقية . أما الشعبة الثانية فهي الدولة الحمادية أي آل حمـاد التي ظهرت في المغرب الاوسط . لقد لعب حماد بن بلكين بن زيري دورا عسكريا نشطا أثناء ثورة الاخوين ماكسن وزاوي سنة 390 هـ/1000 م على باديـس والقضاء على زناتة (179) وأسس القلعة سنة 398 هـ/ 1007 م (180). وهذا التاريخ ((يعني بداية الميلاد العلمي والتاريخي للدولة)) (181).

---

175) ــ حسن حسني عبد الوهاب ، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، تقديم العروسي المطوي ، تونس ، مكتبة المنار، 1970، ط 2 ص 15 و 16 .

176) ــ نفســه ، ص 25 .

177) ــ نفســه ، ص 31 .

178) ــ عبد المجيد مزيان ((العرب واليهود في التاريخ)) مجلة الثقافــة عدد 14 السنة الثالثة (افريل ، ماي 1973) ص 116 .

179) ــ عن زناتة وفروعها ومضاربها ، أنظر ، محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي ، الجزائر ، الموسسة الوطنية للكتاب، 1984، صص 15 ــ 21 .

180) ــ ابن خلدون ، العبر ، ج 11، صص 349 ــ 350 .

181) ــ عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد . صفحــة رائعة من التاريخ الجزائري ، دار الشروق ، 1980 ، ط 1 ص 62 .

وفي سنة 405 هـ/ 1014م استقل حماد ، وخالف دعوة باديس وقتل الشيعة وأظهر السنة ونبذ طاعة العبيد بين ودعا للبيت العباسي (131)، وبذلك ظهرت الدولة الحمادية في المغرب الاوسط . ثم شرع الناصر بن علناس في بناء حاضرة جديدة سنة 460 هـ/ 1067 م هي بجاية سماها ((الناصرية)) .

ان الدراسات تتحدث عن وجود العنصر اليهودي في قلعة بني حماد (132) حينما تعرضت لتشكيلة السكان ، ولكن هذه المعلومات غير كافية لاخذ فكرة واضحة عن الجالية اليهودية في الدولة الحمادية ، اذ تقتصر المعلومات على الاشارة اليهم فقط (133) ، دون التوغل في أوساطهم .

أما المصادر ربما فهي تسكت عن العنصر اليهودي ، ولا نجد بعض الشذرات الا في كتب الفتاوي والنوازل .

ومن دون شك فان مدينة ((الناصرية)) قد تجمعت فيها جالية يهودية ، وذلك بالاعتماد على الدراسة المقارنة ، فلا يصح وجود جاليات مسيحية تتمتع بحرية العقيدة والعمل في غياب الجالية اليهودية . وبصورة عامة فقد تجمعت جاليات أجنبية من بينها اليهود الذين كونوا مدرسة تلمودية في قلعة بني حماد يرأسها سليمان ديان بن فرماس بعد أن ترأسها اسحاق بن يعقوب الفاسي (134).

ان وجود مثل هذه المدرسة يعطينا فكرة حقيقية عن الجالية اليهودية بهذه الدولة ، لانه لا يمكن ظهور مثل هذه المدرسة الا بوجود عدد كبير من اليهود الذين يحتاجون الى مثلها للنظر في شؤونهم وعلاقتهم بالاخرين .

---

131) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، صص 350 ـ 351 .

132) ـ رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1977 ، ص 161 و ص 166 ، عويس ، دولة بني حماد ، ص 241 ، وصص 256 ـ 257 ؛
H.Rogr Idris, la Berberie Orientale,T.II,P.764,Bouruiba,l'esprit de tolérence,p.251.

133) ـ كتب الاستاذ عويس ((والى جانب هذه الطوائف وجدت طوائف مذهبية متداخلة مع ... فمن سنة مالكية وأحناف الى شيعة ـ بعض كتامة ـ الى مسيحيين ، الى خارجين أباضية ، الى يهود)) الدولة الحمادية ، ص 239 .

184) ـ أنظر :
-H.Roger Idris,la Berberie Orientale,T.II,p.808.
-R.Brun Schvig,la Berberie Orientale sous les Hafsides,T.I,p.397.

بورويبة ، الدولة الحمادية ، ص 198 .

بينما كان الجزء الشرقي من المغرب الاسلامي يعيش حالة اضطراب ، كان المغرب الاقصى تتقاسمه أربعة قوى هي قبائل غمارة في الشمال ، وقبائل برغواطة في الغرب ، وزناتة مكونة نطاقا حول هذه القبائل ، ثم طوائف الشيعة الرافضة ، والوثنيين في الجنوب بتارودانت عاصمة السوس الاقصى (185).

تلك هي وضعية المغرب الاسلامي ، حينما بدأت تظهر قوة جديدة تجمعت حول الفقيه عبد الله بن ياسين في منطقة الصحراء ، وقد سمي أتباعه بالمرابطين (186). ولما شعر بقوة ايمانهم، وارتفاع عددهم قال لهم ((ان ألفا لن تغلب من قلة، وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة عليه ، فاخرجوا بنا لذلك فخرجوا)) (187). فاستولوا على بلاد السوس واستولوا على تارودانت، ثم توجهوا الى بلاد الحوز ودخلوا العاصمة أغمات التي اختيرت عاصمة موقتة لهم نظرا لتحضرها وقربها من الصحراء (188).

وتوجهت بعد ذلك القوات المرابطية لمحاربة برغواطة وغمارة ، وفي احدى المعارك استشهد عبد الله بن ياسين سنة 451 هـ/ 1059م. فخلفه أبا بكر بن عمر اللمتوني الذي أعاد تنظيم الصفوف، واثارة الروح المعنوية بعد استشهاد الزعيم الروحي وعبأ الجيش وقصد الى قتال برغواطة، فاستأصل شأفتهم وأسلموا أسلاما جديدا (189). وأمر أبو بكر بن عمر بتأسيس مدينة جديدة هي مراكش سنة 462 هـ/ 1070م. وفي اثناء انهماكه في بناء الحاضرة الجديدة ، وردت عليه أخبار فتنة الصحراء ، فتوجه الى الجنوب وعين يوسف بن تاشفين على الامارة (190).

وبتولية هذا الاخير ((دخلت دولة المرابطين في عهد جديد ، حيث حققت تحويلا جذريا للاوضاع السياسية في المغرب الاسلامي))(191) فقام بتنظيم شوون الامارة ، وبعدما توسع المرابطون ، فاستولوا على مكناسة ، وفاس، وطنجة، ثم فتح وجدة ، وتلمسان ، ووهران ، وتنس، والجزائر ، ولا غاثة أمراء الاندلس لم يقدم على اقتحام الدولة الحمادية (192).

---

185) ـ العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس، ص 272 .
186) ـ ابن عذاري ، البيان ، ج 4 ، ص 12، ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ص 375 .
187) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، صص 374 ـ 375 .
188) ـ العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص 294 .
189) ـ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص 133 .
190) ـ لسان الدين بن الخطيب ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تصحيح البشير الفوراتي ، تونس ، مطبعة التقدم الاسلامية ، 1913 ، ص 12 .
191) ـ حاجيات ، المرابطون ودورهم ، ص 36 .
192) ـ نفسه ، ص 36 .

وفي هذه الدولة عاشت جاليات يهودية في أكبر المدن ، فقد تحدث البكري عن مدينة فاس بقوله ((وهي أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها الى جميع الافاق)) (193). واستوطنت جالية يهودية أخرى مدينة سجلماسة يشتغل معظمها في اعمال البناء (194).

وذكر الادريسي اليهود المستوطنين في مدينة أغمات ايلان ((وبهذه المدينة يسكن يهود تلك البلاد ... وكانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف)) (195) وذلك لاسباب موضوعية لا دخل للتعصب الديني مثلما ذكر الاستاذ حركات حينما قال ((وعلى كل فوجود الفقهاء على رأس الجهاز السياسي ، وكثير منهم أندلسيون متعصبون ، أثر بطبيعة الحال في موقف المرابطين من اليهود)) (196).

وبصورة عامة، فالجاليات اليهودية ، استمر تواجدها بالمغرب الاسلامي في عهد المرابطين ، متوزعين في عدة مناطق أهمها المدن الكبرى خاصة مدينة فاس التي بقيت تحتوي على جالية ضخمة الى القرن السادس الهجري (197). وأيضا المدن الاندلسية .

وقد نعمت هذه الجالية بالهدوء والطمأنينة، خاصة في بداية الامر أي أثناء امارة يوسف بن تاشفين الذي عامل أهل الذمة باحكام الكتاب والسنة (198).

---

193) ــ البكري ، المغرب ، ص 115 .
194) ــ نفســه ، ص 149 .
195) ــ الشريف الادريسي ، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، تصحيح ونشر هنري بيريس ، الجزائر ، دار الكتاب ، 1957 ، ص 45، الادريسي ، المغرب العربي ، من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق وترجمة محمد حاج صادق ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ، القسم العربي ص 86 .
196) ــ ابراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، الدار البيضاء، منشورات مكتبة الوحدة العربية ، دون تاريخ ، ص 129، حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ص 217 .
197) ــ عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق، 1983، ط1 ص 106 .
198) ــ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص 137 ، أحمد بن خالد الناصري السلاوي ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، القاهرة ، 1312 هـ ، المجلد الاول ، ص 133، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، في المغرب والاندلس ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1964، القسم الاول ، ص 51 .

ولما أفل نجم المرابطين ، قامت الدولة الموحدية على أساس ديني قوامــه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويعود الفضل الى ظهورها للمهدي ابن تومــرت (199) والى خلفه عبد المومن بن علي الكومي (200) واضع دعائمها الحقيقية ، فاتخذ من مراكــش عاصمة للدولة ، ومنها سيطر على كامل بلاد المغرب .

واثر وفاته خلفه ابنه أبو يعقوب يوسف ، فسار على نهج أبيــه في السياسة الداخلية والخارجية (201) . ومن أهم أعماله السياسية والعسكرية جوازه الى الاندلس لمحاربة المسيحيين فدفع روحه ثمنا للجهاد والاسلام والمسلمين سنة 580 هـ/1184 م (202) . وأما أعماله الداخلية ، فأهم مشروع قام بــه هو وضع الاسس لبناء مدينة جديدة هي الرباط عاصمة المغرب السياسية في الوقت الحــاضر (203) .

وبوفاة محمد الناصر (595 هـ/610 م) دخلت الدولة الموحدية في دور الضعف ، اثر معركة العقاب ، وظهور قوة جديدة تتمثل في المرينيين (204) الذين أصبحوا يكونون خطرا على دولته .

وحينما آل الحكم الى ادريس المأمون (624 هـ/629 م) أبطل الدعاء للمهدي ومحا اسمه من السكة ، مستبدلا اياها بحملة جديدة ، ونكل بشيوخ الموحدين ، فأدى كل ذلك الى استقلال أبي زكرياء الحفصي في افريقية ، وظهــور يغمراسن بن زيان في تلمسان على رأس بني عبد الواد . فانقسمت الــدولة قبل القضاء عليهــا نهائيا ســنة 668 هـ/ 1269م .

---

199) ــ المهدي بن تومرت (470ــ 480/522ــ524 هـ) مصلح ديني مراكشي زار المشرق للرحلة وطلب العلم ، عاد الى المغرب وسعى لتأسيس دولة الموحدين ، أنظر ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج 5 ، ص 45ــ55 ، رشيد بورويبة ، ابن تومرت ، ترجمة عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 .

200) ــ عبد المومن بن علي (ت 553 هـ) خلف المهدي ، استطاع توحيد المغرب الاسلامي تحت حكمه ، أنظر ، ابن أبي زرع ، الانيس المطرب ، ص 183ــ 205 ، أنظر أيضا ، صالح بن قربة ، عبد المومن بن علي موحد بلاد المغرب ، الجزائر ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة (الموسوعة التاريخيــة للشباب) 1985 .

201) ــ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ص 269 .

202) ــ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي ، تاريخ الدولتيــن الموحدية والحفصية ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، تونس ، المكتبــة العتيقة ، 1966 ، ط 2 ، ص 14 .

203) ــ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ص 272 .

204) ــ المرينيون قبيلة زناتية ناصبت الموحدين العداء ، عاشت في المناطــق الصحراوية الى أن قويت شوكتها ، فقضت نهائيا على الموحدين ، وأسسوا دولة سنة 668 هـ ، أنظر ، ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 343ــ345 .

لقـــد تواجـــد اليهود في الدولة الموحدية أثناء حكمها للمغرب الاسلامي ، ويعتبر هذا التواجد استمرارا وامتدادا للجاليات اليهودية في العصـــر المرابطي . أما مراكز اقامتهم فهي كثيرة منها تلمسان (205) حيث ذكر ابن سعيد المغربي أحدهم ، وقد نزل بداره قاضي المدينة فخاطبه بقولـــه ((يا اسرائيل ديار كم لطيفة ، وطعامكم طيب ، وشرابكم رائق)) . وهو كلام يوحي بوجود عـــدد كبير من دور اليهود بتلمسان .

وسكن اليهود مدينة تونس (206) التي كانت بها جالية منذ القديم وقد نعمت بالرخاء في حكم الخراسان (207) . ولكن هذا الوضع تغير في العهد الموحـــدي ، اذ فرض عليهم المنصور سنة 595 هـ/1195م ((الشكلة (208) وجعل قمصهم طول ذراع في عرض ذراع وجعل لهم برانس وقلانس زرقا)) (209) وذلك للتمييز بينهم وبين بقية سكان تونس . وقد شمل هذا الاجراء كل يهود المغرب بما في ذلك الاندلس (210) .

واستقر اليهود في مدن مغربية أخرى ، ذكر منها صاحب الاستبصار فاس (211) ومراكش (212) ومن دون شك في بقية الحواضر الكبرى في المغـــرب الاسلامي ، على الرغم من هجرة اليهود منذ مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الى المشرق ، أكدتها وثائق جنيزا القاهرة ، التي اثبتت اتصـــال بعض سكـــان الساحل التونسي من اليهود ، واقامتهم بمدينة القفـــس (213) .

---

205) ـ أبو الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد ، الغصون اليانعة فـي محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار المعارف بمصر ، 1967 ، ط 2 ، ص 33 .

206) ـ الناصري السلاوي ، الاستقصاء ، مجلد 1 ، ص 155 ، عبد العزيز الدولاتلي ، مدينة تونس في العهد الحفصي ، تعريب محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي ، تونس ، دار سراس للنشر ، 1981 ، ص 49 و 51 .

207) ـ عن بني خراسان ، أنظر ، ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 334 ـ 337 .

208) ـ الشكلة علامة لتمييز اليهود عن غيرهم ، أنظر : E.Fagnau, additions aux Dictionnaires Arabes, Beyrouth, librairie du Liban, sans date, p90.

209) ـ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص 16 ، ويخالف ابن الشماع الزركشي في تاريخ فرض الشكلة على اليهود ، قارن الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولـة الحفصية ، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري ، تونس ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، 1984 ، ص 66 .

210) ـ محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثاني ، ص 235 ، وقد تهكم اليهودي ابن النخرالة على هذا القرار في أرجوزة مطلعها :
لبس ذا الزرق ليس فيه خسارا فأفهموا يا قوم هذه الاشارا .

211) ـ عز الدين أحمد الموسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 110 .

212) ـ نفســه ، ص 114 .

213) ـ نفســـه ، ص 114 ، 115 .

4) الوضعية القانونية لليهـــود :

بعد هذه اللمحة عن التواجد اليهودي في المغرب الاسلامـــي المستمر منذ بداية الفتح حتى سقوط الدولة الموحدية على أيدي المرينيين ، نتسائل عن وضعية اليهود القانونيـــة، أي ماهي الاحكام التي طبقت عليهم كجالية عاشت بين ظهراني الدول المغربية التي تعاقبت على أرض المغرب ؟ لقد أطلق على اليهود والنصارى الذين يعيشون في بلاد الاسلام ((أهل الذمة))، والذمة في اللغـــة تعني الامان والعهد ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف ((... يسعى بذمتهم أدناهم ...)) وقد فسر الفقهاء ذمتهم بمعنى الامان (214)، لذلك فان عقد الذمة ترتب عليه الامان على الارواح والاعراض والاموال في دار الاسلام.

وقد شرع عقد الذمة، بعد فتح مكة في السنة التاسعة من الهجرة بنص من القـرآن الكريم اذ قال الله تعالى ((قاتلوا الذين لا يؤمنـــون باللـــه ولا باليوم الاخـر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون بدين الحـــق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) (215). فأمـــل الذمة لهم الامان على أرواحهم ومتاعهم، والبقاء على كفرهم مقابل دفع الجزيـــة (216) الموضوعة على الرؤوس وتسقط بالاسلام.

وفصل الماوردي عقد الجزية والشروط المترتبة عليها وهي نوعان مستحق ومستحب. أما المستحق فستة :

1) ـ أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف.
2) ـ أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيـب ولا ازدراء.
3) ـ أن لا يذكروا دين الاسلام بذم له ولا قدح فيـــه .
4) ـ أن لا يصيبوا مسلمة بزنـــا ولا باسم نكاح .
5) ـ أن لا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا لدينه .
6) ـ أن لا يعينوا أهل الحرب ولا يودوا أغنيائهم.

---

214) ـ عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ، بغداد مكتبة القدس ، بيروت، موسسة الرسالة ، 1982، ص 22.

215) ـ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، تحقيق وتعليق ، صبحي الصالح ، بيروت ، دار العلـــم للملاييـــن ، 1983 ، ط 3، القسم الاول ص 1 ، زيدان ، أحكـــام الذميين ، ص 26 . علي بن محمد حبيب البصري الماوردي ، الاحكـــام السلطانية والولايات الدينيـــة ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 124 ، والسورة هي التوبة ، الايـــة 29 .

216) ـ الجزية : الجزية موضوعة على الرووس واسمها مشتق من الجزاء، وهي جزاء على كفرهم أو جزاء على الامان لهم لاخذها منهم رفقا ، ولا تجب الا على الرجال الاحرار العقلاء ، أنظر، الماوردي ، الاحكام ، صص 124 ـ 125 .

وأمـــا المستحب فستة أيضـــا :

1) ـ تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار .

2) ـ أن لا يعلوا على المسلمين في الأبنية، ويكونوا ان لم ينقصوا مساوين لهم .

3) ـ أن لا يسمعوهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عزيز والمسيح .

4) ـ أن لا يجاروهم بشرب خمورهم ولا باظهار صلبانهم وخنازيرهم .

5) ـ أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم ولا نياحة .

6) ـ أن يمنعوا من ركوب الخيل عتاقا ومجانا ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير (217).

ان هذه الشروط المترتبة على عقد الجزية توضح مدى التسامح الذي ابداه المسلمون تجاه أهل الكتاب من يهود ونصارى ((حقنا للدماء وشفاء للصدور من الغيض واحلالا للتراحم والتسامح بدل العسف والظلم وقطعا لمظاهر الكيد وأسباب الفتنة بين المتعايشين المتساكنين من مسلمين وغيرهم ممن دخل في ذمتهم واحتمى بعصـــامهم)) (218).

وأحكام أهل الذمة مستمدة من مصادر التشريع الاسلامي . اذ قرب الاسلام بين أصحاب الديانات الاخرى وبينه حيث أمر أتباعـــه بتصديق الانبيـاء قبل الرسول صلى عليه وسلم فلم يتهجم على أحد منهم والاية الكريمة توضـــح ذلـــك ((قولوا آمنـا بالله وأنزل الينا ونزل الى ابراهيم واسماعيل واسحـــاق ويعقـــوب والاسباط، وما أوتى موسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بيـــن أحد منهم ونحن له مسلمون)) (219).

فحقوق أهل الذمة مضمونة في الدولة الاسلامية ما أقاموا على العهد ولم ينكثوا ولم يغدروا ((فان خانوا العهود وحادوا المواثيق وأحدثوا من الامر ما فيـــه نيل أو أذى أو اعتداء على مقومات الاسلام العقيدية والسياسية خرجوا من الذمة الى الحرب ومن الاستجارة الى الكيد . . . لا بد من التشديد عليهم ومحاربتهـــم الى أن ينقطع أذاهم)) (220).

واليهود في المغرب لا يخرجون على هذه الاحكام ، حيث طبقـــت عليهم فاتسمت معاملة المسلمين لليهود بالتسامح والرفق . وقد أع[...] بهذه المعاملة الانسانية ((اليهود كانوا في الحقيقة أسعد حالا [...] أكثر مما كانوا في غالب البلاد الاوروبية حيث تعرضوا لحقد قاس)) ([...] يعامل المغاربة اليهود بقساوة الا في الظروف التي يتجاوزون فيها[...]

---

217) ـ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص 126 .

218) ـ بلخوجة ، اليهود في المغرب العربي ، ص 21 .

219) ـ سورة البقـــرة ، الاية 136 .

220) ـ بلخوجة ، المرجع ، ص 22 .

221) ـ أنظـــ[...]

الاحكام . خاصة حينما يعبثون بالقوانين الاسلامية ويتحالفون مع الاعداء مثلما حدث في العهد الموحدي .

وبصورة عامة فاليهود في المغرب عوملوا معاملة أهل الذمة في الاسلام انطلاقا من النصوص الشرعية . وقد قابل هذه السياسة المبنية على التسامح تجاوزات برزت في الحياة الاجتماعية والاقتصادية كانت لها الاثر السيء على اليهود ولكن في حالة قوة الدولة التي عاصروها ، وذلك تبعا للاسلوب المنتهج من طرف الحكام ومدى تمسكهم بالنصوص الشرعية .

وخلاصة القول ، أن وجود اليهود في المغرب أثناء الفتح ممكن نظرا لوجود بقايا جاليات يهودية من العصور القديمة ، ولكن المصادر التاريخية الاسلامية لا توضح لنا حقيقة هذا الوجود لانها سكتت عن العنصر اليهودي خلافا للعناصر المسيحية التي كانت حاضرة انطلاقا من شهادات المؤرخين .

أما اليهودية في المغرب، فالحوادث التاريخية لا تؤكد بالتسليم بها ، لما لهذه القضية من علاقة مباشرة مع الوجود اليهودي ، وانما قبلت بالسهولة المعروفة من طرف الباحثين لعدم توقفهم عندها جيدا . لذلك أصبحت من المسلمات التاريخية ؟ فان كانت النصوص لا تؤكد هذه ((الحقيقة)) ؟ فلا يمكن قبول المقاربات للتوصل الى معرفتها مثلما فعل شلوش وغيره الذين اعتمدوا على بعض التقاليد للقول بتغلغل اليهودية في أوساط المغاربة . فان كان هناك تغلغل فهو يتمثل في النصرانية التي احتلت مواقع هامة في الحواضر الكبرى ولدى سكان السواحل وبعض القبائل المغربية .

أما بعد الفتح فان المغرب أصبح منطقة جذب بالنسبة لليهود ، فظهرت الجاليات بكل وضوح ، لان المصادر الاسلامية شاهدة على ذلك غير أنه لا يمكن الان تحديد ما طق الهجرة اليهودية الى المغرب الاسلامي وسبلها .

فالرخاء الاقتصادي والتسامح الاسلامي هما العاملان الاساسيان اللذان ساعدا اليهود للتوجه الى أرض المغرب . . فكل الدويلات التي تعاقبت عليه ، احتوت عدد كبير من اليهود . .

وقد رأى البعض بأن هذه الدويلات منها ما كان يهوديا أيضا ، وهذا الرأي يحتاج الى اعادة النظر في دولة برغواطة ، فشهادة سفير هذه الدولة وصاحب صلاة البرغواطيين زمور بن موسى بن هشام التي عرضها البكري تحتاج الى تأكيد (122).

---

122) ـ أنظر: A. Benachenhou la dynastie Almora vide et son art, Alger Imprimerie E.P.A. 1974 pp. 30-31.

لانـــه لم يغادر الاندلس(123) من ناحية . ومن ناحيـــة أخرى فهو لـــم يطلع بصورة مؤكـــدة على وثائق قرطبـــة (124).

وما قيل في نسب برغواطة يمكن أن يقال عن نسب الفاطميين الذين اختلقوا لهم النسب اليهودي ، فلم يتوقف حتى المستشرقون عند هذه المسألـــة كثيـــرا واستبعدوا هذا الانتماء لانه ادعاء ظهـــر في خضم الصراع الفاطمي ـ العباسي .

أما عن الوضعية اليهود الادارية في المغرب الاسلامي منذ الفتح الى نهاية الدولة الموحدية ، فقد دخل هؤلاء ضمن التشكيلات السكانية وأطلقـــت عليهم المصادر ((أهل الذمـــة)) حيث تمتعوا بالحقوق الواجبة الناجمـــة على هذه الوضعية المستمدة من الشرع الاسلامي الذي خول لهم حقوقا لتـــم يتمتعـــوا بها في ظل أراضي خارجة عن دار الاسلام .

لقد أبرز البحث أهمية الجاليات اليهودية بعد الفتح ، وأماكـــن تواجدهـــم في اطار الدول المغربية من القرن الثاني للهجرة الى القرن السابع، والمكانة التي يحتلونها في الاطار القانوني . فما هي حياتهم الاجتماعية كجاليـــة تتعايش في المجتمع الاسلامي في المغرب . وما هو موقف السلطات والمجتمـــع منهـــم ؟ وهو ما يتناوله الفصل الثالث بالاضافة الى الحياة الاقتصادية لليهود أي المهن التي اشتغلوا بها ، ودورهم في الاقتصاد المغربي عمومـــا .

---

123) ـ اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة ايغور بلياسن ، القاهـــرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (اختارته الادارة الثقافية فـــي جامعة الدول العربية ، 1963 ، القسم الاول ، ص 275 .

124) ـ نفســـه ، ص 276 .

115

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والاقتصادية لليهود

1. الحياة الإجتماعية
2. الحياة الإقتصادية

1) ـ الحياة الاجتماعيـــة :

أ ـ السكن : لقد كانت المدن الاسلامية تخطط في أعقاب الفتـــح الاسلامي ، لتصبح مواقع عسكرية وادارية تدعى دور الهجرة . فكانت القبائل تقطـن الدروب الخاصة بها (1) . وبتطور الزمن توافدت على هذه المدن الجديدة عناصر تمتهن العديد من الصنائع والاعمال التجارية . فنمت هذه المراكز ، وتعددت انشطاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فتحولت الى أمصار .

والمدن المغربية لم تخرج أو تبتعد عن تخطيط بقية الامصار الاسلامية التي تبنى حول المسجد ودار الامارة تحيط بها أرض خلاء ، ومنها تتفرع الطرقـــات والـــدروب (2) . وقد نجم عن هذه الوضعية وجود أحياء خاصة باليهود تدعـــى الحارة أو حارة اليهود أو حارة خيبر كما هي الحال بالنسبة لمدينة القيروان (3) . وعلى ما يبدو أن هذه التسمية ، هي التي انطلق منها البعض للقول بوجود يهـــود خيبر في منطقة المغرب كما عرفنا (4) .

وفي أكثر المدن المغربية يتجمع اليهود في أحياء خاصة بهم في أغلب الاحيان ، يطلق عليها اسم الحارة التي ترادف كلمـة الحومة وتعني الحي (5) . والتسمية قد تختلف أحيانا من عصر الى آخر . فهم يتجمعون في الملاح بالمغرب الاقصى ، وقاعة اليهود أو المسبتة نسبة ليوم السبت في اليمن ، وفي حارة اليهود في مصر ، والشيتتل في شرق أوربا التي تعني باللغة اليديشية المدينة الصغيـرة ، والقاهال التي تعني جماعة كبيرة من الناس في مكان واحـــد (6) . وفي أوربا تدعى أحياء اليهود أيضا بالجيتـــو (Ghetto) .

---

1) ـ عبد العزيز الدوري ((المؤسسات الحكومية)) المدينة الاسلامية ، ترجمـــة أحمد محمد تلعب ، أشرف على النشر ، ر.ب. سرجنت ، اليونسكو ، السيكومور فجـر ، 1983 ، ص 53 .

2) ـ نفسه ، ص 53 ، وراجع ، محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الاسلامية ، عالـــم المعرفة ، الكويت ، عدد 128 ، ص 238 وما يليها .

3) ـ أنظر : ldris. la berberie orientale T II p. 423.

4) ـ أنظر : Cahen. op.cit. p. 23.

5) ـ أنظـر : Paul Sébag avec la collaboration de Robert Attal, l'évolution d'un ghetto nord africain. lahara de Tunis publication de l'institut des hautes études de Tunis. 1959 p 7.

6) ـ رشاد عبد الله الشامي ، الشخصية اليهودية والاسرائيلية والروح العدوانية ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد 102 ، ص 12 وما يليها .

لقد زعم الكتاب اليهود أن المعاملة الاجتماعية السيئة ، هي التـــــي جعلتهم يتجمعون في أحياء خاصة ، وذلك نتيجة للعنصرية التي يتعرض لها اليهود في العالم الاسلامي. ولكن هذه الحجة غير مقبولة من الناحية التاريخية ولا من وجهة النظر الاجتماعية . فوجود اليهود في مناطق خاصة بهم لا تعود للعامل العنصري ، حيث أن تسمية الاحياء في كثير من الاحيان ترجع الى العنصر البشري الذي يقطن بالحي . والمصادر تتحدث عن أحياء خاصة بالقبائل في المدن الاسلامية الكبرى كالبصرة، وبغداد مدينة السلام (7) والقاهرة (8) وغيرها . ومن ناحية أخـــرى فان الاقليات دائما كانت تتجمع في المدن بأحياء خاصة لكي لا تحس بالغربـــة، فالعادات والتقاليد والمميزات المشتركة تساعدها على الانسجام فيما بينها .

لذلك فالزعم الرائج عن الاحياء اليهودية ، ليس له سند تاريخـــي ، فالمصادر المغربية تتحدث عن الحارة كمنطقة تجمع للسكان المسلمين ، فقد جـــاء في كتاب البرزلي "جامع مسائل الاحكام " أن ابن أبي زيد القيرواني سئل في فتوى تحتوي كلمة ((الحارة)) فنفهم بأنها تخص تجمع المسلمين (9)، ولذلك فهي لا تقتصر على اليهود ، بل أحياء قد تضم المسلمين وقد تضم اليهود .

ومسألة التجمع في الاصل ضرورة اجتماعية ، أكثر مما هي رد فعـــل لليهود على المعاملة القاسية التي يتعرضون لها ، وهي ميزة خاصة يتميزون بهـــا في كل المجتمعات التي عاشوا بينها .

وبالنسبة لجالية تونس، تستقر في حارة لا تعود للعهود القديمـــة، وتروي بعض الروايات، أن الولي سيدي محرز بن خلـــف (10) سمح لليهود بالاقامة في موضع قريب من المقر الحالي لهم (11)، وتدعى حارة اليهود وذلـــك لحمايتهـــم .

---

7)ـ راجع ل . ماسنيون ، خطط البصرة وبغداد ، ترجمة واضافة ابراهيم السمرائي ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981 ، ط.1 ، ص 16 وما بعدها.

8)ـ عبد الرحمن زكي ، بناة القاهرة في ألف عام ، المكتبة الثقافية ، عدد 220، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دون تاريخ ، ص 5 ـ 6 .

9)ـ أبو القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي ، جامع مسائل الاحكام فيما نـــزل بالمفتيين والحكام ، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر ، رقم 1333 ورقة 143 .

10)ـ محرز بن خلف ، أنظر ترجمته في المرجع الموالي ، الهامش 11 من هذه الصفحة

11)ـ زين العابد بن السنوسي ، محرز بن خلف زعيم الثورة ضد الشيعة، تقديم ومراجعة أحمد الطويلي ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1981، ص 178 وأنظر Idris, op.cit p. 23. ومحمد بن خوجة، تاريخ معالـــم التوحيد في القديم وفي الجديد ، تحقيق وتقديم، الجيلالي بن الحاج يحي ، وحمادي الساحلي ، بيروت، دار المغرب الاسلامي ، 1985، ط2 ، ص 204 .

ومن المدن التي استقر بها اليهود فاس (12) ولكن المصادر لم تحدد بالضبط الدروب التي سكنوها على الرغم من كثرتهم مثلما ذكر البكري (13). أما يهود مراكش فقد تجمعوا في أغمات أيلان، اذ أمر الامير المرابطي علي بن يوسف (500 ـ 537 هـ/1106 ـ 1142م) باخراجهم من المدينة (14) فنزلوا ببساتين أغمات التي اختصوا بها تقريبا (15).

وبما أن اليهود يتوزعون على أكثر مدن المغرب الاسلامي، وبحكم عددهم القليل وبالمقارنة مع السكان المسلمين فقد تجمعوا في أحياء خاصة بهم كما هو الحال بتيهرت ويعرف دربهم بدرب الدهادنة (16). وبالنسبة لهؤلاء فان أكثر أحيائهم ومساكنهم تكون قريبة من بيت الحاكم لتضمن لهم الحماية في الوقت الملائم (17) الشيء الذي يصح على يهود الاندلس أيضا في بعض الاحيان.

ومن اليهود من قطنوا بين المسلمين وفي أحيائهم ودروبهم، وهو ما نفهمه من الاشارات التي ترد في المصادر. ففي مدينة القيروان وضع القاضي أحمد بن طالب على دور اليهود ألواحا مسمرة عليها صورة قرد (18) لمعرفة بيوتهم الموجودة في الاحياء التي يسكنها المسلمون.

والفتاوى التي أفتى بها العلماء المسلمون، تشير الى وجود سكان يهود بين ظهراني المسلمين وفي أحيائهم. فقد ذكر الونشريسي أن القابسي (19) منع أحد اليهود المقربين من السلطان رفع بناء منزله (20).

---

12) ـ البكري، المغرب، ص 115، الحميري، الروض، ص 43.

13) ـ البكري، المغرب، ص 115.

14) ـ الادريسي، وصف افريقيا، ص 45.

15) ـ حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص 216.

16) ـ ابن الصغير، أخبار الائمة، ص 363، ابراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، الجزائر، مطبعة لافوميك، 1985، ص 373.

17) ـ الجنحاني، المغرب الاسلامي، ص 128.

18) ـ عياض، ترتيب المدارك، ج 2، ص 205، المالكي، رياض النفوس ج 1، ص 477.

19) ـ القابسي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي، ولد سنة 324 هـ من الفقهاء الزهاد الورعين المغاربة، له تصانيف بديعة توفي سنة 403 هـ. أنظر، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983 م، ط 1، ص 419.

20) ـ أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب، التحقيق باشراف محمد حجي، بيروت، دار المغرب الاسلامي، 1981، ج 2، ص 259.

وفي هذه المسألة قال الامام الشافعي ((ولا يحدثون بناء يطولون به بناء المسلمين)) (21) وهذا المنع تقتضيه أصول المذاهب وقواعد الشرع اذ جاء في الاثــر ((الاسلام يعلو ولا يعلى)) (22).

وقد سئل التابسي في مسألة معاملة الجار اليهودي (23) فوافـق على التعامل مع اليهود في حدود الشرع لكي يحافظ المسلم على كيانه . وأحيانـا يكون درب اليهود بقرب المساجد كما جاء في احدى الفتاوي التي ذكرهـا الونشريسي (24). وفي حالات أخرى يستطيع اليهودي شراء منزل في حي مـن أحياء المسلمين (25). وكشفت وثائق الجنيزة حالات كثيرة لجوار اليهود للمسلمين (26).

ان مثل هذه الحالات المذكورة في المصادر الاسلامية ، وفي المصادر اليهودية ، تؤكد نزول اليهود في أحياء المسلمين والاقامة بها دون حرج أو مضايقة اذا حافظ الجار على حسن الجوار بعدم مضايقتهم ، والمساس بما يسمح به الشرع الاسلامي ، وتقاليد وعادات المسلمين . مما يبين التسامح الذي عومل به أهل الذمة ومنهم اليهود . وهذا خلافا للمعاملة السيئة التي كان يتعرض لها اليهود في أوربا أثناء العصور الوسطى من قبل الحكام المسيحيين ومن البابوات الذي حشروهـم في أحياء خاصة بهم (27) .

فاليهود في المغرب الاسلامي قد سكنوا أحياء خاصة بهم تدعـى أحيانا بالدروب أو حي اليهود أو الحارة ، ولكن هذه التسميات لا يبعث منهـا الوازع العنصري ، وانما هي كناية عن ساكنيها مثل بقية الاحياء الاخرى الخاصـة بالقبائل كحي القهريين ، وحارة القريشيين وحارة القرامطة (28) أو غيرهم ، وهـذا في الحواضر الكبرى (29).

---

21) ــ ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج 2 ، ص 705 .

22) ــ نفســه ، ص 705 .

23) ــ الونشريسي ، المعيار ، ج 11 ، صص 300 ، 301 .

24) ــ الونشريسي ، المعيار ، ج 7 ، ص 52 .

25) ــ الونشريسي ، المعيار ، ج 8 ، ص 437 .

26) ــ س. د . جواتياين ، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، تعريب وتحقيق د . عطية القوسي ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، 1980 ، ط 1 ، ص 233 الهامش رقم 1 ، و ص 151 .

27) ــ انظر : Antoine Fattal le statut legal des non musulmans en pays d'islam Beyrouth , imprimerie Catholique , 1958 , P 93 .

28) ــ حسن حسني عبد الوهاب ، بساط العقيق ، ص 15 .

29) ــ نجد أيضا هذه الاحياء في مصر الاسلامية فهناك حارة العرب ، وحارة الهنود ، زقاق الاندلسيين ، أنظر ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، بيروت ، مركز الموسوعات العالمية ، مصورة عن طبعة بولاق ، 1983 ، صص 12 ، 13 ، 15 ، 16 .

أما في المدن الصغرى فلا يوجد نظام الاحياء ، بل يتداخل السكان فيما بينهم . فقد تحدثت المصادر عن اليهود في اجدابية (30) وفازار (31) وقمونية (32) ووجدر (33) وزوية (34) دون أن نتعرف على نظامهم في السكن .

ونجد كذلك اليهود في الريف المغربي (35) غير أننا نجهل وضعية الاقامة والسكن ، ومدى مدة المكوث هناك . ولقد وردت اشارة متأخرة تعود الى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي في كتاب الونشريسي مفادها مسألة قدمت لسيدي قاسم العقباني عن يهود سكنوا في البادية ويتجرون في أنواع المتاجر، وبعضهم سكنوا الحاضرة وتداول اقامتهم في البادية فهل تؤخذ الجزية منهم ؟ أو تؤخذ من الساكنين خاصة ؟ فأجاب ضربت عليه الجزية ـ المقصود اليهودي ـ كان بالحاضرة أو البادية (36) .

ان هذه الفتوى تدل على وجود يهود البادية منهم من يقيم بصورة دائمة ومنهم من يستقر لفترة معينة أي مؤقتة في وسط المسلمين .

وعن دور اليهود في الداخل ، فلا نعرف عنها أشياء ، ولدينا اشارة واحدة سجلها ابن سعيد المغربي عن أحد منازل اليهود بمدينة تلمسان على لسان أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مروان التلمساني (37) خاطب أحد اليهود بقوله ((يا اسرائيلي ، دياركم نظيفة)) (38) .

وفي الحقيقة ان هذا القول لا يمكن أن نستخلص منه صورة شاملة عن دور اليهود في الداخل كالاثاث ، وتنظيم المنزل ، والزخرفة ، حتى نتعرف على مدى تأثير الحياة الاسلامية فيهم .

---

30) ـ الادريسي ، وصف أفريقيا ، ص 99 ، الحميري ، الروض ، ص 12 .
31) ـ الحميري ، الروض ، ص 433 .
32) ـ نفسه ، ص 488 .
33) ـ البكري ، المغرب ، ص 9 .
34) ـ أبو زكرياء يحي بن أبي بكر ، كتاب سير الائمة وأخبارهم ، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي ، الجزائر ، اصدارات المكتبة الوطنية ، 1979 ، ص 162 .
35) ـ الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3 ، ص 19 .
36) ـ الونشريسي ، المعيار ، ج 2 ، ص 253 ، وعن بعض اليهود في البادية المغربية ، راجع ، الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج 2 ، ص 306 ـ 307 .
37) ـ انظر ترجمته لدى ابن سعيد المغربي ، الغصون اليانعة ، صص 29 ـ 35 .
38) ـ نفسه ، ص 33 .

ب ـ اللباس: رأينا في فصل سابق حين التعرض الى شروط أهل الذمة وهي نوعا ن مستحق ومستحب ، ومن الشروط المستحبة ((تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار)) (39) . ومن خلال هذا الشرط يمكن التحدث عن لباس أهل الذمة في المغرب الاسلامي لمعرفة نوعية هذا اللباس ومتى فرض على اليهود ارتداء زي معيـــن ؟ وما هي الدواعي التي كانت وراء ذلك ؟

فرض على يهود المغرب لباسا خاصا في أوقات معينة فقط اذ تزي اليهود بأزياء المسلمين . وقصة ابن عطاء اليهودي طبيب المعز بن باديس تثبت بما لا يدعو الى الشك ارتداء البسة يرتديها المسلمون حين بعثه المعز لمقابلة أبـــي عمران موسى كما رواها صاحب المعالم ((فلما دخل على الشيخ في داره ظنـــــه الشيخ بعض رجال الدولة الى أن قال بعض الحاضرين : أكرمك الله انه من خيار أهل ملته ، فقال الشيخ : وما ملته ؟ فقال : هذا ابن عطاء اليهودي ، فغضب أبو عمران ... وأمره بالخروج وهو يرعد ، وكان غير معلم ـ دون علامة خاصة ـ فأمـــر الشيخ بصبغ طرف عمامته لشهرته (40) .

وفي بعض الاحياء تصدر مراسيم سلطانية لفرض ملابس خاصة على اليهود . ففي العهد الموحدي أمر الامير أبو يوسف يعقوب المنصور حوالي 595 هـ/1198م ((أن يميز اليهود بلباس يختصون به دون غيرهم ، وذلك ثياب كحلية وكمام مفرطة السعة تصل الى قريب من اقدامهم ، وبدلا من العمائم كلوتات (41) على أشنع صورة كأنها البراذع تبلغ تحت أذانهم ، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب)) (42) .

---

39) ـ الماوردي ، الاحكام ، ص 126 .

40) ـ الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3، ص161 .

41) ـ كلوتات : مفردها كلوتة وهي عبارة عن طاقية توضع فوق الرأس وقد لبسها الاعيان في فترات تاريخية متعاقبة في المشرق ، محمد قنديل البقلي ، التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص 288 ، وأنظر: R Dozy dictionnaire détaillé des noms des vetements chez les Arabes Beyrouth Librairie du liban sans date p. 387-388

42) ـ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تعليق محمد سعيد العريان ومحمـــد العربي العلمي ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة، 1950، ص 304 ، وأنظر: Fattal op cit. p 105 E Fagnan "le signe distinctif des juifs au maghreb" Revue des études juives tome 28 1984 p. 295

ولكن الزركشي خالف المراكشي ، فذكر بأن المنصور أمرهم
((بحمل الشكلة (43) وجعل قمصهم طول ذراع في عرض ذراع وجعل لهم برانس وقلانس زرق)) (44). غير أن هذا المرسوم لم يعمر طويلا ، اذ عمل اليهود في عهد ابنه الناصر على تعطيله ، حينما تولى الامير الجديد بكل ما لديهم من وسائل لالغائه . فأمرهم بلبس ثياب وعمائم صفراء (45).

وأمر أبو عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي بجعل الشكلة لليهود سنة 643 هـ/ 1250 م في بداية ولايته (*). ولم تكن مثل هذه المراسيم جديدة على اليهود المغرب ، فالمصادر تبين أن التشدد في اللباس قد سبق العصر الموحدي . ففي عهد الاغالبة أمر القاضي عبد الله بن أحمد بن طالب أثناء ولايته الثانية من سنة 267 هـ/ الى 275 هـ/ 880 ـ 888 م، بأن يضع اليهود على أكتافهم رقاعا بيضاء في كل واحدة منها قرد وخنزير(46).

---

43) ـ الشكلة : لا توجد هذه العلامة في قاموس دوزي للملابس العربية ، ولا في تكملة القلواميس العربية لنفس المؤلف . ووردت الكلمة لدى فانيان في تكميلات القواميس العربية ، بيروت، مكتبة لبنان ، دون تاريخ ، ص 91 كما يلي : ((الشكلة علامة مميزة فرضت على اليهود)) دون تفاصيل أخرى ، أو تقديم وصف لها . وقد تساءل مؤلف آخر قائلا ((ماهي هذه الشكلة ... هل هي مماثلة للعلامة (Rouelle) التي يلبسونها (يقصد اليهود) في أوربا ؟)) دون أن يبت في الموضوع . أنظر:
Sebag, La hara,P.11,Brunchvig, la berbérie orientale sous les hafsides,T.II,p.404-405.

وقد حاول هذا الاخير وصفها من خلال المقارنة فيرى بأنها قطعة من قماش ذات لون بارز ، وأنظر:
Dhina,les Etats,p.261.
أما هوبكنز فكتب في هذا الموضوع ((وكانت الشكلة عبارة عن قمص طولها ذراع في عرض ذراع وبرانس وقلانس زرق)) فهو اذن يقر بأن الشكلة هي زي خاص وليس علامة مميزة ، راجع ، النظم الاسلامية في المغرب ، ص 123 ـ 124 .
كما لم تتحدث كتب الحسبة عن هذه الشكلة ، وأهمل ذكرها تماما ، أنظر:
Cahen,les juifs dans l'Afrique Septentrionale,p.47.

44) ـ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص 16

45) ـ المراكشي ، المعجب ، ص 305 ، وأنظر: Fagnan,le signe distinctif,p.296.

*) ـ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن قنفذ القسنطيني ، الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، تونس ، الدار التونسية للنشر، 1968 ، ص 117 .

46) ـ المالكي ، رياض النفوس، ج 1 ، ص 476 ـ 477 ، عياض ، ترتيب المدارك ،ج 2، ص 205 ، الطالبي ، تراجم أغلبية ، ص 223 ، هوبكنز ، النظم الاسلامية في المغرب ، ص 121 .

هذا بالنسبة للباس الرجال ، وفيما يتعلق بزي النساء ، فليس لدينا وثائق تمدنا بمعلومات كافية لمعرفة أزياء النساء اليهوديات في المغرب الاسلامي ، ما عدا المقارنة التي يمكن الاعتماد عليها . ففي المشرق توجد عادة انتعال خفين أحدهما أبيض والآخر أسود (47) .

ان هذه الشواهد التاريخية توضح تمييز اليهود عن بقية السكان في اللباس ، ولكن على ما يبدو لفترات معينة عبر التاريخ الاسلامي الطويل ، لان المصادر المغربية تبين عدم استمرارها لمدة طويلة ، أو لفترات متواصلة .

وقد يتساءل الانسان حول مغزى وضع اللباس المميز ، فهل المقصود منه الاساءة كالحط من شأن اليهود ؟ أم هو نوع من العنصرية ؟ أم الظروف هي التي استدعت لتمييزهم ؟ .

وفي حقيقة الامر كانت هذه الوضعية متبعة في جميع الاقطار الاسلامية على أساس العهدة العمرية لاهل الذمة ، اذ التزموا بعدم التشبه بالمسلمين في لباسهم ومما جاء في العهدة في هذا الشأن ((وأن يلزم زينا حيثما كنا ، والا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة)) (48) . بمعنى أن أهل الذمة أنفسهم اختاروا عدم التزين بلباس المسلمين والتشبه بهم . وكتب الحسبة تخصص دائما حيزا لهذه المسألة (49) .

وعملية التمييز هي عملية ارادية قد اختارها أهل الذمة ، وان بدت للبعض مشينة فالهدف منها ((هو التسهيل على والي المظالم لمراقبة المناكر والملاهي وحتى لا يتعرض أهل الذمة الى العقوبة والى منعهم من أشياء مرخص لهم فيها طبقا لما تعهدت لهم به دولة الاسلام من ممارسة حريتهم الدينية وحقوقهم الاجتماعية)) (50) .

---

47) — عبد الرحمن بن نصر الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق ومراجعة د . السيد الباز العريني ، بيروت ، دار الثقافة ، 1969 ، ط2 ، ص 106 .

48) — ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج 2 ، ص 735 .

49) — راجع الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص 106 ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الاخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي ، كمبردج ، مطبعة دار الفنون ، 1937 ، ص 40 ، أحمد سعيد المجيلدي ، التيسير في أحكام التسعير ، تقديم وتحقيق موسى لقبال ، الجزائر ، ش . و . ن . ت . ، 1971 ، ص 77 — 78 .

50) — محسن العابد ، دراسات وبحوث مقارنة ، ص 147 .

هذا من الناحية القانونية بصفة عامة ، ومن ناحية أخرى تمس المعاملات اليومية، فان أهل الذمة يقومون بممارسات غير شرعية ، فقد تعاطى اليهود التعامل بالربا (51) ومارسوا الغش، وتلاعبوا بالاسعار في أسواق مدينة القيروان وغيرهما ، مما استدعى القاضي عبد الله بن طالب باتخاذ مجموعة من الاجراءات ضد اليهود للحد من هذه الظاهرة التي تفشت في المغرب الاسلامي ، اذ استفحل التعامل بالربا في المجتمع القيرواني ، وحتى في المجتمعات الاسلامية (52). وفي القيروان بالذات كان الفقيه سعيد بن الاشج (53) يساعد على التعامل بالحرام بقوله ((أديروا بينكم ما شئتم من بيع حرام ، ثم تعالوا الي أجعله لكم حلالا)) (54).

فالعمل الذي قام به ابن طالب هو محاولة وضع حد لليهود في معاملتهم الربوية وذلك بقصد صيانة المجتمع الاسلامي من تجاوزات أهل الذمة.

وظاهرة التمييز هذه ، ليست فريدة ، واقتصرت على المجتمعات الاسلامية ، بل نجد حتى النصارى تعاملوا بها تجاه الاقليات التي تعيش معهم. ففي مملكة قشتالة صدرت عدة لوائح للتمييز بين النصارى والمسلمين واليهود (55).

وفي العهد الموحدي ، فان الظروف التاريخية هي التي يمكن أن تفسر موقف الموحدين من اليهود بالتضييق عليهم ، وتمييزهم بلباس خاص. لقد قامت الدولة الموحدية على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالتالي فتشددها تجاه أهل الذمة ينطلق من الايديولوجية التي قامت عليها . بالاضافة للصراع المدير بين الاسلام والمسيحية ، هذا الصراع الذي يبدو في الحروب الصليبية والدور الذي قام به اليهود للتجسس على جيوش الموحدين ونقل أسرارهم الى الاعداء،

---

51) — تمنع الديانة اليهودية التعامل بالربا فيما بين اليهود فقد جاء في سفر التثنية بالاصحاح الثالث والعشرين ((لا تقرض أخاك الاسرائيلي ربا ، ربا فضة ، أو ربا طعام ، أو ربا شيء مما يقرض بربا)). ولكنها تتسامح في التعامل بها مع الاجانب من غير اليهود ((للاجنبي تقرض بربا)). الشيخ أبو زهرة ، تحريم الربا ، تنظيم اقتصادي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1985 ، ط 2 ، ص 21.

52) — عبد المجيد مزيان ، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون ، وأسسها من الفكر الاسلامي والواقع المجتمعي ، الجزائر ، ش.و.ن.ت. 1981 ، ص 94.

53) — ابن الاشج توفي بالقيروان سنة 286 هـ ، أنظر ترجمته ، للدباغ ، معالم الايمان ، ج 2 ، ص 232.

54) — المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 507.

55) — محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، منذ قيامها حتى الفتح ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1960 ، ط 1 ، ص 373.

وحينما تنبه المنصور الى شرهم أراد أن يميزهم بزي خاص، لان هذا هو الذي يعتبر بمثابة إعلان يحذر الشعب منهم، وجعل منهم هذا الزي طبقة معينـــة من طبقات الشعـــب (56).

وأما الزي الذي فرض على اليهود في عهد الناصر (595-610هـ/1198-1213م) والذين استمروا في ارتدائه الى سنة 621هـ/1224م كما ذكر المراكشي (57) فنجد ما يماثله في أوربا حيث قرر المجمع المسكوني المنعقد في " لاتران " (LATRAN) بروما سنة 1215م بأن يحمل اليهود شارة صفـــراء ضرورية (LA ROUELLE) قصد التمييز بين المسيحيين واليهود (58)، وقد علق أحدهم على هذا الاجراء بقوله ((ان الدواعي الكامنة وراء هذه الاجراءات فـــي العصور الوسطى ليست عنصرية لان المسلمين والمرضى بالجذام والمومسات يحملون شارات مميزة، وهي تهدف اما لمنع الاختلاط أو التحذير من معاشرة تعتبر مضـــرة من الناحية الدينيـــة)) (59).

فالاجراءات هذه معمول بها في المجتمعات المسيحية والاسلامية وهي تهدف وقاية المجتمع من المخاطر التي تحدق به بسبب الاختلاط، لذلـــك نجـــد العلماء والفقهاء ، والمحتسبين يحذرون من مغبة المعاشرة التي قـــد تؤدي الى الفســـاد، والى تصرف أهل الذمة بحرية مطلقـــة، بل عليهم التصرف في اطار حريتهم المرخص بها. وعن هذه المسألة جاء في أحكام السوق ((أخبرني يحي أنه كتب اليه صاحب سوق القيروان يسأله عن اليهودي والنصراني يوجـــد وقد تشبه بالمسلمين وليس عليه رقاع (60) ولا زنار (61) وهو يحمل ما يعصر به الخمر وما ترى من عقوبته في ذلك)) (62). ان هذه المشكلة كفيلة بأن توضح

---

56) ـ علام، الدولة الموحدية، ص 241 ـ 242.

57) ـ المراكشي، المعجب، ص 305.

58) ـ أنظر: François de Fontette, le racisme, PARIS, PUF, 1981, p3.

59) ـ أنظر: Op, cit, p31

60) ـ رقاع: لا توجد الكلمة في تواميس دوزي و فانيان، أما الدكتور موسى لقبال فكتب موضحا ((زنار... ويراد فه الغيار، والرقاع)) راجع، المجيلدي، التيسير، كشاف المصطلحات، ص 94، وقارن القلقشندي، صبح الاعشى، ج 5، ص 142.

61) ـ الزنـــار: حزام يتخذه أهل الذمة في أوساطهم تمييزا لهم عن المسلمين، راجع المجيلدي، التيسير، كشاف المصطلحات، وأنظر: DOZY, Dictionnaire, p196, DOZY, Supplément, T1, p606 Fagnan, additions, p72

62) ـ يحي بن عمر، أحكام السوق، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، مراجعـــة فرحات د شراوي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1975، ص 96، قارن أيضا، الونشريسي، المعيار، ج 6، ص 421.

المذهب الذي ذهب اليه المطالبون بوضع علامة لليهود لكي تصان حقوقهم في الامصار الكبرى.

أما في الريف فقد نقل الونشريسي عن المازري فتوى تدل على أن اليهود في الريف لا يتميزون عن المسلمين في اللباس وذلك بقوله ((وقوله في الامصار الكبرى حيث يكثر اللبس. وأما الصغار أو حيث تكون القرية لهم فظاهر كلامه أنه لا يحتاج اليه)) (63).

ان هذه الفتوى توضح بجلاء عدم حمل اليهود شارات خاصة بهم وهذا لما يعرف عن الريف من عدم اكتظاظ السكان ، ففيه يمكن بسهولة التعرف على الذمي ، اذ يصعب عليه الاندماج في أوساط المسلمين والقيام بأعمال خارجة عن الشرع الاسلامي ، خلافا للامصار الكبرى.

ج) ـ المرأة : لقد نظرت الشريعة اليهودية للمرأة نظرة احتقار وصغار ، فيقول بابا بترة : ((ما أسعد من رزقه الله ذكورا ، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الاناث)) (64). وفي الحقيقة نجد هذه النظرة منتشرة وشائعة لدى المجتمعات في القديم ، لذلك فالمرأة صالحة الا للانجاب والحفاظ على النسل .

ولا يسمح اليهود للمرأة الالتحاق بالمدارس الدينية لان تعليم المرأة لم يكن اجباريا في الدين اليهودي ، ولانها تعتبر خفيفة العقل ، وقد جاء على لسان الحاخام " اليعاذر ((كل من يعلم ابنته التوراة فكأنما يعلمها السخافة)) (65).

أما اعمال المرأة ومهامها فهي منزلية أساسا ، اذ تهتم بشؤون البيت وتربية الاطفال بالدرجة الاولى . وتطحن الحبوب وتحضر الخبز ، وتغسل الملابس . وحينما تتزوج وفي حالة احضار خدم تابعين لها من بيت أبيها ، فامكانها أن تعفى من بعض الاعمال ، ولكن مهما كان عدد الخدم الذين احضرتهم معها ، فانها لا تعفى من الغزل مثلما أكد ربي " اليزر (ELIEZER) ولزوجها أن يرغمها عليه ، لان البطالة تقود الى الفساد (66).

---

63) ـ الونشريسي ، المعيار ، ج 2 ، ص 259 .

64) ـ شبلي ، مقارنة الاديان اليهودية ، ص 284 ، عمر رضا كحالة ، الزواج ، بيروت ، موسسة الرسالة ، 1981 ، ج 1 ، ص 33 ، قارن أيضا محمد شكري سرور ، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 78ـ1979 ، ص 59 .

65) ـ ظفر الاسلام خان ، التلمود ، ص 53 .

66) ـ شبلي ، مقارنة الاديان اليهودية ، ص 285 ـ 286 .

فمن خلال هذا الرأي يمكن فهم دور المرأة الاجتماعي ، والاقتصادي وعي في المنزل ، ويعتبر المشرع اليهودي المرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون بحيث لا يجوز لها البيع والشـــراء (67) .

وفيما يتعلق بالمرأة اليهودية ودورها في المغرب الاسلامي ، فان المصادر أشارت اليها اشارات عرضية لا يمكن بأي حال أن توضح لنا وضع المرأة اليهودية .

ان الاشارة الوحيدة في كتاب ابن ابي زرع عن المرأة تتمثل في امرأة يهودية تدعى " حنة " دخل عليها يحي بن يحي بن محمد بن ادريس وهي في الحمام (68) والاشارات الاخرى أوردها الونشريسي مفاد الاولى عدم اكتيـــال المرأة اليهودية القمح ولا غيره من الطعام ولا تحضر موضعه لاجل حيضها (69) واختلاف يهودي ويهودية بقرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود (70) وقد نظر عدد كبير من الفقهاء المسلمين في هذه القضية ولهم اجابات تقريبا تتشابـــه في هذه الفتـــوى (71) .

غير أن هذه الشذرات لا تعطينا فكرة عن وضعية المرأة فـــي المغرب الاسلامي ودورها في داخل الجاليات اليهودية التي استقرت بالمغـــرب، وبالتالي امكن الاعتماد على بعض الاراء التي تنطلق من الفكر النظري دون ســـواه لعدم وجود الشواهــــــد التاريخيـــة .

د) ـــ الـــــزواج : نصت الشريعة اليهودية على أن الـــزواج فرض من الفروض على كل انسان مهما كانت حالته الاجتماعية والصحية ، اذ فـــرض الزواج على الصغار والكبار والفقراء والاغنياء والعلماء والجهلاء لانه يجـــــب عليهم الاشتـــراك في استبقاء النســــــل (72) .

---

67) ـــ نفســـه ، ص 285 .

68) ـــ وروى البكري هذه الرواية فقال ((... ثم أن يحي بن يحي دخل على يهودية في الحمام يقال لها حنـــة وقد راودها على نفســـهـــا فتغير عليه أهل فاس)) المغرب ، ص 124 ، أنظر ايضا ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 211 ـــ 212 ، وقال عنه التنسي ((فاساء السيرة وكثر عبثه فـــي الحـــريم ، فثارت به العامة لامر شنيع ارتكبه فأخرجوه من عدوة القرويين الى عـــدوة الاندلس فمات من ليلته أسفا)) أبو عبد الله التنسي ، تاريـــخ دولة الادارسة (من كتاب نظم الدر والعقيان) تحقيق وتقديم عبد الحميـــد حاجيات ، الجزائر ، الموسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص ص 44 ـــ 45 ، موبكنـــز ، النظم الاسلامية في المغرب ، ص 120 .

69) ـــ الونشريسي ، المعيار ، ج 2 ، ص 489 .

70) ـــ نفســـه ، ج 10 ، ص 128 .

71) ـــ نفســـــه ، ج 10 ، ص 129 ـــ 130 .

72) ـــ كحالة ، الزواج ، ج 1 ، ص ص 32 ـــ 33 ، ترى الديانة اليهودية أن ((العازب ليس رجلا بمعنى الكلمة)) سرور ، نظام الزواج ، ص 62 .

ومن الناحية الشرعية الاسلامية ، يجوز للمسلم أن يتزوج كتابية من النصارى أو من اليهود ، ولكن لا يجوز للكتابي أن يتزوج من المسلمة . وقد أثارت هذه المسألة جدلا عريضا بين العلماء لكل واحد منهم حججه وبراهينه (73) غير أنهم اتفقوا على جواز اتخاذ المسلم زوجة من أهل الكتاب.

ولم يخالف العلماء والفقهاء المغاربة هذه القاعدة ، فهذا ابن أبي زيد القيرواني ، يقر بالزواج من الكتابيات بقوله : ((ويحل وطء الكتابيات بالملك ويحل وطء حرائرهن بالنكاح)) (74).

وأما عن زواج اليهود فيما بينهم فان الوثائق نادرة جدا . فا بن أبي اصيبعة في معرض حديثه عن الطبيب اليهودي اسحق بن سليمان ذكر ((ولم يتخذ امرأة ولا أعقب ولدا)) (75) ولا نعرف في الحقيقة السبب الذي أدى باسحاق العزوف على الزواج . ويمكن الاعتماد على اشارة أخرى وهي زواج ابنة نسيم بن يعقوب من ابن حموئيل تاجر غرناطة بالاندلس (76).

وفي احدى رسائل الجنيزة ، والتي وردت على مصر من مدينة القيروان يهنئ أحد اليهود القيروانيين بزواجه في مصر والاقامة بها بعد أن كان مستقرا في افريقية (77) ، وقد كتب هذا الخطاب حوالي 432 هـ/ 1040 م .

وفيما يتعلق بالزواج ، فمن اجراءاته تحرير عقود شرعية ليتم الاعتراف بهذا الزواج ، ويصحب هذا العقد بيان بكل القطع التي تحضرها العروس معها (78) لان الزواج ليس مجرد اتفاق عرفي ، وانما كان اتفاقا حقيقيا موثقا (79).

ومن خلال وثائق الجنيزة فان الجماعات اليهودية ، وخاصة الطبقة المتوسطة منها ، لا تسمح بالزواج مع أكثر من امرأة ، لذلك نجد في عقود الزواج اشتراط عدم اتخاذ زوجة ثانية ، وان لا تشارك مخطية الزوجة (80).

---

73) — أنظر ، محمد رأفت عثمان : الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الاسلام ، بيروت ، دار اقرأ ، 1982 ، ط 3 ، ص 138 وما بعدها .

74) — ابن ابي زيد القيرواني : الرسالة ، ص 178 .

75) — ابن ابي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 480 .

76) — جواتياين : دراسات في التاريخ الاسلامي ، ص 236 .

77) — نفسه ، ص 237 .

78) — نفسه ، ص 194 ، سرور ، نظام الزواج في اليهودية والمسيحية ، صص 218 — 219 .

79) — نفسه ، ص 204 .

80) — نفسه ، ص 204 — 205 .

وان حدث أن تزوج الرجل امرأة ثانية ، فللاولى الحق طرد هـا أحيانا اذا لم تكن على هواها . ويمكن للزوجة ولها الحق في اختيار السكن ، ولا يستطيع الزوج السفر اذا لم توافق زوجته ولا يرضيها ذلك (81).

ومن جملة العقود التي عثر عليها في جنيزة القاهرة يحدد الزوج فيها سكن الزوجية ، ويشترط فيها موافقة زوجته له في أي سفـــر يقوم به . وقد أوضحت بعض الوثائق الاخرى حق تصرف الزوجة أحيانا في ممتلكاتها حين يكون الزوج مسافـــرا ويحق لها التصرف في ممتلكات زوجها (82)، خلافا لتعاليم التلمـــود الذي استهان المرأة اليهودية (83) اذ تعتبر هذه التعاليم المرأة المتزوجـــة كالقاصر والصبي والمجنون (84).

ومن خلال هذه المعلومات المستمدة من دفين القاهرة ، يتبين أن اليهود يتزاوجون فيما بينهم لعدم العثور على عقود تمت بين اليهود والمسلمين، ولا حتى مع النصارى لان هؤلاء بدورهم يمنعون مواطنيهم أثناء العصور الوسطـــى من الزواج مع اليهـــود .

ولكن اليهود لا يعتبرون خطيئة معاشرة النساء المسيحيـــات وابـــن ميمـــون (85) يقول في هتك حرمات النساء الغير يهوديات ((ان لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات أي الغير يهوديات)) (86). فهن في نظر التلمود وشراحـــه من الحاخامات كالبهائم لانهن غير يهوديات .

ح)ـ أعياد اليهود : يحتفل اليهود في دار الاســـلام بأعياد خاصة بهم، ولا يشذ يهود المغرب الاسلامي على هذه القاعدة . وعـــلى الرغم من أن أخبار هذه الاعياد في المصادر المغربية قليلة ان لم تكن منعدمـــة . ولكن لا يعني سكوت الوثائق عليها اهمالها من طرف الجالية اليهودية ، فالونشريسي

---

81)ـ نفســـه ، ص 205 .
82)ـ نفســـه ، ص 205 .
83)ـ ظهر الاسلام خان ، التلمود ، ص 58 .
84)ـ شلبي ، اليهودية ، ص 285 .
85)ـ ابن ميمون ، سيأتي التعريف به في فصل الحياة الثقافية .
86)ـ شلبي ، اليهودية ، ص 254، عبد الله التل ، خطر اليهودية العالميـــة ص 75 .

حفظ لنا وثيقة تثبت احتفال اليهود بأعياد هم في مواسم معينـــة . والوثيقـــة هي عبارة عن فتوى قدمت للقاضي أبي عبد الله بن الازرق (87) مفادها أن اليهود يصنعـــون رقائف في عيد لهم يدعى عيد الفطير ، ويهدونها لبعض جيرانهم مـــن المسلمين . فهل يجوز قبولها منهم أو أكلها أم لا ؟ (88) .

وأجاب ابن الازرق عن هذه الفتوى بالرفض والانكار (89) والذي يهمنا هنا عادة اليهود الاحتفال باعيادهم في المغرب الاسلامي ، التي تعتبـــر عديدة ومتنوعـــة ، منها أعياد شرعية جاءت في التوراة ، وأخـــرى محـــدثـــة .

فـــأمـــا الاولى فهـــي خمســـة .

1) ـ عيد رأس السنة العبرية : ويدعى بلسانهم ((رأس هيشا)) أي عيد رأس الشهر ويدعى بالعبرية الحديثة ((روش هاشانا ه)) وهو بمثابة عيـــد الاضحى لدى المسلمين . ومـــوعد هذا العيد أول يوم من شهر تشري (90) ويحتفل اليهود في هذا العيد بذكرى افتداء اسماعيل . وهو أيضا عيد العتق والحرية لخلاصهم من فرعون وقد سماه المقريزي عيد البشارة (91) .

2) ـ عيد حوماريا : ويسميه اليهود الكبور ، وهو عندهم الصوم الكبير ، أما عقوبة من لم يصمه القتل في شريعة اليهود . ومدة هذا الصوم خمسة وعشرين ساعة يبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشري وتنتهـــي بغروبها في اليوم الموالي . وهذا الصوم بالنسبة اليهم هو تمام الاربعين الثالثة التي صامها موسى عليه السلام . ويزعم اليهود أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع الذنوب سوى الزنا بالمحصنة ، وظلم الرجل لاخيه وانكار ربوبية الله تعالى (92) .

---

87) ـ أبو عبد الله بن الازرق : ويعرف بالاندلسي ولد سنة 831 هـ/1428 م بمالقـــة وتوفي 896 هـ/1491 م بالقدس تولى القضاء بغرناطـــة كما تولى الافتاء والتدريس ، زار تلمسان ودخل الى تونس ثم توجه الـــى القاهرة . من أهم آثاره ((الابريز المسبوك في كيفية أدب وسير الملوك)) و ((بدائع السلك في طبائع الملك)) . وقد قام محمد بن عبد الكريـــم الجزائري بتحقيق الكتاب الاخير وصدر عن الدار العربية للنشر ، تونـــس ليبيا ، 1977 ، أنظر مقدمـــة المحقق ص 9 ـ 24 .

88) ـ الونشريسي ، المعيار ، ج 11 ، ص 111 ، ابن الازرق ، بدائع السلك ، مقدمة المحقق ، ص 21 .

89) ـ أنظر نص الجواب كاملا في المعيار ، ج 11 ، ص ص 111 ـ 112 .

90) ـ شهر تشري هو سابع شهور اليهود من الوجهة الشرعية ، رغم أن المتعارف عليه أنه أول شهور السنة العبرية . أما شهور السنة لديهم فهي : تشري ، مرحشوان ، كسلو ، طابات ، شباط ، أذار ، نيسان ، أيار ، سيوان ، تموز ، آب ، أيلول ، أنظر ، النويري ، نهاية الادب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المجلد الاول ، ص 159 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 60 ، هامش رقم 1 .

91) ـ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 436 ، النويري ، نهاية الادب ، ج 1 ، ص 195 ، قاسم ، اليهود ، ص 59 ـ 60 .

92) ـ النويري ، نهاية الادب ، ج 1 ، ص 195 ، القلقشندي ، ج 2 ، ص 436 ، قاسم ، اليهود ، ص ص 60 ـ 61 .

ويرى الاستاذ حسن ظاظا ((أن هذا العيد الذي يرجع الى عصور العبرانيين الاولى مرتبط بأصول الشريعة اليهودية التي قررت يوما في السنة لحساب الذات ، وأن اليهود من طول ما عانوه من اضطهادات على طول تاريخهم جعلوا هذا اليوم لنقض مواثيقهم وأكل الديون التي عليهم لغير اليهود مما أوجد معارضة بعض الفقهاء في العصر الحديث)) (93).

3) ـ عيد المظلة : يدوم هذا العيد سبعة أيام ، ويحتفل به ابتداء من الخامس عشر من شهر تشري ، وفي اليوم الثامن عيد الاعتكاف لدى الربانيين (94) يجلس اليهود في هذه الايام تحت ظلال جريد النخل ، وأغصان الزيتون ، وتحت كل الاشجار التي لا يتناثر ورقها وذلك تذكارا للغمام الذي أظلهم الله به أيام التيه (95). ويبدو أن لهذا العيد أصول زراعية ورعوية فمن أسمائه العبرية ((حج ما أسيف)) والتي تعني عيد التخزين (96).

4) ـ عيد الفطر : ويسمى أيضا عيد الفصح ، ويحتفل به ابتداء من اليوم الخامس عشر من شهر نيسان اليهودي ويدوم سبعة أيام، في هذا اليوم يأكل اليهود الفطاير ، وينظفون بيوتهم من خبز الخمير وذلك احتفالا بذكرى خلاصهم من فرعون ، وغرقه ، وخروجهم الى صحراء التيه بعد نجاتهم من سطوة فرعون مصر (97).

5) ـ عيد الاسابيع : وله اسماء أخرى كعيد العنصرة أو عيد الخطاب ، ويحتفل به بعد عيد الفطر بسبعة أيام أي في السادس من شهر سيوان من شهور اليهود وهي بالنسبة اليهم الاسابيع التي أنزل الله فيها الفرائض التي تضمنت الوصايا العشر . وفي هذا العيد يصنعون القطائف ويتفننون في صنعها . ويأكلونها تذكارا للمن الذي أنزل الله تعالى عليهم وهم في التيه . أما الاسم العبري لهذا العيد عشرتا بمعنى الاجتماع (98).

---

93) ـ نقلا عن قاسم عبده ، اليهود في مصر ، ص 61 .

94) ـ فرقة من فرق اليهود سيأتي التعريف بها .

95) ـ النويري ، نهاية الارب ، م 1 ، ص 195 ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 436 ـ 437 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 61 .

96) ـ قاسم ، اليهود في مصر ، ص 61 ، يحتفل اليهود ويقلدهم المسلمون بهذا العيد في المغرب خاصة افريقية ، راجع ، أبو الحسن علي القابسي ، الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، تحقيق وتعليق ، أحمد خالد ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1986 ، ط 1 ، ص 154 .

97) ـ النويري ، نهاية الارب ، م 1 ، ص 196 ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 437 ، الونشريسي ، المعيار ، ج 11 ، ص 111 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 61 ـ 62 ، شلبي ، اليهودية ، ص 287 .

98) ـ النويري ، نهاية الارب م 1 ، ص 196 ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ص 437 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 62 .

ولليهود أعياد أخـــرى محدثة وأشهرها عيـــدان هما :

1) ـ عيد الفوز : ويدعى بالعبرية ـ البوريم ـ وموعد الاحتفال به في الثالث عشر من شهر آذار ويستمر حتى الخامس عشر منه . يتحدث القلقشندي عن هذا العيد بقوله ((واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام ، وفي هذا العيد يصورون من الورق صورة هيمون ويملـــؤون بطنها نخالة وملحا ويلقونها في النار حتـــى تحترق ، يخدعون بذلك صبيانهم)) (99) . وأما أصل المناسبة فترجع الى التاريـــخ القديم لليهود أثناء العهد الاسير البابلي ، كان لاحد أحبار اليهود ابنة ام رائعة الجمال تدعى أستير تزوجها الامبراطور أرد شير بن بابك ، وقرب الامبراطور ابن عـم زوجته مردوخاي . فحســـز في نفس وزير أرد شير ما توصل اليه اليهود من مكانـــة وحظـــوة ، وأكلتـــه الغيرة بسبب تقريب الامبراطور لمردوخاي . ففكـر في الانتقام والقضاء على اليهود محددا يوم الثالث عشر من آذار ، غير أن جواسيس مردوخـــاي أخبروه بالمـــؤامرة ، ووصل الخبـــر الى الامبراطور ، فأمر بقتل وزيره هيمون ، وقتل أهلـــه ، وكتب لليهود بالامان والبر والاحسان في ذلك اليوم ، فأصبح اليهود يحتفلون به سنويا واتخذوه عيـــدا (100) .

2) ـ عيد الحنكة : ويدوم ثمانية أيام تبدأ في ليلة الخامـــس والعشرين من شهر كسليو من كل سنة . وبهذه المناسبة يوقد اليهود في الليلـــة الاولى سراجا على أبوابهم وفي الثانية سراجين ، الى أن تصبح المصابيح ثمانيـــة الليلـــة الثامنة . وأصل الاحتفال بهذا العيد يرجع الى عهد حكم البطالمة الذين كانوا يسيطرون على بلاد الشام اذ حاول أنتيوخوس ارغام اليهود على عبادة الاصنام ولكن الكاهن الاكبر بمعونة أبنائه الثمانية ، قاد حركة مقاومة ، فاستعادوا الهيكـــل من جيوش البطالمة وفي الخامس والعشرين من كسليو نظف الهيكل من التماثيـــل الاغريقيـــة ، وفتح المعبد من جديد ، غير أن اليهود لم يجدوا الزيت المطلوب لاضاءته فوزعوا الوقود على عدد المصابيح التي يوقدونها على أبواب بيوتهم في كل ليلـــة الى أن تتم ثمان ليال . وبحكم أنهم نظفوا الهيكل من آلهة الاغريق سمي هذا العيد ـ الحنكة ـ والذي يعني بالعبرية التنظيف (101) .

---

99) ـ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 433 .

100) ـ النويري ، نهاية الارب ، م 1 ، ص 196 ، القلقشندي ، صبح ، ج 2 ، ص 338 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 3 ، La bible, Paris .
Alliance Biblique Universelle 1984 p. 1208-1220.

101) ـ النويري ، نهاية الارب ، م 1 ، ص 197 ، القلقشندي ، صبح الاعشـــى ، ج 2 ، ص 339 ، قاسم ، اليهود ، ص 64 .

هذه أهم الاعياد التي يحتفل بها اليهود ، وهي اعياد تتصـــل بالاحداث التاريخيـــة ، ومنها ما هو متصل بمواسم معينة كالزراعة والحصاد ، وأخرى تتصل بالهلال أو التوبـــــة والتكفير عن الذنوب (102).

أما بالنسبة للايام فيومهم المقدس هو يوم السبت ويطلقـــــون عليه في العبرانية شبـــات ـ SEBBAT ـ معناه الراحـــة ، وقد ورد في الكتاب المقدس الحديث عن هذا اليوم ((تحفظون السبت لانه مقدس لكم ، من دنســـه يقتل قتلا . ان كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها ، ستة أيام يصنع عمل أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب ، لانه في ستـــة أيام صنع الرب السماء والارض وفي اليوم السابع استراح وتنفس)) (103).

تنظيم الجاليات اليهودية :

ان المصادر التاريخية تثبت لنا عن وجود جاليات يهوديـــة في المغرب الاسلامي متوزعة على المدن الكبرى والصغرى والريف ، ولكن المعلومـات عن الاحوال الخاصة لهذه الجاليات قليلة ، وعلى الرغم من ذلك ، يمكن استشفاف بعض الحقائق من الاشارات القليلة .

يعتبر أهل الذمة احدى طبقات المجتمع في المغرب الاسلامي (104) بحكم تواجدهم ضمن الامة الاسلامية . وقد أباح الشرع الاسلامي لاهل الكتاب المحافظة على حريتهم الدينية وعلى عاداتهم وتقاليدهم .

ونظام الجاليات اليهودية في المغرب ، لعله يتمحور أساســا في وجود الاعيان على قمة هرم الجالية التي يتزعمها الرئيس أو شيخ اليهود والـذي يدعـــى الجاون (GAON) كما هو الحال في مصر والاندلس (105) ويدعـى رأس الجالوت في العراق (106).

أما بالنسبة لافريقية . وفي عهد الدولة الزيريـــة ، فقد كان يترأس جاليتها ناجـــد ويتمتع بصلاحيات سياسيـــة ودينيـــة (107). وقـــــد تـــرأس الجاليـــة اليهودية أيـــام حكم المعـز بن باديس طبيبـه الخـاص

---

102) ـ لمزيد من المعلومات عن هاذين العيدين راجع شبلي ، اليهودية ، ص 287 ـ 289 .

103) ـ نقلا عن شبلي ، اليهودية ، ص 288 ، وأنظر: La Bible, Exode, p, 113

104) ـ علام ، الدولة الموحدية ، ص 242 .

105) ـ قاسم عبده قاسم ، اليهود في مصر ، ص 53 ، الهامش رقم 3 .

106) ـ نفســه ، ص 53 ، هامش 2 .

107) ـ أنظر : Idris, la bérbérie, TII, p765

ابن عطاء اذ يشير الدباغ بأنه من خيار أهل ملته (108). فهو على ما يبدو المشرف على تنظيم الجالية اليهودية في شؤونها الاجتماعية والاقتصادية وبحكم قربه من الحاكم يعمل على حل المشكلات التي يتعرض لها أبناء ملته.

وفي الاندلس فقد تعاقب على رئاسة جالياتها عدد من الرؤساء كحسداي بن شبروط الذي عينه عبد الرحمن الثالث حاخاما أكبر ليهود الاندلس (109). وابن نغريلة (110) وابنه يوسف (111) وأيضا والد ابن ميمون (112) الذي كان على ما يبدو رئيسا لليهود أثناء المدة التي أقام بها في مدينة فاس.

ومن أهم الجاليات اليهودية في الاندلس جالية اليسانة التي كان يتزعمها في عهد ملوك الطوائف ابن ميمون الذي عينه الامير عبد الله (113).

وأما المراتب الاخرى التي تلي رئيس اليهود مجموعة من الموظفين الذين تولوا الاشراف على جمع التبرعات، ورعاية المعابد اليهودية. ومن الجماعة اليهودية الدوحيين الحزان ((وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويعظهم)) (114) وهو المشرف على الصلاة ويشترط فيه الالمام بأحكام التلمود. ويقوم الحزان أيضا بوظيفة التعليم.

ويتولى القضاء والفصل في المنازعات بين اليهود، الحبر، والذي يصدر الفتاوي ، وله الامر والنهي في المسائل الدينية . ويبدو أن هذا المنصب قد تولاه أحد اليهود في زويلة اذ ذكر الدرجيني ((وبلغنا أن أبا نوح دخل زويلة وواليها حينئذ ابن خطاب وأكرم أبا نوح غاية الاكرام ومعه عبد الله بن زورتين الوسباني فكان عنده في أعلى درجة قيل فجلس

---

108) ـ الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3 ، ص 161.

109) ـ محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 90.

110) ـ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ص 439، محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس، ص 40، احسان عباس ، مقدمة رسائل ابن حزم ، ج 3، ص 10، اسماعيل العربي ، دولة زيري ، ص 100.

111) ـ قال ابن بسام ((وتسمى من خططهم الشرعية بالناغيد ، معناه المدبر بالعربية ، خطة تحاماها قدماؤهم، وتطأطأ عنها قديما زعماؤهم)) (أنظر ، الذخيرة، المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص 767 ، وعباس مقدمة رسائل ابن حزم، ص 15.

112) ـ أنظر مقدمة ماكس مايرهوف لكتاب ابن ميمون شرح اسماء العقار، ص

113) ـ الامير عبد الله ، التبيان ، ص 130، أسماعيل العربي ، دولة بني زيري ، ص 189.

114) ـ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 474، محمد قنديل البقلي ، التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، ص 105.

ذات يوم في مجلس ابن خطاب وحوله رجل يهودي يقال له حلي يزعم أنه حبر)) (115) .

وفيما يتعلق بالمسائل المدنية والجنائية فانها تحل حسب الشريعة اليهودية اذا لم يكن الخصم من المسلمين . فالمذهب المالكي يقر بالعودة الى محاكم المسلمين في حالة الخصومة بين المسلم الذمي (116). ويقر الخشني بالنظر في نزاع بين الذميين لدى المحاكم الاسلامية في قضايا الغصب والتعدي وجحد الحقوق (117).

أما المسائل المتعلقة بالحدود والزنا والطلاق ، والخناق ، والخمر فهي من اختصاص القضاء اليهودي لينظر فيها حسب شريعتهم الا في حالة التراضي للعودة الى محاكم المسلمين (118). وقد ثبت وجود قضاة يهود في مدينة المهدية (119) مما يبين بأن عدد كبير من اليهود يحلون قضاياهم أمام المحاكم اليهودية ، وعلى ما يبدو فاعظم الخصومات المطروحة هي خصومات تجارية، اذا عرفنا الدور التجاري الذي كانت تلعبه مدينة المهدية على الساحل الافريقي .

وقد أثيرت الكثير من القضايا وبثت فيها المحاكم الاسلامية ، فالونشريسي قد حفظ لنا مسألة بعنوان ((اختلاف يهودي ويهودية بقرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود)) فأجاب عليها عدد كبير من العلماء (120) ولم تخرج اجاباتهم عما اثبته وأقربه الخشني من الاحكام المستمدة من المذهب المالكي . وعن هذه الوضعية يعلق الاستاذ هادي روحي ادريس بان اختصاص القضاء اليهودي لا يحل الا مسائل قليلة (121) وكأنه غير راض على تدخل المحاكم الاسلامية في شوون الجاليات اليهودية وليوضح مدى تدخل المسلمين في الأوضاع اليهودية الداخلية على الرغم من وضوح الاحكام المتعلقة بأهل الذمة وواقعيتها في المغرب الاسلامي ، لان اليهود بمحض ارادتهم يعودون للمحاكم الاسلامية لكونها محاكم محايدة .

---

115) ـ الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج 1 ، ص 156 .

116) ـ محمد حارث الخشني ، أصول الفتيا في الفقه على مذهب مالك ، تحقيق وتعليق محمد المجدوب و محمد أبو الاجفان ، وعثمان بطيخ ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ليبيا ، 1985 ، ص 431 .

117) ـ نفسه ، ص 431 .

118) ـ نفسه ، ص 327 ، و ص 431 .

119) ـ أنظر: Idris, laberberie, TII, p528, 672, 768

120) ـ الونشريسي ، المعيار ، ج 10 ، صص 128 ـ 130 .

121) ـ أنظر: Idris, la berberie, TII, pè 768

علاقة اليهود بالمسلمين :

ان الجالية اليهودية بالمغرب الاسلامي لم تكن مضطهدة بل وجدت الفرص متاحة للاختلاط اليومي (122) . وبحكم المجاورة بين اليهود والمسلمين، ووجودهم في بيئة واحدة . فالتعامل اليومي أثبتته المصادر التاريخية والفقهية ، وفتوى القابسي المتضمنة كيفية معاملة الجار، توضح اهتمام الناس والفقهاء بهذه المسألة ولمعرفة نظرة الشرع الاسلامي . لكي تكون المعاملة مستمدة من نصوص فقهية ، ولمعرفة حدود التجاوزات التي يمكن أن تظهر أثناء المعاملات مع اليهود .

وأجاب القابسي عن هذه المسألة بقوله ((وأما جارك من أهل الذمة، فيستقضيك حاجة لا مأثم فيها ، فتقضيها له ، فلا بأس أمالين قولك له ان خاطبك فان لم فيه تعظيم له ولا تشريف ، ولا ما يخبدله في دينه ، فلا بأس . . . وأما أن سلم عليك فالرد عليه أن تقول : وعليك ولا تزد . وأما سؤالك عن حاله وحال ما عنده ، فما لك فيه فائدة ، وما عليك منه ان أنت لم تكثر ولم تفرط فيه ، ولكن بقدر ما يدعو اليه حق الجوار)) (123) .

فالقابسي من خلال هذه الاجابة لا يرى منع المسلمين من مخالطة اليهود ومعاشرتهم ولكن ضمن حدود معينة لا يمكن تجاوزها . فقد صرح بقضاء المسلم حاجة اليهودي لا اثم فيها ، وأيضا المخاطبة ، والسؤال عن حاله وذويه ، والرد على التحية ، (124) . ومسألة الحذر في المبالغة التي يمكن أن تظهر في المعاملات اليومية أساسها الابتعاد عن المحرمات التي يسمح بها لاهل الذمة لتمتعهم بالحرية في دار الاسلام .

---

122) ـ جواتياين ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ص 151 .

123) ـ الونشريسي : المعيار ، ج 11 ، ص ص 300 ـ 301 .

124) ـ ان مسألة معاملة اليهود عند اللقاء قد أفرد لها ابن قيم الجوزية مبحثا مهما ومما جاء لديه ((. . . فلو تحقق السامع أن الذمي قال له : ((سلام عليكم)) لا شك فيه ، فهل له أن يقول : وعليك السلام أو يقتصر على قوله ((وعليك)) ؟ فالذي تقتضيه الادلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له وعليك السلام ، فان هذا من باب العدل ، والله يأمر بالعدل والاحسان ، وقد قال تعالى : ((واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)) . انظر ابن قيم الجوزية ، احكام أهل الذمة ، ج 1 ، ص 199 . ومجمل القول لا يبدأ المسلم بالتحية ، فان سلم الذمي فعلى المسلم أن يرد عليه ((وعليكم)) وأن تيقن من سمع التحية لا يداخلها شك ، ولا ارتياب فعليه أن يرد التحية كاملة .

وفي افريقية فقد شاع الاختلاط اليومي بين اليهود والمسلمين اذ جاء في المصادر عرضا أمثلة عن هذا الاختلاط. ففي ترجمة اسماعيل بن رباح (125) تذكر المصادر التاريخيـــة أن جماعة جلسوا على طعام فدخل عليهم يهودي فدعوه للأكل معهم (126).

ومن صور التعامل بين اليهود والمسلمين، منح بعض اليهود في أعيادهم هدايا للمسلمين، وعلى ما يبدو كانت هذه الظاهرة شائعة في المغرب الاسلامي الشيء الذي استدعى فتوى في هذه المسألة اذ رد القابسي بمنـــع قبول هدية المسلمين الذين يتشبهون بالنصارى، وأنكر قبول هدايا النصارى واليهود (127).

وجاء في مناقب الجبنياني (128) عن ابنه عبد الرحمن ((كنت يوما أمشي مع أبي على الطريق حتى لقينا رجلين. فقال قبل أن يصلا الينا : أنظر الى الرجل الذي للقبلة منهما، اذا سلم رد عليه. فلما وصلا الينا سلم الذي يلي القبلة، فاذا هو مسلم والاخـــر يهودي)) (129).

وفي هذا السياق فان المالكي في معرض حديثه عن أبي اسحاق ابراهيم بن احمـــد السبائي (130) وشمائله وتحرج دولة بني عبيد منه، تحدث عن طبيب المعز لدين الله موسى بن العازار عن امرأة فقيرة من المسلمات تـــدخل الى داره وهي التي حملت ابنة موسى المصابة بالبياض في عينيها لابن السبائـــي فأصبحت تبصر (131). وفي الحقيقة ان هذا الخبر طريف في حد ذاته لما عرف عن موسى من مهارة طبية في طب العيون (132) ولكن المهم هو خبر المرأة المسلمة التي تدخل الى دار اليهودي. ولعل الفقر هو الذي قد دعاها للذهاب الـــى تلك الدار، وقد تكون خادمة لدى موسى. لانه اذا صحت الرواية لا يمكن أن يسمح أحـــد في مكانة طبيب الحاكم اخراج ابنته مع عجوز فقيرة تأتي للتسول. وقد تكون هذه الرواية موضوعة لابراز كرامات السبائي وفضله.

---

125) ــ اسماعيل بن رباح : أنظر ترجمته عند المالكي، رياض النفوس، ج 1، صص 333 ــ 344.

126) ــ أبو العرب، طبقات علماء افريقية وتونس، ص 146، المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 336.

127) ــ الونشريسي، المعيار، ج 11 صص 111 ــ 112.

128) ــ ابو اسحاق الجبنياني : أنظر ترجمته في المصدر الموالي.

129) ــ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد اللبيدي، مناقب الجبنياني، تقديم وتحقيق هادي روحي ادريس، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، الجـــزائر، 1959، ص 47.

130) ــ ابراهيم أحمد السبائي : أنظر ترجمته لدى المالكي، رياض النفوس، ج 2، صص 469 ــ 507.

131) ــ المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 502.

132) ــ المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 502، الدباغ، معالم الايمان، ج 3، صص 67 ــ 68، حسني عبد الوهاب، ورقات، ج 1، ص 303.

وأورد جواتياين معتمدا على وثائق الجنيزة العلاقات بين اليهود والمسلمين في المجال الاقتصادي اذ اقام بعض المسلمين شركات تجارية مع اليهود (133)، بمعنى أن المصلحة المشتركة قد ساعدت على إقامة مثل هذه الشركات. وكما قال أحد الباحثين المعاصرين ((ولم تكن تخلو حاضرة عربية في القرون الوسطى من رأسماليين يهود يقدمون خدماتهم للتجار العرب المغامرين في البحار والصحاري ويأخذون عن ذلك تعويضات كثيرا ما كانت تتعدى أضعاف رأس المال ... وأن الحب المتبادل بين التجار المسلمين والرأسماليين اليهود لم يكن مبنيا على الاريحية والتسامح كما يقول المؤرخون بل هو حب المنفعة المتبادلة)) (134).

وما دامت هذه الحالة المتمثلة في ارتباط المصلحة بين بعض اليهود والمسلمين، فلا عجب أن نرى اليهود يمدون شركائهم بالادعية والتمنيات الطيبة، ويقومون بزيارتهم في بيوتهم لتقديم التهاني في أيام الاعياد خاصة في افريقية (135).

موقف اليهود من الاسلام:

عاش اليهود في المغرب الاسلامي كأهل ذمة لهم من الحقوق المستحقة كممارسة ديانتهم، والتقاضي لدى محاكمهم، والعمل في الميدان التجاري في جو خال من الضغط مقابل دفعهم للجزية (136). فما هو موقف اليهود في المغرب من الاسلام والمسلمين؟ ان الاجابة صعبة للغاية لقلة الشاهد التاريخي لاخذ صورة متكاملة. غير أن المصادر التاريخية والفقهية قد تركت بعض الشذرات التي يمكن الاعتماد عليها لتكوين فكرة ولو جزئية عن هذا الموقف.

اتخذ بعض اليهود موقفا عدائيا من الاسلام في دار الاسلام حيث يتمتعون بالحرية، فقد عاقب أبو عبد الله محمد بن أبي منظور أحد اليهود بالضرب حتى الموت بعد أن شهدت عنده البينة بسب النبي صلى الله عليه وسلم. ويبدو أن هذا العقاب صارم (137) ولكن القاضي عاقب المذنب بعد أن عرض عليه الاسلام فأبى (138)، وبفعلته هذه انتقضت ذمته

---

133) ــ جواتياين، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص 238.

134) ــ مزيان، العرب واليهود في التاريخ، ص 116 ــ 117.

135) ــ جواتياين، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص 238.

136) ــ عن الجزية تعريفها، ومقدارها، وعلى من تضرب، أنظر، الماوردي، الاحكام، صص 124 ــ 126، ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج 1، ص 1 وما بعدها.

137) ــ اتفق العلماء، على أن سبب الله والرسول (ص) قتل مسلما كان أو كافرا. أنظر، الونشريسي، المعيار، ج ، صص 344 ــ 348 ــ 366.

138) ــ الدباغ، معالم الايمان، ج 3، ص 45، المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 359، عياض، المدارك، ج 2، ص 340.

واستحق القتل كما جاء في الحسبة على أهل الذمـــة (139).

واستعمل اليهود أنواع الخداع والسرقة هدفهم الحصول على المـــال الوفيـــر دون النظر الى أخلاقيات المعاملات التجارية ، لانهم لا يتورعون في استعمال ادنى الوسائل لجمع الخيرات والنص التالي يوضح ذلك بصورة جلية سلوكاتهم في سجلماسة ((والبناؤون عندهم اليهود لا يتجاوزون بهم هذه الصناعة . والسبب في تسخير أهل سجلماسة لليهود في ذلك كونهم محببين في سكن بلادهم للاكتساب لما علموا أن التبر بها أمكن منه بغيرها في بلاد المغرب لكونها بابا لمعدنه ، فهم يعاملون التجار به ليخدعوهم بالسرقة وأنواع الخـــداع)) (140).

وعلى ما يبدو كان بعض اليهود يشاركون أحيانا في النهب والسلب في المناطق الداخلية للمغرب الاسلامي ، اذ قدمت للمازري فتوى مفادها أن اليهود في مدينة قفصـــة يعملون في تجارة الحرير، فطالبهم بالحلف بالبيعة - كنيس اليهود - على أن الحرير المعروض للبيع لم ينتهبوه من احدى القوافل التي تعرض لها قطاع الطـــرق (141).

ومن مواقف اليهود التي تتسم بالنفاق والخداع ، اسلامهم الظاهر خاصة بعد أن خيرهم عبد المؤمن بن علي بين الاسلام أو مغادرة المغرب. فالكثيرون منهم اختاروا الاسلام ، وحضـــروا للمساجد لاداء الفروض ، وحفظـــوا القـــرآن الكريم ، ولكنهم حافظوا على يهوديتهم في الخفاء ، (142). وهـــو مـــا أدى بالامير الموحدي أبي يوسف بوضع زي مميز لهم لشكه في اسلامهم وقـد نقل المراكشي قوله ((وكان يقول لو صح عندي اسلامهم لتركتهم يختلطـــون بالمسلمين في انكحتهم وسائر أمورهم ، ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهـــم وسبيـــت ذراريهم وجعلت فيئا للمسلمين ، ولكني متـــردد في أمرهم)) (143).

---

139) - ابن الاخـــرة ، معالم القربة ، ص 35 .

140) - الحميري ، الروض، ص 106 ، الجنحاني ، المغرب الاسلامي ، ص 186 . واسماعيل العربي ، المدن المغربية ، الجزائر ، الموسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص 123 .

141) - محسن العابد ، دراسات وبحوث مقارنة ، ص 145 - 146 .

142) - أنظـــر : Sebag La hara p 10

143) - المراكشي ، المعجب، ص 305 .

وفي عهد ابنه الناصر استمر في موقفهم ، اذ يؤكد المراكشـــي الذي كتب كتابه سنة 621 هـ/1221 سيرة اليهود بقوله ((وانما اليهود عندنــا يظهرون الاسلام ويصلون في المساجد ويقرئون أولادهم القرآن ، جارين علـــى ملتنا وسنتنا والله أعلم بما تكن صدورهم وتحتويه بيوتهم)) (144) . ودون شــك فان هذه الوضعية قد أساءت للمسلمين ، مما سمح لليهود بالتجسس عليهم ومعرفــة أسرارهم وتقديمها للاعداء .

وأحسن مثال على اعتناق اليهود للاسلام هو موسى بن ميمـون (145) الذي أسلم وارتد بفسطاط مصر (146) . وهو على ما يبدو لم يكن حالة فريدة أو نادرة . فالمصادر اليهودية تؤكد هذا التحول للاسلام في الظاهر، فقد أورد المؤرخ مـــان (MANN) مراسلة بين يعقوب بن ايلي (Jacob ben Elie) الــى بابلو كريستياني (P. Cristiani) يروي فيها يعقوب محاباة اليهود على أيدي الموحـــدين مع محافظتهم على ممارسة ديانتهم ســـرا (147) .

لعل من يقول بأن شكوك المسلمين هي سبب هذه الوضعيـة التي يوجد عليها اليهود ، ولكن في الواقع ان الحقائق هي التي تتحكم في المواقف في كثير من الاحيان . والمهدي ابن تومرت حين أمر بقيام صلاة الجنازة علـــى يهودي أسلم لما رأى عزوف الناس على الصلاة عليه قائلا لهم ((لم تصلون علـــى هذه الجنازة؟ قالوا له : هو يهودي وكان يصلي . فقال ((رخة)) أفيكم من يشهد له بالصلاة ؟ فقال الناس : نعم ، من كل جانب ومكان . فقال لهــــم : قد شهدتم له بالايمان)) (148) . وقامت الصفوف وصلت الناس عليه وكان ذلك في تونس حينما مر بها أمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر وغاضب الفقهاء الذين لم يقوموا بواجبهم (149) .

هذا هو موقف المهدي بن تومرت من اليهود الأسلاميـيــــن ، فكيف يتحول الموحدون في سياستهم تجاه اليهود ؟ ان هذا التحول يعود الــى مواقف اليهود بصورة عامة من الموحدين وعداوتهم ومساعدتهم للاعداء مثلما حـــدث في الاندلس حينما ساعد اليهود ابن همشك .

---

(144) ـ المراكشي ، المعجب ، ص 305 .
(145) ـ موسى بن ميمون ستأتي ترجمته في الفصل الرابع .
(146) ـ ابن أبي أصبيعة ، عيون الانباء ، ص 582 .
(147) ـ نقلا عن هوبكنز ، النظم الاسلامية ، ص 123 .
(148) ـ أبو بكر علي الصنهاجي المكنى بالبيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ش.و.ن.ت. 1975 ص 34 .
(149) ـ نفســــه ، ص 34 .

2) ــ الحياة الاقتصاديــــة :

شارك اليهود مشاركة فعلية في الحياة الاقتصادية بالمغــرب الاسلامي . وقد تعددت الفروع التي عملوا بها ، على الرغم من أن أهم ميدان تركزوا فيه ، وطبعوه بطابعهم الخاص ، وسيطروا عليه هو الميدان التجاري .

وقد تحدثت المصادر التاريخية من خلال الاشارات أو بعــض الشذرات عن الاختصاصات التي اختصوا بها ، والاعمال التي قاموا بها سواء فــي المدن الكبرى أو الريف والتي تتراوح ما بين الاعمال الكبرى أو المهن الصغيرة .

أ) ــ التجارة : ان أهم نشاط اقتصادي تركزوا فيه ، التجارة ، ففي القيروان تتحدث المصادر عن سوق اليهود (150) وهي على ما يبدو مقتصرة عليهم ، كما توجد في نفس المدينة حوانيت أو دكاكين الرمادنة أو الرمادرة (151) وفي عاصمة الدولة الرستمية تاهــــرت نجـــد هؤلاء التجار ويعــــــــرف

---

150) ــ ابو العرب ، طبقات علماء افريقية وتونس ، ص 130 ، طالبي ، تراجـــم أغلبية ، ص 359 ، حسن حسني عبد الوهاب ، بساط العقيق ، ص 15 .

151) ــ الدباغ ، معالم الايمان ، ج 2 ، ص 37 ، 38 ، 167 ، المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 280 و ج 2 ، ص 365 ، عياض ، ترتيب المدارك ج 2 ، ص 202 . اختلف في تسمية هولاء التجار فتذكرهم المصادر أحيانــا الرمادنة وأحيانا الرمادرة . يقول دوزي بأن الرمادنة هم باعة أقمشــة الصوف والكتان اعتمادا على المقدسي ، والكلمة تدل عند المغاربة على سوق بالقيروان أنظر : Dozy وجاء لدى محقق المعالم ، ج 2 ، ص 38 ، هامش رقم 1 Supplement T1 p. 562 يمكن أن تسميتهـــم بالرمادنة ، لانهم يتوسلون الى رواج سلعتهم بالكذب غالبا . أمـــا لدى باحث آخـــر فهو يقر بوجود سوقهم في القيروان وعثر على قبور بعضهم في مقبرة بنفس المدينة ويشير الى أنهم لم يكونوا من اليهـــود ، وانما فيهم المسلم ، وأشار الى وجود كلمة الرهدار الدارجــــــة في تونس والرهطاني في المغرب والتي تعني الرجل المتلون ومحب المال . راجــع ، يواكيم بريز ، بابوات من الحي اليهودي ، ترجمة خالد أسعـــد عيسى ، تقديم ومراجعة سهيل زكار ، دمشق ، دار حسان للطباعــــة والنشر ، 1983 ، ط 1 ، ص 59 ، الهامش رقم 2 . وذكر ابن خرداذبة الرذانية اليهود بقوله : ((الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والاندلسية ، والصقلبية . وانهم يسافرون من المشرق الــى المغرب ، ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا)) المسالك والممالـــــك ، تقديم وتحقيق دي خويه ، بريل ، 1889 ، ص 153 ، واختلف المستشرقون حول مفهوم الرذانية فموريس لومبار رأى بأن الكلمة مشتقة من شهـــــر رودنو التي تعني الرون ، واقترح دي خويه شرحا آخـــر وهو أن الكلمــة مشتقــــة من الفارسيــــة وهذان التي تعني العارف بالطرق أو الدليل ، أنظر : موريس لومبار ، الاسلام في مجده الاول ، ترجمة اسماعيل العربي ، الجزائر ، ش و ن ت ، 1979 ، ص 313 ، 314 .

دربهم بالسودان (152).

وكان لليهود دور تجاري هام بمدينة سجلماسة التي سيطروا بها على تجارة الذهب (153) المجلوب من غانة وقد تحدث ياقوت الحموي عن دور الذهب في ثراء سكان المدينة بقوله :((وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا ، لانها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب)) (154). ورأينا كيف أن هذا المعدن هو السبب في استقرار اليهود بهذه المدينة . بالاضافة الى أنها في الطريق المؤدية الى مدينة فأس التي تجلب اليها من كل الاقاليم السلع والمتاع الغالية (155). واليهود يقيمون في أغلب الاحيان تجارتهم في المدن الكبرى والمسالك التجارية .

فما يتعلق بالاعمال التجارية التي اشتغلوا بها في المغرب الاسلامي تجارة الذهب المستخرج من بلاد السودان . وتأتي المنسوجات المصنوعة من الكتان أو من القطن في قائمة البضائع التي يعمل على تصديرها اليهود من المغرب، وكذلك كل أصناف السجاد ، والحرير بجميع أنواعه وأشكاله ،كما صدر التجار اليهود المعادن الثمينة كالفضة ، ومعادن أخرى مثل الرصاص ، والزئبق (156).

أما المنتجات الزراعية التي يشارك الينتسب اليهود في تصديرها من المغرب ، الزيت، والصابون ، والشمع ، والزعفران ، ونبات الصباغة والقطران ، وأيضا قشر اللوز ، والسمك المملح ، والقمح على الرغم من قلته ، وجلود الحيوانات والصوف . اضافة الى عقود المرجان التي ضربت رقما قياسيا من بين المنتجات الزراعية المصدرة من المغرب نحو المشرق (157).

وقد عمل اليهود على تصدير الكتب العبرية والعربية من المغرب الاسلامي اذ ((كانت القيروان مركزا هاما للتعليم ومركزا نشطا في انتاج الكتب، ولقد كان تجار الكتب شغوفين بأن يضموا لمكتباتهم أشهر كتب العلماء كما هو الحال عليه اليوم)) (158).

ففي مراحلة من الاسكندرية الى القيروان والموجودة ضمن وثائق الجنيزة يقول فيها صاحبها ((لقد سمعت أن ابن اخت الديان قد مات، وأنه يمتلك مجموعات التشريعات المختارة وكتبا من مختارات أسباديا . . . أرجو أن تضع ذلك في اعتبارك)) (159) يقصد حاول أن تقتني منها ما أمكن .

---

152) ـ ابن الصغير ، أخبار الائمة ، ص 363، بحاز ، الدولة الرستمية ، ص 373 .
153) ـ الحميري ، الروض ، ص 306 .
154) ـ ياقوت ، معجم البلدان ، ج 3، ص 192 .
155) ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ،كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، نشرة المعهد الفرنسي ، بدمشق، مجلة الدراسات الشرقية، المجلد 21، السنة 1968 ، ص 193 .
156) ـ جواتياين ، دراسات ، ص 239 ـ 240 .
157) ـ نفسه ، ص 241 ـ
158) ـ نفسه ، ص 241 .
159) ـ نفسه ، ص 241 .

أما الواردات التي قام بجلبها التجار اليهود الى المغرب خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فهي التوابل الشرقية كالفلفل ، والقرفة ، والقرنفل ، والزنجبيل ، والمر ، والمسك ، والكافور ، ونباتات الصباغة ، وأيضا النيلة ، والبقم ، والدهانات ، وكذلك النباتات الطبية والعقاقير وقد رأينا أن الطبيب موسى بن العازار أرسل الى مصر للحصول على أحد هذه العقاقير لمداواة ابنته (160).

ومن المواد المستوردة عن طريق التجار اليهود ملح الامونيوم ، و الخامات التي تستعمل في تصنيع الجواهر كاللؤلؤ ، والاحجار الكريمة ، والفيروز ، وأنواع مختلفة من الخرز ، وأيضا بعض أنواع الاصداف (161). اضافة الى المواد الغذائية التي من أهمها السكر ومربى الورد (162).

وقد تعرفنا على بعض التجار اليهود الذين يعملون في التجارة بين المغرب والمشرق بفضل وثائق الجنيزة من بينهم : جودة بن يوسف (163) و اسحاق اللاوي (164) ويحيى بن نسيم (165) وابراهيم بن بيجو (166) وخلفون بن نثانيل الدمياطي (167). وابراهيم وخلفون من اليهود الذين شاركوا في تجارة الهند . فابراهيم أقام بها خلال عام 1132 م ـ 1149 م . وأما خلفون فقد تعددت أنشطته التجارية من حوالي 1125 م الى 1146 م في مصر والهند واليمن والمغرب والاندلس . ومن تجار صيقلية طرابلس يوسف النبدي (168).

ومن بين هؤلاء التجار ، اسحاق بن باروخ وأبو سعيد خلفون بن شلبل ، وقد تعرفنا عليهما من خلال مراسلة جرت بينهما مؤرخة بتاريخ 29 شوال 532 هـ / 10 أكتوبر 1138 م ، اذ ارسل الاول من مدينة المرية بالاندلس الثاني في مدينة تلمسان التي قدم اليها من فاس وذكر تاجر آخر بنفس الرسالة يدعى يعقوب بن المنسة (169).

---

(160) ـ المالكي ، رياض النفوس ، ج 2 ، ص 502 .
(161) ـ جوتيابين ، دراسات ، ص 241 ـ 242 .
(162) ـ نفسه ، ص 243 .
(163) ـ نفسه ، ص 244 .
(164) ـ نفسه ، ص 234 .
(165) ـ نفسه ، ص 198 ، هامش رقم 1 .
(166) ـ نفسه ، ص 260 .
(167) ـ نفسه ، ص 261 .
(168) ـ نفسه ، ص 252 .
(169) ـ أمين توفيق الطيبي ، جوانب من الحياة الاقتصادية بالمغرب في القرن السادس الهجري ، طبع مركز الدراسات والبحوث على التطور الجهوي ، جامعة وهران ، ص 19 .

ان هذا العدد من التجار يوضح بجلاء الدور الذي لعبه اليهود في التجارة المغربية اذ لا توجد تقريبا سلعة في أسواق المغرب الاسلامي ، وفي حوض المتوسط لم تمر على أيدي اليهود . ومن العوامل التي ساعدتهم القيام بهذا النشاط الحرية التي تمتع بها اليهود ومعرفتهم الجيدة بالعربية والفارسية والافرنجية والاندلسية والصقليــــة (170). فاللغة العربية سمحت لهم بربط أسواق المغرب بالمشرق .

وكان لليهود دور عظيم في تجارة الرقيق أو العبيد ، فقد ذكر ابن سعيد المغربي حادثة تاجر يهودي مع محمد بن الامير عبد الرحمن الـذي اشتط في ثمن جارية رائعة الجمال فأمسكها عنه ، فرفع التاجر القضية الى القاضي سليمان بن أسود ، فأنكـر القاضي هذا الفعل ، وسافر الى الامير عبد الرحمن في قرطبـــة لابلاغه بما حـــدث ، وردها الى صاحبها (171) . فالرواية تبين بوضوح مدى مشاركة اليهود في تجارة العبيد ويؤكدها ابن خرداذبة بقوله : ((يسافرون ـ التجار اليهود ـ من المشرق الى المغـــرب ... يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان)) (172) .

وحتى في أوربا نجــد أكثر تجار العبيد من اليهود (173) . ولا يمكن أن يكون شأن هذه التجارة قد نقص في القرنين الرابع الهجري / العاشر الميلادي و السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي لكي يقول جواتياين بأن اليهود لم يشاركوا في هذه التجارة خلال هذه المدة انطلاقا من وثائق الجنيزة (174) ، اذ من المعروف أنهم مارسوها دوما ، ان لم نقل هي حكــر لهم .

وقد ابتدع اليهود ظاهرة الخصاء لعلاقتها بتجارة العبيد ، ومنهم أخذها غيرهم من المسلمين وفي ذلك قال المقري ((... وتخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بأرضهم ، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم ، فيحمل خصيانهم من ممالك الى سائر البلاد)) (175) . كما تحدث عن هذه الظاهرة من قبـــل ابن حوقل النصيبي (176) وهو ما يوضح دور اليهود في تجارة العبيد فـــي سائر انحـــاء العالـــم .

---

170) ـ ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص 153 .

171) ـ عبد الملك بن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق وتعليق شوقي ضيف ، مصر ، دار المعارف ، 1964 ، ط2 ، ج 1 ، ص 151 ،

172) ـ إبن خرداذية ، المسالك والممالك ، ص 153 .

173) ـ أنظـــر : H. pirenne, Mohamed et Charlemagne Paris, P.U.F. 1970, p. 68.

174) ـ جواتياين ، دراسات ، ص 265 .

175) ـ المقري ، نفح الطيب ، ج 1 ، ص 145 ، عبد العزيز بن عبد الله ، معلمــة الفقـــه ، ص 206 .

176) ـ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 106 .

عرفنا من قبل دور اليهود في تجارة الذهب ، ومن النشاطات المتفرعة عنها الصيرفة ففي مدينة القيروان حوانيت خاصة لتبديل العملة (177) والعمل بهذا الفرع التجاري المالي الخطير في حياة المجتمعات من الصعوبة الاشتغال فيه نظرا للشروط التي يجب أن تتوفر في الصيرفي خاصة في المجتمعات الاسلاميـــة اذ من الشروط اللازمة والضرورية معرفة الشرع الاسلامي في هذا الميدان لكي لا يقع في المحظورات ، ولقد نبه الى ذلك ابن الاخوة بقوله : ((التمحش بالصرف خطر عظيم على دين متعاطيه بل لا يقي للدين معه الا بعد معرفة الشرع ليتجنب المحظورات)) (178).

أما الونشريسي فقد نبه بدوره من يريد العمل بهذا الفرع المالي ((فالغالب على معاملتهم الفساد والربى)) (179). فمن خلال هذه النظرة لهذا النوع من التجارة نجد اليهود الذين يحللون الربا مع غير اليهود قد تعاطوا مهنـة الصيرفي في المغرب الاسلامي . وقد كانت دون شك مصدر أرباح فاحشـــة .

والرواية التي أوردها المالكي تبين مدى تعامل اليهود بالربا في أسواق مدينة القيروان ((قال أحمد ــ أحمد بن أبي سليمان ــ رأيت في منامـــي كأن صحن مسجدي امتلا زبلا ، ورجلان في ناحية منه يتحدثان باليهودية، فلما أصبحت جاء رجل فأخذ مفتاح المسجد ، فاذن ، فقمت فخرجت الى المسجـــد فاذا صحنه مليء بناس متبيضين ، فلما صلوا أتوا الي فقالوا لي : ((نحن الصيارفة أمرنا عبد الله بن أحمد بن طالب أن لا نتصرف من أحد حتى ننظر في كتاب الصرف، فقـــرأته لهم ، وعلمت أن ذلك تأويل الرؤيا)) (180). فقوله رجلان . . . يتحدثان باليهودية يدل على دور اليهود في المعاملات المالية بالربا .

واشتغل اليهود كسماسرة في أسواق المغرب وقد كان دوره قوي الاثـــر في العمليات التجارية بالاسواق فهو ((القائم بالوساطة بين الباعة والمشترين ، يمتد نشاطه على سوق واحدة ويكون تدخله في العمليات التجاريـــة الصغيرة)) (181) . وفي أكثر الاحيان يقتصر عملــــه على عمل الدلال اذ يقوم باشهار البضائع للبيع ويشرف على عمليات المزايدة فيها (182). وقد ذكـــــر المالكي أحد هـــؤلاء الباعة في أسواق افريقية (183).

---

177) ــ الجنحاني ، المغرب الاسلامي ، ص 68 .
178) ــ ابن الاخوة ، معالم القربــة ، ص 133 .
179) ــ الونشريسي ، المعيار، ج 5 ، ص 64 .
180) ــ المالكي ، رياض النفوس، ج 1 ، ص 506 ــ 507 .
181) ــ نجاة باشا ، التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الى القرن الثامن للهجرة ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، منشورات الجامعة التونسيـــة، 1976 ، ص 53 .
182) ــ نفســـه ، ص 53 .
183) ــ المالكي ، رياض النفوس، ج 1 ، ص 337 .

وفي مقابل مشاركة اليهود في التجارة المغربية ، عليهم بدفع ضرائب على السلع المباعة اذا كان التاجر لا يقطن بلد معين . والعلماء قد نظروا في هذه المسألة من الجانب العملي الواقعي .

ان الخشني يوضح تعشير تجارة الذمي بقوله : ((وحكم الذمي اذ اجر الى غير البلد الذي هو به ، أن يؤخذ منه العشر من ثمن ما يبيعه ، وان لم يبع فلا شيء عليه)) (184) . ويذهب ابن ابي زيد القيرواني نفس المذهب ((ويؤخذ ممن تجر منهم من أفق الى أفق عشر ثمن ما يبيعونه وان اختلفوا في السنة مرارا)) (185) .

أما التجار الذين يتجرون داخل بلدان المغرب ، فيدفعون الجزية فقطه مثل بقية أهل الذمة ، اذ لا يدفعون ضريبة على أموالهم وان كانت معدة للتجارة وفي هذا يقول أبو يوسف ((وما لم يكن من مال للتجارة ومروا به على العاشر فليس يؤخذ منه شيء)) (186) . ويشرح الاستاذ زيدان سبب اعفاء الذمي من الضرائب التجارية عندما يعمل في البلد المقيم به ، ووجوبها عليه حينما ينتقل الى بلد آخر بسبب الحماية التي توفر للذمي ، ولانتفاعه بالمرافق الاخرى كطرق المواصلات والقناطر والجسور، وايضا لان ربحه يزداد بسبب تنقله (187) .

وهذه القاعدة كانت متبعة في المغرب الاسلامي ، فابن حوقل في معرض حديثه عن سجلماسة يذكر أنواع الجبايات التي كان يجبيها أميرها : ((ولم يزل المعتز أيام ولايتها وهو أميرها يجتبيها من قوافل خارجة الى بلد السودان وعشر وخراج وقوانين قديمة ، على ما يباع ويشترى من ابل وغنم وبقر)) (188) . فالعشر هنا تدل على الضرائب التي تؤخذ من التجار اليهود ، لان الضرائب على تجارة المسلمين تبلغ نصف العشر .

ان اليهود كانوا يتعاملون مع المسلمين ، ومع بعضهم ولكن على أي أساس يتعامل التجار اليهود ؟ يرى جواتياين بأن اليهود كانوا يمثلون طبقتهم في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ولم يكونوا ممثلين لجماعتهم الدينية القومية (189) .

---

184) ـ الخشني ، أصول الفتيا في الفقه ، ص 437 .
185) ـ ابن ابي زيد القيرواني ، الرسالة ، ص 134 .
186) ـ نقلا عن زيدان ، أحكام الذميين ، ص 130 .
187) ـ نفسه ، ص 131 .
188) ـ ابن حوقل ، صورة الارض ص 96 ـ 97 .
189) ـ جواتياين ، دراسات ، ص 139 .

غير أن هذا الحكم يصعب الاخذ به بالنسبة للجاليـات اليهودية المبنية على التعصب الديني والانتماء الى جالية معينة تتعامل مع الاخرين على أساس المصلحة والفائدة ، ولا تربطهم رابطة الارض أو الحدود ، وجواتياين نفسه يؤكـد هذه الحقيقة بقوله : ((وبما أن وثائق الجنيزة في جوهرها مستودع للاوراق المستهلكة المكتوبة بالحروف العبرية " فانها كانت تتصل أساسا بالنشاط الاقتصادي لليهـود بين بعضهم البعض ويبدو أن الاعمال التي كانت تدار الى حد كبيـر في موازاة خطوط دينية ... كان من الطبيعي أن يتعاطف اليهود أبناء الملـة الواحـدة مع بعضهم البعض ، وكان ذلك سببا اضافي لوجود العنصر الطائفـي في تنظيم التجارة)) (190).

ب) ــ الصناعـة : شارك اليهود في النشاط الصناعي في المغرب الاسلامي بصورة واضحـة ، اذ اقتصرت بعض الصناعات على اليهـود، ومنها صناعة الذهب (191) والفضة والنحاس (192). ومعظم الصاغة في المغـرب من اليهـود (193).

واشتغل اليهود في ميدان البناء في سجلماسة اذ يذكـر الحميري مدى تركز اليهود في صناعة البناء بقوله : ((والبناؤون عندهم اليهـود لا يتجاوزون هذه الصناعة)) (194). ومن الصناعات الاخرى التي عملوا بهـا الخبازة (195). بالاضافة الى الصباغة في جبل نفوسـة (196).

أما عن النشاط الصناعي لليهود من خلال أوراق الجنيزة المنشورة باللغة العربية فهي تتحدث عن الصنائع التي عمل بها اليهود دون تحديـد للمنطقة الا في مناسبات قليلة ، وبالتالي اعتمد عليها لانها تخص اليهـود الذيـن يتمركزون في منطقة البحر المتوسط وأهمها صناعة الاقمشة المعروفـة بالسوسيـة نسبة الى مدينة سوسة التونسية (197) التي تصدر الى مصر . ففي القاهرة يوجـد سوق تباع بها ــ سوق سوسي ــ وأيضا تحضير الادوية أي الصيدلة لان الطـب بالمغرب الاسلامي تطـور تطورا عظيما . ومن المـؤكد أن هذه الصناعـة

---

190) ــ نفسـه ، ص 276 ــ 277.
191) ــ البرزلي ، جامع الاحكام ، ج 1 ، ص 90.
192) ــ عبد العزيز بن عبد الله ، معلمة الفقه المالكي ، ص 251.
193) ــ عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 110.
194) ــ الحميري ، الروض ، ص 306.
195) ــ الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3 ، ص 19 ، البرزلي ، جامع الاحكام ، ج 1 ، ص 41 .
196) ــ الدرجيني ، ج 2 ، ص 303 ، بحاز ، الدولة الرستمية ، ص 168.
197) ــ جواتياين ، دراسات ، ص 174 ، 239 ، 242 ، الطيبي ، ملامح ، ص 11.

وجـــد ت رواجا كبيرا ، ونالت شهرة واسعة . ومن الصناعات الاخرى، صناعـــة الزجـــاج (198).

وعمل اليهود دون شك في صناعة الخمور، وأنواع الانبذة (199) مثلما عمل النصارى بهذه الصناعة (200)، التي يستهلكها اليهود والنصارى دون حرج لانها غير محرمـــة في دياناتهم . وقد شاع شرب المسكرات حتى في بعض البيوتـــات الحاكمة من المسلمين (201) ولدى العامة ، الذين تفننوا في صنعها من العنـــب ومن الفواكـــه (202).

جـ) ـ مهـــن أخرى : ومن المهن التي برز فيها اليهود في المغرب الاسلامي صنعة الطب ، التي برع فيها الكثير من الاطباء أمثال اسحـــاق بن عمران طبيب الامير الاغلبي ابراهيم الثاني (203) واتخذ عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين اسحاق الاسرائيلي طبيبا خاصا له (204). ودخل موســـى ابن العازار في خدمة المعز لدين الله الفاطمي (205) وابن عطاء خدم في بـــلاط المعز بن باديـــس (206).

واستعمل بعض أمراء الاندلس أطباء يهود من بينهم يحي بن اسحاق طبيب عبد الرحمن الناصر ولمكانته الخاصة لدى مؤسس الدولة الامويـــة بالاندلس قلده العديد من المناصب الاخرى الهامة (207). وخدم مجاهد العامري مؤسس مملكة دانية وجزر الباليار الطبيب اسحاق بن قسطار (208). أما حسداي بن اسحق فقد استخدمه الحكيم عبد الرحمن الناصر (209).

---

198) ـ جواتياين ، دراسات ، ص 179 .
199) ـ يحي بن عمر، أحكام السوق ، ص 96 .
200) ـ الونشريسي ، المعيار، ج 6 ، ص 69 .
201) ـ الامير عبد الله التبيان ، ص 42، 47، ابن عذاري ، البيان ج 1، ص 311 .
202) ـ عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 242 .
203) ـ ابن ابي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 479 .
204) ـ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيـــد ، ص 43 .
205) ـ الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3 ص 159، ابن ابي أصيبعة عيون ، ص 545 .
206) ـ الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3، ص 159 .
207) ـ ابن أبي أصيبعة ، عيون، ص 488 .
208) ـ نفســـه ، ص 498 .
209) ـ نفســـه ، ص 498 .

ومن الذين اشتغلوا بصناعة الطب كذلك في الاندلس
أبو الفضل حسداي بن يوسف ابن حسداي (210)، واشتهر منهم أيضا أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي (211) اضافة الى ابن بكلارش (212).

ان هذه القائمة الطويلة من الاطباء اليهود، والذين استعملهم بعض الامراء والسياسيين المسلمين توحي بأن هذه الصنعة كانت مقتصرة على اليهود وغيرهم من النصارى. ولكن من يطالع المعاجم التي اهتمت بتراجم الاطباء والحكماء يجد عدد كبير من الاطباء المسلمين، ويبدو أن العوامل السياسية هي التي ساعدت اليهود وغيرهم من أهل الذمة للحصول على الحظوة لدى الساسة المسلمين في المغرب الاسلامي.

أما في المجال الزراعي فان الاشارات التي تتعلق باليهود قليلة للغاية لمعرفة دورهم في هذا الميدان، ويعود ذلك اسكوت المصادر التاريخية عن اليهود وأهل الذمة المستقرين في ريف المغرب.

وعلى ما يبدو فان اليهود والنصارى الذين استقروا بعدد كبير في أرياف الاندلس عملوا في الزراعة وما يتصل بها من رعي وصيد. ويستدل أحد الباحثين المعاصرين على اشتغال أهل الذمة بالعمل الزراعي أن الفونس السادس حمل في سنة 487 هـ / 1094 م جملة من رعية غرناطة لعمارة أرض طليطلة (213).
وتسكت المصادر عن امتلاك اليهود للاراضي، ولعل هذا الصمت يرجع الى عدم محاولتهم امتلاك الاراضي الزراعية، والاهتمام أكثر بالميدان التجاري الذي سيطروا عليه سيطرة شبه تامة، وكما قال أحد المستشرقين ((يبدو أن دور العرب كان أضأل شأنا من دور اليهود المغاربة)) (214).

ومن الاشارات القليلة التي وصلت الينا في شأن ملكية الاراضي ما أشار اليه الجزنائي، لما اراد الامير علي بن يوسف بن تاشفين توسيع مسجد فاس فاشترى المسلمون الاملاك التي كانت قبلة المسجد وأكثر هذه الاملاك كانت لليهود (215). وقد يفهم من هذه الرواية أن أكثر املاك اليهود من الاراضي كانت في المدن الكبرى.

---

210) ـ نفسه، ص 499.
211) ـ نفسه، ص 499.
212) ـ نفسه، ص 501، وأنظر: H.P.J. Renaud trois études d'histoire de la médecine Arabe en occident Hesperis, 1930, tome X, p. 135.
213) ـ عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي، ص 108، 139.
214) ـ مونتجمري وات، فضل الاسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، بيروت، القاهرة، دار الشروق، 1983، ط 1، ص 30.
215) ـ أبو الحسن علي الجزنائي، زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص 37.

أما في الريف فان أعدادهم به كانت على ما يبدو قليلة ، وبالتالي فان اشتغالهم بالعمل الزراعي لا يصل الى مستوى أعمالهم في الميادين الاقتصادية الاخرى كالتجارة والصناعة .

فان سكتت المصادر التاريخية عن امتلاك اليهود للاراضي الزراعية ، فعلى العكس من ذلك فيما يتعلق بالمصادر الفقهية التي أشارت الى هذه الاملاك في المغرب الاسلامي . فالونشريسي قد ترك العديد من المسائل الفقهية المتعلقة بالاراضي . وفي احداها ، مسلم ابتاع جنة من يهودي وحبسها ، فقام يهودي يدعي استحقاقها بحبس (216) . أن هذه الفتوى تبين اكتساب اليهود للاراضي الخاصة بالزراعة لان كلمة ((جنة)) تدل على الارض المستعملة للغراسة ، ولكن لا نعرف أكثر من هذه المعلومات الزهيدة لنشاط اليهود في الميدان الزراعي (217) .

ومن الاعمال التي قام بها اليهود ، التجارة في الريف على نطاق ضيق اذ نجد بعض الاشارات عن الباعة المتجولين في الاسواق أو الذين يتجولون بين المدن والقرى والمداشر قصد البيع والتجارة (218) كما نجد البعض منهم يعملون كجزارين يتاجرون في اللحم والطريف (219) . ولقد تركت مشاركة اليهود في بيع اللحوم الارتياب لدى المسلمين في تعاملهم مع هذا الصنف من التجار ، مما حدا بالفقهاء ورجال الدين المغاربة الافتاء فيها ، واظهار بيان الشرع في ذلك . فهذا ابن ابي زيد القيرواني في رسالته يبرز موقف الاسلام من المسألة بقوله ((ولا بأس بطعام أهل الكتاب وذبائحهم وكره أكل شحوم اليهود منهم من غير تحريم)) (220) . وعلى الرغم من اتفاق العلماء على جواز ذبائح أهل الذمة من اليهود والنصارى ، نجد ابن عبدون الذي عاش في العهد المرابطي لا يسمح ببيع ذبائح اليهود للمسلمين (221) . ويبدو أن لمعارضة ابن عبدون دوافع سياسية أدت به الى اتخاذ مثل هذا الموقف . فالدولة المرابطية حاربت اليهود ، وضيقت عليهم الخناق للدور الذي لعبوه في معركة الزلاقة ، وكذلك

---

216) — أنظر تفاصيل هذه المسألة التي طرحت على ابن عتاب في الونشريسي ، المعيار ، ج 7 ، ص 438 — 439 .

217) — يبدو أن اليهود لم يصيروا امتلاك الاراضي الا في حالات قليلة ، فحتى وثائق الجنيزة التي أمكن الاطلاع عليها لم تتعرض لمسألة الارض وحيازتها .

218) — المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 337 ؛ الونشريسي ، المعيار ، ج 8 ، ص 245 .

219) — الونشريسي ، المعيار ، ج 5 ، ص 250 .

220) — ابن ابي زيد القيرواني ، الرسالة ، ص 158 ، وراجع الامام مالك ، المدونة الكبرى ، ج 1 ، ص 438 — 439 .

221) — أنظر E. levi-provençal. Seville musulmane au début du XII siècle, le traité d'IBN ABDOUN. Paris, éditions G.P. Maisonneuve 1947, p. 110.

لحملهم على اعتناق الاسلام (222) كما حدث في العهد الموحدي على يد عبد المومن بن علي الذي نسبت قولة مشهورة ((لا حاجة بنا لجزيتكم))(223) ولعله يقصد دخولهم للاسلام أهم من الجزية التي ضربت عليهم .

رأينا في عنصر سابق أن اليهود يتاجرون في بيع الكتب واقتناء ما يهم الديانة اليهودية سواء كان ذلك في مصر أو في تونس ومن المرجح أنهم عملوا في ميدان الوراقة أكثر مما نعرف في المصادر . ومن طريف ما يروى عن الوراقين اليهود ، أن أحدهم دخل على المأمون فجالسه ، وأعجب به ، ورغبه في الاسلام فرفض ، وبعد سنة عاد اليهود فأسلم ، فتعجب المأمون من ذلك ، فأخبره اليهودي أنه خرج من عنده فنسخ نسخة من التوراة حرف فيها فقبلت منه ، ثم نسخ نسخة من الانجيل محرفة فباعها ، ثم حرف القرآن وأراد بيع النسخة المحرفة فردت اليه بعد مراجعتها ، واكتشاف التحريف (224) .

وابن عبدون في رسالته قد تشدد في مراقبة الكتب التي يبيعها اليهود والنصارى ، ومنعهم من بيع الكتب العلمية ، وسمح لهم بالمتاجرة في كتبهم المتعلقة بدياناتهم (225) . وعمل بعضهم في الترجمة خاصة من العبرية ويبيعونها وينسبون تأليفها الى أهلهم وأساقفتهم ، وهي أساسا من تصانيف المسلمين .

وخلاصة القول أن اليهود في المغرب الاسلامي اجتماعيا لم يتعرضوا للمضايقة فقد جاوروا المسلمين في مساكنهم دون أذى وان كانت لهم أحياء خاصة فيهود ذلك لليهود أنفسهم لانهم يحبذون التجمع في أحياء تسمح لهم بممارسة شعائرهم بعيدين عن أعين المسلمين ، ولانهم يفضلون الانزواء انطلاقا من أفكارهم الدينية التي تقول بأن اليهودي أفضل من غيره وبالتالي عليه أن يتجنب غيره في المعاملة الا اذا كانت المصلحة تقتضي ذلك .

وفي المجال الاجتماعي أيضا نجد اليهود قد خالفوا المسلمين في اللباس ولكن لفترات معينة ، والهدف من هذا الزي هو المحافظة على حقوقهم دون أن يلحق بهم أذى من قبل المحتسبين ، وذلك قبل أن تظهر خيانة اليهود الاسلاميين الذين حافظوا على ديانتهم في الخفاء ، وعملوا على أذى المسلمين ، والتجسس ، فاقتضت الضرورة حينئذ بأن تصبح لهم علامات خاصة

222)ـ عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 112 .

223)ـ هوبكنز ، النظم الاسلامية ، ص 112 .

224)ـ لطف الله قاري ، الوراقة والوراقون في التاريخ الاسلامي ، الرياض ، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، 1983 ، ط 2 (المكتبة الصغيرة 37) ص 48 .

225)ـ أنظر : Provensal, Seville. p. 128.

تذ والمسلمين من شرهم . والشواهد التاريخية صريحة وواضحة في هذه القضية .

أما في المجال الاقتصادي، فنجد اليهود قد شاركوا في جميع النشاطات الاقتصادية، وعلى رأسها النشاط التجاري . فكانوا همزة الوصل بين المشرق والمغرب ، كما كانوا مسيطرين على تجارة البحر المتوسط.

وعلى ما يبدو فان فسح المجال التجاري لهم ، قد حقق لهم الارباح الطائلة إذ تلاعبوا في الاسواق بالاسعار، وتعاطوا الربا لان ديانتهم لا تحرم عليهم التعامل به . وكما شاركهم بعض التجار المسلمين في أعمالهم التجارية بقصد الحصول على فوائد كبيرة ، لانهم لا يستطيعون العمل في هذا الميدان بصورة ظاهرة لتحريم الربا في الاسلام . ولكن ليس معنى هذا ان المسلمين لم يتعاطوا الربا، فقد رأينا كيف أن الاشج يحلل الربا ، ويدعو الناس باللجوء اليه ليجد الحل من خلال التحايل في المعاملات.

وأبرز الميادين الاخرى التي عمل بها اليهود : الصيرفة ، والصياغة، والصباغة، وبيع اللحوم، والخبازة ، والدلالة وميدان البناء وقد كانت الصيدلة ، والطب، والزراعة من الميادين الاخرى التي اشتغل فيها اليهود في المغرب الاسلامي .

ونتيجة لكل ذلك يمكن الاستنتاج بأن اليهود وجدوا الفرص المتاحة للعمل في جميع المجالات دون مضايقة . وهذا بفضل التسامح الذي وجدوه في المغرب الاسلامي ، في اطار قوانين أهل الذمة ولذلك لم يشعروا بالذلة .

فان كانت المجالات الاجتماعية والاقتصادية قد فتحت أمام اليهود، فما هو الدور الذي لعبوه في الحياة الفكرية ؟ ما هي اللغة التي استعملوها في انتاجهم الفكري؟ ما هو التأثير الاسلامي في الفكر اليهودي ؟ ما هي المجالات التي انتج فيها اليهود إنتاجا فكريا ؟ ما هو دور النقلة اليهود في تسرب الثقافة الاسلامية لاوربا ؟ تلك هي المحاور التي يهتم بها الفصل الرابع.

الفصل الرابع

الحياة الثقافية لليهود

1. التعليم والمؤسسات التربوية
2. الحركة الفكرية
3. التأثير الاسلامي في الثقافة اليهودية
4. الجدل الثقافي بين اليهود والمسلمين
5. دور اليهود في نقل الثقافة الإسلامية إلى أوروبا

1) ـ التعليم والمؤسسات التربوية :

اهتم اليهود بتعليم أبنائهم بجدية في العصر الوسيط، فالظروف كانت ملائمة والمتمثلة في البيئة الاسلامية التي كان لها دور عظيم في تطوير التعليم ومفهومه لديهم، وحرية العقيدة الممنوحة لاهل الذمة، وأيضا الصراع لتحقيق الذات اليهودية في المجتمع الاسلامي للحفاظ على خصائص اليهود الفكرية المميزة والمستمدة من كتبهم الدينية .

وقد تحدث أحد اليهود المعاصرين عن الوحدة الفكرية لليهود في العصر الوسيط بقوله : ((خلال هذه الفترة ، ورغم الشتات ، فان اليهودية تمتاز بوحدة خارقة في ميدان الافكار، والمعتقدات، والعادات الثقافية وفي كل ما يتعلق بحياة اليهود عامة)) (1) .

ويشتمل التعليم لدى اليهود على ثلاث مراحل فالاولى وهي المرحلة الابتدائية تهدف أساسا لتهيئة الطفل للمشاركة في اقامة الواجبات الدينية كقراءة نصوص الكتاب المقدس، وتلاوة الادعية الدينية . أما بقية المواد الاخرى مثل الكتابة والحساب ولغة البلد الذي يقام فيه ، فهي من اختصاص فروع أخرى مهنية أو أنها تدرس في مستويات أعلى ، وكذلك دراسة بعض أجزاء الكتاب المقدس التي ليس لها علاقة مباشرة بالفروض والواجبات المقامة بالبيع اليهودية (2) .

وعلى ما يبدو فان هذه المرحلة من التعليم مستمدة من نظم التربية الاسلامية التي تبدأ بتعليم الولدان القرآن الكريم لانه ((أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات . وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده)) (3) .

وتحتوي المرحلة الاعلى دراسة منتظمة لمقاطع من الكتاب المقدس والقوانين الشرعية التي وضعها علماء الدين اليهودي المستمدة من الكتب الفقهية (4) . وهذه المواد الدراسية تعتبر مكملة للمرحلة الاولى اذ تؤدي بالطفل الى

---

1) ـ أنظر : Haïm Zafrani, pédagogie Juive en terre d'islam, l'enseignement traditionnel de l'hebreu et du judaïsme au maroc, Paris, librairie d'Amérique et d'orient, Andrieu Maisonneuve, 1969, p 15

2) ـ أنظر : Ibid, pp 16 - 17.

3) ـ ابن خلدون، العبر، ج 2، ص 1038 .

4) ـ أنظر : Zafrani, pédagogie Juive, p 17.

اكتساب معارف دينية متينة ليحافظ على يهوديته ، ولتحصينه من محاولة الخروج عن ديانة السلف .

ودراسة التلمود هي أعلى مرحلة في التعليم وهي موجهة أساسا الى المثقفين ثقافة عالية . والدراسة المنهجية للغة العبرية منتشرة بين هؤلاء المثقفين والادباء . أما الفلسفة والتعليم الدنيوي خاصة الطب فهي مقتصرة على نخبة صغيرة (5) .

فالتعليم كما هو واضح ، أساسه الديانة اليهودية بالنسبة لكل المراحل . وتعطى دروس للكبار وهي بمثابة محو الامية في الوقت الحالي ، وهي ضرورية وواجب أساسي . تقدم هذه الدروس في الليل ، وأيام العطل أي السبت وفي أيام الاعياد حتى تقترن بالديانة اليهودية .

كما اهتم اليهود بالتعليم المهني سواء في الميدان التجاري أو الصناعة التقليدية (6) وقد أوضحت وثائق الجنيزة طريقة تعلم مهنة من المهن دون تقديم رسوم أو أجرة مقابل ذلك . وليس لهذا النوع من التعليم أحكام محددة فالاباء يعلمون ابناءهم صنعتهم . وفي احدى هذه الرسائل كتبت سيدة في الريف لامها بصدد شقيقها الاصغر تقول ((كيف تدعين الولد . . . قبل أن يتعلم صنعة)) (7) . وهو ما يعطينا فكرة عن الاهتمام بهذا النوع من التعليم الذي يعتبر أساسيا .

ويسمى هؤلاء الاطفال الذين يتعلمون مهنة أو صنعة بالصبيان (8) ومن واجباتهم تأدية صلواتهم لانهم ليسوا صغارا كما يتبادر الى الذهن (9) . وقد ذكر جواتياين أن أحد التلاميذ المتدربين أشتكى لانشغاله طول الوقت في

5) — جواتياين ، دراسات ، ص 117 ، وأنظر : Zafrani, pédagogie, p.17.

6) — أنظر : Zafrani, pédagogie, p.17.

7) — جواتياين ، دراسات ، ص 176 .

8) — الصبيان يعني الاطفال الصغار ، وقد استعمل العلماء المغاربة هذا المصطلح ، ووضعوا التأليف حول طب الاطفال وتعليمهم ، راجع ، ابن الجزار القيرواني ، سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1968 ، محمد بن سحنون ، كتاب أداب المعلمين ، تقديم وتحقيق ، محمود عبد المولى ، الجزائر ، ش.و.ن.ت . 1981 ، أحمد أبي جمعة المغراوي ، جامع الجوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين لأباء الصبيان ، تحقيق وتعليق ، أحمد جلول بدوى ، ورابح بونار ، الجزائر ، ش.و.ن.ت . 1975 .

9) — ان الدين الاسلامي أولى أهمية عظمى لهذه المسألة اذ جاء في الحديث ((علموا أولادكم الصلاة اذا كانوا بني سبع ، وأضربوهم عليها اذا كانوا بني عشر)) راجع محمد بن سحنون ، كتاب أداب المعلمين ، ص 63 .

العمل وليس لديه وقت لاداء الصلاة)) (10) . فالرسالة توضح مدى استغلال بعض الاطفال في ميدان العمل على حساب الفروض الدينيـــة .

والتعليم موجه بصورة عامة للبنين ، أما البنات فيتعلمن التدبير المنزلي في وسط الاسرة ، وأيضا مبادئ التربية التقليدية اليهودية على يد معلمين عميان أو على يد متخصصات من النساء مثلما ذكرت أوراق الجنيزة عن وجود معلمات يشرفن على التعليم في المدارس (11) . وعلى ما يبدو فان مدارس البنات قليلـــة بالمقارنة مع مدارس البنين حسبما تقتضيه التربية اليهودية .

أما طرق التعليم ، ففي المرحلة الابتدائية تقوم القاعدة التربوية على التلقين بقصد تحفيظ التلميذ في سنواته الاولى الدعوات ونصوصا من التوراة(12) . وعلى الرغم من أن هذه الطريقة تقليدية وهي السائدة تقريبا في ذلك الوقت ، وتعتمدها حتى المدارس الاسلامية، الا انها استطاعت أن تبرز العديد من العلماء والفقهاء الذين ترأسوا الجاليات اليهودية .

وقد اهتم العلماء اليهود ـ ايمانا بدور التربية ـ بالجانـب النظري التربوي فناقشوا هذه المسألة في كتاباتهم ومؤلفاتهم ، اذ تطرق ابن ميمون في كتابه ((كتاب المعارف)) للطرق التي يمكن بواسطتها دراسة الشريعـــة اليهودية))(13) . وكتب الربي يهودا بن ربي صموئيل بن عباس المعروف لدى المسلمين بأبي البقاء ابن يحي بن عباس المغربي رسالة حول التعليم (14) .

ويمكن أن نعرف الاراء التربوية لابي البقاء من خلال ما سجلـه ابنه السموءل ابن يحي بن عباس المغربي (ت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) عن تعليمه فيقول : ((وشغلني أبي الكتابة بالعلم العبري ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها حتى اذا أحكمت علم ذلك عند كمال السنة الثالثـــة عشرة من مولدي شغلني حينئذ بتعليم الحساب الهندي وحل الزيجيــــات عند الشيخ الاستاذ العالم أبي الحسن الدسكري . وقرأت علم الطب عـــلى الفيلسوف أبي البركات هبة الله ابن علي ... ، والتأمل في علاج الامراض ومشاهدة ما ينفـــع مـــن الاعمـــال الصنـــاعيـــة في الطـب والعلاجـات ...

---

10)ـ جواتياين ، ص

11)ـ نفســـه ، ص 177 .

12)ـ أنظـر : Zafrani, pédagogie, p.17.

13)ـ نفسه ، ص 19 .

14)ـ طبع هذا الكتاب من طرف بدمان (NIDMAN) في كتابه عن تاريـــخ التربية اليهودية في اسبانيا ، وترجم الكتاب للالمانية أنظر : Zafrani, pédagogie, p.19 et note 28 de la même page

فأما الحساب ... والريج فاني أحكمت عليهما ... حينما كمل بي أربع عشـــرة سنـــة)) (15) .

ان هذه الطريقة على ما يبدو لم تكن تشمل كل أبناء اليهـود ولكن تمثل نموذجا لتعليم أبناء الشخصيات المرموقة . وأما الطريقة المثلى التـي وردت في كتاب والده النظري حول التعليم فيمكن ايجازها فيما يلي : فـي السن الثالثة يبـــدأ الطفل بتعلم القراءة وفي الرابعة والنصف يدرس الابواب الاولـى من التوراة . وعندما يصل الطفل السن السادسة والنصف عليه أن يدرس أسفار موسى الخمســـة ( ) متبوعة بالترجمة الارامية التي تعد كمدخل لدراسة التلمود ، وبعدها تأتي دراسة أسفار الانبياء . وحينما يصل الطفـــل الثالثة عشر تبدأ عملية تدريس النحو من كتب المتخصصين في هذا الميدان كابـن جناح ، وداود القمحـــي ، ويهود حيوز ، وابراهام بن عزرا ، وذلك بموازاة دراسة التلمود حيث يبدأ التلميذ بالفصل البابلي . وفي الثامنة عشر يتزوج الطالـــب وحينئذ يشتغل بدراسة العلوم كالطب ، والفلسفة ، والفلك ، والميكانيكا ، والموسيقى، وتدرس جل هذه المواد من كتب العلماء المسلمين (16) .

وفي التربية النظرية أيضا ، ألف الحبر اليهودي يوسف بن أكنين كتاب ((طب النفوس)) باللغة العربية تحدث فيه عن المعلم المثالي والتلميـــذ النجيـــب . وأفرد الفصل السابع عشر لفضائل المعلم والتلميذ وهو على ما يبدو قد اطلع على كتاب محمد بن سحنون ((كتاب أداب المعلمين)) (17) . وتأثر به ، وأخذ عنه في كثير من الفصول .

وفيما يخص المؤسسات التعليمية ، فان المعلومات حولها قليلـــة، ولكن بالمقارنة يمكن التعرف عليها بصورة تقريبية فهي تشبه مدارس المسلمين ، اذ تخصص أماكن خاصة في بيع اليهود لتدريس الصبيان ، وقد تكون هذه الاماكن خارج بيع اليهود . أما الاغنياء فكانوا دون شك يحضرون المعلمين الى بيوتهـــم لتعليم أبنائهم .

---

15) ـــ السموأل المغربي ، الباهر في الجبر ، تحقيق وتحليل صلاح أحمد ، ورشدي راشـــد ، دمـــشق ، مطبعـــة الجامعة ، 1972 ، المقدمة ، ص 6 .

16) ـــ أنظر : Zafrani, Pedagogie,p 20-21.

17) ـــ أنظر : Zafrani, Pedagogie,p 22.

أما المدارس العليا ، فالمعلومات عنها قليلة أيضا في المغرب الاسلامي ، ما عدا الاخبار التي وصلتنا عن المدرسة التي أنشأها حسداي ابن شبروط في الاندلس بمدينة قرطبة ، اذ فتحت هذه المدرسة أبوابها لكل العلماء اليهود فقصدوها من المشرق ، خاصة وأن المؤسس كان سخيا في الاغداق على أساتذتها (18) .

وبعدها أنشأ اليهود مراكز أخرى للدراسات اليهودية كالمدرسة اللغوية واللاهوتية في أليسانة التي تخرج منها النحوي اليهودي مروان بن جناح (19) اضافة الى مدرسة القيروان التي جمعت هي الاخرى مجموعة كبيرة من العلماء ، مما جعل هذه المدينة تتبوأ مكانة ممتازة في الدراسات اليهودية (20) . ولا شك أن التأثير الاسلامي قد دخل الى هذه المدارس حتى تكون بهذا المستوى العلمي العالي .

2) ــ الحركــــة الفكرية :

وجد اليهود في المغرب الاسلامي ، الظروف الملائمة التي ساعدت على ظهور حركة فكرية يهودية وصلت الى ذروتها في الاندلس ، حتى أصبح المغرب مقصد العلماء اليهود الذين كانوا في المشرق ، وتحولت صدارة الدراسات اليهودية من المشرق الاسلامي الى المغرب الاسلامي .

فالحرية التي كان يتمتع بها اليهود في المغرب ، والاحتكاك بالثقافة الاسلامية ، والتأثر بها ، ومحاولة اليهود لفرض ثقافة يهودية بحتة قصد الوقوف أمام التأثير الثقافي الاسلامي من العوامل التي كانت وراء ظهور هذه الحركــة .

وقد نبغ عدد كبير من العلماء اليهود في مجالات ثقافية عديدة في العلوم الدينية ، واللغة ، والادب ، والتاريخ ، والرحلات ، والطب . فأصبح بذلك المغرب الاسلامي أعظم مركز ثقافي يهودي في العصر الوسيط ، بالاضافة الى أنه أهم مركز لتجمع الجاليات اليهودية خاصة غرناطة ، وأليسانة التي كان أكثر سكانها من اليهود حتى قيل بأنها أصبحت دولة داخل دولة (21) مما حدى ببعضهم بارساء فكرة تكوين دولة يهودية في المغرب .

---

18) ــ محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 24 .

19) ــ نفسه ، ص 34 .

20) ــ أنظـــر : Idris, la Berberie, T I p 802

21) ــ اسماعيل العربي ، دولة بني زيري ملوك غرناطة ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 ، ص 189 .

1) العلوم الدينيـــــة :

اشتهر في هذا المجال موسى بن ميمون القرطبي ، ولد بقرطبة ثم أقام بفاس، ومنها اتجه الى مصر حيث استقر هناك الى آخر أيامه . وقد قال عنه ابن أبي أصيبعة ((عالم بسنن اليهود ، ويعد من أحبارهم)) (22) . وأهم ما كتب في الديانة اليهودية ((السراج)) وهو تفسير للمشنـــا و ((مشناطرة)) بمعنى اعادة الشريعة دون فيه شريعة موسى غير المدونة (23) ويدعى هذا الكتاب أيضا اليد القوية (24) ومن المؤلفات الاخرى التي كتبها في الديانة اليهودية . ((مقالة في التوحيد)) وهي عبارة عن رسالة تهدف الى اثبات وحدة الله (25) . وعلى الرغم من يهوديته الاصيلة نجد عدم اتفاق اليهود حوله ، فقد ذكـــر ابن العبري بأنه رأى جماعة من اليهود يلعنونه ويسمونه كافرا (26) .

ولكن ابن ميمون فرض نفسه في المجال الديني اليهودي والفلسفة الدينيـــة ، اذ يعتبره أكثرهم من ألمع الشخصيات الدينية اليهودية فـــي العصور الوسطى لذلك لقب بالناغيد أي الرئيس بمعنى أنه كان يترأس الجاليـة اليهودية بمصــــر (27) .

ومن اليهود الذين شاركوا في الدراسات الدينية الربي أبو البقاء بن يحي بن عباس المغربي ، تحدث عنه ابنه السموءل قائلا : ((يقال له الراب يهودا ابن أبون من مدينة فاس ، والراب ليس لقب باسم وتفسيره الحبر ، وكان أعلم زمانه في علوم التوراة وأقدرهم على التوسع في الانشاء والاعجاز من الارتجال العبراني ومنشوره)) (28) .

ومن أعماله الكتابية الهامة لدى اليهود ((عقيدة)) (Agida) وهي قطعة شعرية تحتوي على طقوس دينية مازالت تنشد الى اليوم في بيـــع

---

22) ـ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 583 .

23) ـ عبد القادر أحمد اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، 1969 ، ص 276 .

24) ـ أنظر : Zafrani, pédagogie juive ,p.20.

25) ـ دي لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ترجمة وتعليـــق اسماعيل البيطار ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، دون تاريخ ، ص 225 .

26) ـ غريغوريوس الملطي ، المعروف بابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت دار المسيرة ، دون تاريخ ، ص 239 .

27) ـ السموءل ، الباهر المتقدمة ، ص 5 ، وعن الترجمة الكاملة لابن ميمون في شكل رواية ، أنظر Herbert le Pornier, le médecin de Cordoue, paris Editions du Seuil, 1974.

28) ـ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 582 .

اليهـــود السافرد ييـــــن (29) .

وقد شاركت مدرسة القيروان في انتعاش الدراسات اليهودية ، ومن أهم شخصياتها نسيم بن يعقوب القيرواني الذي عاش في القرنين الرابـــع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر للميلاد . ومن أهم أعماله ((كتاب مفاتيح مغاليق التلمود)) باللغة العربية (30) .

ومن الاندلس يوسف بن يهودا بن يعقوب ، ولد ببرشلونـــة حوالي 545 هـ/1150 م وتوفي 617 هـ / 1220 م (31) . أقام بمدينـــة فاس ، معظم مؤلفاته باللغة العربية ، ألف كتاب ((رسالة الابانة في أصول الديانة)) . (32)

أما يهودا اللاوي ، أو أبو الحسن اللاوي عاش بالاندلس خلال 468 ـ 536 هـ / 1075 ـ 1141 م (33) . كتب بالعربية كتاب ((الحجـــة والدليل في نصرة الدين الذليل)) قيل بأنه حرره في مدة عشرين سنة رداً علـــى سؤال أحـــد اليهود ، ويدافع عن اليهودية ضد الفلسفة اليونانية والديانـــة المسيحية والاسلامية . وقد قسم كتابه الى خمسة أقسام (34) . وقد توضحت فـــي هذا المؤلف ثقافة الرجل ، وتمكنه في العقيدة المسيحية والاسلامية وفلسفـــة الاغريق وفلسفة ابن سينا (35) .

اللغـــة والادب :

ان مكانة اليهود كذميين لهم حقوق في المجتمع المغربي الاسلامي ساعـــدت اليهود على تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية مما ساعدهـــم على تبوأ مكانة مرموقة في المجتمع ، وسمح لهم بالارتقاء الى مستوى الثقافـــة العالمية (36) الممثلة في الثقافة الاسلامية في تلـــك الفترة التاريخيـــة .

---

(29) ـ أنظر : Zafrani, pédagogie, p.25.

(30) ـ الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 41 .

(31) ـ نفســـه ، ص 143 .

(32) ـ نفســـه ، ص 143 ، وأنظر :

(33) ـ اختلف في الفترة التي عاش فيها ، قيل أنه ولد حوالي 1086 م وتوفـــي سنة 1141 م ، راجـــع محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ص 74 .

(34) ـ الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 187 ـ 188 .

(35) ـ محمـــد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 37 .

(36) ـ أنظر : Zafrani, pédagogie, p.16.

فأهملوا لغتهم القديمة ، وعوضوها باللغة العربية لغة الحضارة في ذلك العهد .
وقد استفاد اليهود من الاحتكاك ، فاستعملوا العربية كلغة تخاطب ، وتواصل
بين الجاليات اليهودية في حوض البحر المتوسط، مما سهل عليهم التقارب ، والتفاهم ،
وهي كأداة ثقافية أثرت في اللغة العبرية نفسها فتجددت وتطورت (37) .
أما اليهود الذين عملوا في الميدان اللغوي في التأليف والتنظير
والمقارنة اللغوية فأهمهم مروان بن جناح الذي يعتبره اليهود من الاوائل الذين
كتبوا في النحو اليهودي اذ ان الرائد الحقيقي في هذا النوع من التأليف سعديا
الفيومي (38) . وكان ابن جناح متضلعا في اللغة العربية فأستحق احترام وتقدير
العلماء . والكتاب الذي اشتهر به هو ((كتاب اللمع)) وقد جاء في مقدمته
((الحمد لله الذي خلق الانسان فعلمه النطق وهداه الى الاقرار بربوبيته
والاعلان بوحديته فأوضح له سبيل الهدى واستنقذه من طريق
الردى وخص اللغة العبرية بالفضل والمزة من بين جميع اللغات فأنزل بها كتبه ال
المقدسة وأبان بها شرائعه المطهرة أحمد حمدا يبلغ رضاه ويوجب الالفة
لديه والقربة من رحمته)) (39) . فهذه الديباجة تدل على أن ابن جناح كان
متأثرا بأسلوب معاصريه من العلماء المسلمين الذين يبدأون رسائلهم ومؤلفاتهم
بنفس الاسلوب .
ويعرف المؤلف بكتابه فيقول ((كتابي هذا على جزئين الجزء
الاول نذكر فيه أبوابا علمية يتبين منها كثير من تصاريف اللغة ومجلزاتها
واستعمالاتها وأبنيتها وغير ذلك من أحوالها وسميت هذا الجزء

---

37) ـ أنظر : Zafrani, Pedagogie, p 16.

38) ـ أنظر : S. Munk "Notice sur abou'l-walid Marwan Ibn Djana'h et sur quelques autres grammairiens Hebreux du X et du XI siecle, suivi de l'introduction du Kitab Al-Luma d'Ibn Djanaâh en arabe avec une traduction française " Journal asiatique(Avril,1850)p 300.

39) ـ أنظر : Munk,Notice,J.A.(Novembre-Decembre 1850) p.353.354-

لكثرة فنونه اللمع تشبيها لابوابه باللمع من الارض وهي مواضع يكون فيها أنواع مختلفـــة من الزهر أخذ من التلميع في الثوب الذي يكون من ألوان شتى)) (40).
وعلى الرغم من تحيزه وتعصبه الى لسان قومه ، لانه يريد أن يثبت بأن العبريـــة أفضل من العربية التي نزلت بها الكتب المقدسة ، فهو قد درس العربية ، وتعمـــق فيها حيث ذكر ابن ابي أصيبعة بأنه ((كان ... يهوديا وله عناية بصناعـــة المنطـــق والتوســـع في علم لسان العرب واليهود)) (41).

وألف ابن جناح أيضا بعض الكتب اللغوية الاخرى منها : التنقيح المستلحق ، والتقريب والتسهيل ، والتنبيه والتسوية (42).

ومن العلماء اللغويين موسى بن يعقوب بن عزرا الذي ولـــــد في غرناطة بين السنوات 447 هـ و 459 هـ/ 1055 م و 1060م وسط عائلة غنية ، اذ تلقى تعليما متنوعا ، وقد كان عارفاً بالتوراة والاداب اليهودية على اختلافها وكان متضلعا في اللغة العربية والادب العربي نصوصا وتاريخا وكان شديد الاهتمام بالفلسفـــة . وحينما دخل المرابطون غرناطـــة ، بقي بها على الرغم من هجرة العديد من الاســـر اليهودية منها ، ولكن ما لبث أن تغيرت حاله ، فاعتـــزل الناس ، وأبتعد حتى عن أبنائـــه . وفي نهاية الامر غادر غرناطة سنـــة 488 هـ/1095 م نحو اسبانيا المسيحية * فظل بها مدة أربعين سنة يعيـــش حياة الوحدة والضياع والفقر الى أن توفي في العقد الرابع بعد الالف والمائـــة للميلاد (43).

وأهم أثر تركه ابن عزرا كتاب ((المحاضرة والمذاكرة)) ، وقـــد تحـــدث أحد المهتمين بالدراسات اليهودية المعاصرين عن هذا التأليف بقولـــه ((كتاب فريد من نوعه ، ولم يعرف تاريخ التأليف العربي ـ العبري (44) مثيـــلا لـــه ... وقد اهتم بالشعر العبري ، الا انه اتخذ له الثقافة العربية أساســـا لهذا التأليف ، اذ تناول الشعر والادب عامة سواء العربي أو العبري ، وكان للتاريخ فيـــه حظ كبير أيضـــا ، وهـــو غنـــي بتـــراجم الادبـــاء

---

40) ـ أنظر : IBID, p.381.

41) ـ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 498.

42) ـ أحمد شحلان ((من الادب العربي ـ العبري ، أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا وكتابه المحاضرة والمذاكرة))، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، الرباط ، جامعة محمد الخامس، العدد 10(1984) ص 64 .

*) ـ عن اسبانيا المسيحية ، أنظر : Ch.E. Dufourcq et J.Gautier Dalche, histoire 'conomique et sociale de l'Espagne chrétienne au moyen age,Paris, Armand-Colni,1976.

43) ـ شحلان ، من الادب العربي ـ العبري ، ص 67 .

44) ـ التأليف العربي ـ العبري يستعمله اليهود في دار الاسلام ، وهـــو مزيج من العربية والعبرية ، موجه أساسا الى اليهود في العصر الوسيط أنظـــر عنه بتوسع: Encyclopédie de l'Islam .T pp.316.

والكتاب، ولم يترك موضوعا من مواضيع اللغة والنحو والفلسفة والاخلاق الا واهتم بـه)) (45).

وفي مقدمة الكتاب يشرح ابن عزرا كيفية فهم اليهود لاسرار اللغة العربية ومن خلالها توصلوا الى الكشف عن مكامن العبرية وقواعدها ((ولما استفتحت العرب جزيرة الاندلس... سنة اثنتين وتسعين لدعوتهم المسماة عندهم بالهجرة تفهمت جاليتنا بها بعد مدة أغراضهم بعد لاي لسانهم وبرعت في لغتهم وتفطنت لدقة مراميهم وتمرنت في حقيقة تصاريفهم وأشرفت على ضروب أشعارهم حتى كشف الله اليهم من سر اللغة العبرانية ونحوها واللين والانقلاب والحركة والسكون والبدل والادغام وغير ذلك من الوجوه النحوية مما قام عليه برهان الحق)) (46).

وألف في نفس الموضوع يهودا بن قريش التاهرتي، وهو من المتضلعين في اللغات العربية والعبرية والارامية والبربرية والفارسية، وقد اعتبره الاستاذ عادل نويهض واضع أساس النحو التنظيمي (47). وألف قاموسا حسب الحروف الابجدية وهو من اليهود المتمسكين بيهوديتهم. ويبدو ذلك من الرسالة التي وجهها الى يهود مدينة فاس يدعوهم فيها بعدم اهمال قراءة الترغوم( ) (48) الذي يحتوي أسفار موسى والانبياء (49).

وفي هذه الرسالة الموجهة لبني ديله يشرح فيها صلة اللغة العبرية بلغات أخرى كالسريانية والعربية وحتى بالفارسية والبربرية. وقد قسم يهودا بن قريش رسالته الى ثلاثة أقسام: ففي القسم الاول عقد مقارنة بين العبرية والسريانية، وفي القسم الثاني تحدث عن كلمات المشنا والتلمود الموجودة في التوراة. وفي نهاية الرسالة ذكر التشابه الموجود بين العربية والعبرية، أما في الكلمات نفسها، أو في بداية تشكيل الحروف وفي نهايتها. وفي آخر القسم الثالث قام بعقد مقارنة وجيزة ما بين اللغات العبرية

---

45)ـ شحلان، من الادب العربي ـ العبري، ص 69، وعن محتوى الكتاب، راجع، هنري بيريز، اللغة العربية وسكان الاندلس في القرون الوسطى، الجزائر، 1959، ص 15.

46)ـ أنظر: Munk, notice, journal-Asiatique (juillet, 1850) p.29.

47)ـ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1980، ط 2، ص 61.

48)ـ الترغوم، هو الترجمة الارامية للعهد القديم، أنظر: Dictionnaire encyclopédique de la Bible, p.1803.

49)ـ شحلان، من الادب العربي ـ العبري، ص 65، أنظر: Journal-Asiatique n°79 (Septembre-Octobre, 1862) p.204-205.

والفارسيـــة والبوبيـــــــــكية (50).

وقام آخرون بكتابة دراسات أدبية ولغوية كأبي زكرياء يحي بن داودبن حيوج - الذي ألف ((الافعال دوات حروف اللين)) و ((الافعال ذوات المثلثين))، و ((التنقيط)) و ((النتف)) . وأبي ابراهيم اسحق بن برون الاندلسي الذي كتب ((الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية)) . ويهودا الحريزي ((المقامات))، وابراهيم الفاسي ((جامع الالفاظ)) (51) . ومناحم بن سروق مؤلف كتاب ((محبرت)) فـي النحو العبري (52).

أما يهوذا بن قريش أحد علماء اللغة في القرن الثالث للهجـرة/ القرن السابع الميلادي ، ولد بمدينة القيروان ، ونشأ نشأة علمية جيدة ، فأتقـن العربية ، وفي نفس الوقت برع في العبرية قال عنه مؤرخ الجيل حسن حسني عبد الوهاب ((كان يجيد العربية كأحد أبنائها اذ كانت لغة ثقافته ، فكل ما كتبه انما كان بواسطتها إلا في البعض القليل من مصنفاته ، مثلما فعل فيما كتب عن بيان المشابهة القوية الموجودة بين اللسانين العربي والعبري ، فانه كان يمزج الكتابتين للاستدلال على تقارب مفردات اللغتين ، وبحثه في هذا الغرض الهام جعلـــه في مقدمة الذين حاولوا اثبات الاشتراك الاصلي بين اللغتين)) (53).

وكتب دونـــاش شرحا لسفر التكوين (54) باللغة العربيـــة، ففي مقدمة هذا الشرح يعبر كيف أنه يريد الوصول الى نتيجة مفادها أن اللغة العبرية هي أولى اللغات ((اذا ساعدني الله وطاول أيامي سأنهي الكتاب الذي بدأتـــه لابرهن بأن اللغة العبرية هي أولى اللغات وبعدها تأتي العربية)) (55).

[illegible] ان الدراسات اللغوية اليهودية أهمها يحوم حول نقطة هامـــة بالنسبة اليهم تتمثل في التدليل على تفوق العبرية على اللغة العربية وبقيـــة اللغات الاخرى ، وهي موجهـــة أساسا الى اليهود لغرض ديني يهدف الى ابراز سبق الديانة اليهودية بمقارنتها مع الديانة الاسلامية ، ولغرض اجتماعـــي لكي يلتف اليهود حول بعضهم للمحافظة على تكتلهم انطلاقا من تراثهم ، ولابراز كنوز الثروة اليهودية الفكرية حتى لا تذوب العناصر اليهودية في المجتمع الاسلامي ، والكتابة بالعربية ما هي الا وسيلة للتبليغ الفكري لاكبر عدد من اليهود الذيـــن يفهمون جيدا اللغة العربية بحكم تواجدهم في دار الاسلام . لذلك نجد منهم/

---

50) ـ أنظر : Journal-Asiatique, n°79, (septembre-Octobre, 1862) p.205-206.

51) ـ شحلان ، من الادب العربي ـ العبري ، ص 65 ـ 66 .

52) ـ محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 27 .

53) ـ حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج1 ، ص 298 ـ 299 .

54) ـ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات ، ج 1 ، ص 300 ؛ الحفني ، الموسوعـــة النقدية، ص 26 .

55) ـ أنظـــر : Journal-Asiatique (juillet, 1850) p.20.

قد كتبوا بالعربية كضرورة ثقافية لانها وسيلة تبليغ هامة ، ولم يكتبوا بها عن طيب خاطر (56).

وفي المجال الشعري ، فقد برز عدد كبير من اليهود الذين خاضوا في غمار كل الاغراض الشعرية ، ومن بينهم اسحق ابراهيم بن سهل الاندلسي صاحب الموشحات الذي لم يتحقق الباحثون من سنة وفاته (57). ولد بمدينة اشبيلية وبها نشأ ودرس على أيدي أساتذة عصره في اللغة والادب والعلوم باللسان العربي مثل بقية يهود الاندلس (58).

ومن زملائه في الدراسة ابن سعيد المغربي الذي كتب عنه قائلا ((كان عجائب الزمان في ذكائه على صغر سنه يحفظ الابيات الكثيرة من سمعه)) (59). ولما دخل الفرنج الى اشبيلية سنة 645 هـ/ 1247 غادر الاندلس متوجها الى مدينة سبتة حيث اتصل بأبي علي الحسن ابن خلاص حاكم المدينة أثناء فترة حكم الموحدين (60). وقيل أنه أسلم وحسن اسلامه ، وهناك من أنكر عليه ذلك ولكل نفر حجته (61). وعلى ما يبدو فان اسلامه لم يكن واضحا لان سلوكه الاخلاقي لا يتماشى مع روح الايمان لديه . وان تركنا السلوك الاخلاقي جانبا لعله لا يوضح حقيقة ما تكنه نفسه . فحينما سئل عن مسألة دخوله الاسلام وقد كان السائل ابن سعيد المغربي الذي أراد ازالة شك الناس في اسلامه فأجاب :((للناس ما ظهر ولله ما ستر)) (62). فهذه الاجابة توضح دهاء الرجل ، ودبلوماسيته لانه لم يجب اجابة صريحة ومقنعة . ووجوده لدى ابن خلاص الذي خرج عن طاعة الموحدين الذين تشددوا مع اليهود لعل هذا يفسر موقف ابن سهل من الاسلام .

---

56)_ أنظر : ENCYCLOPEDIE D. L'ISLAM. T. P. 16

57)_ قيل في سنة 658 هـ/1260 م وقيل في سنة 649 هـ/1251م، أنظر، كارل بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة رضوان عبد التواب ، والسيد يعقوب بكر ، دار المعارف بمصر، 1975، ج 5 ، ص 133 .

58)_ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أسماعيل الذاعي ، الممتع السهل في ترجمة وأشعار ابن سهل ، ضمن اشعار لابن سهل لم تنشر، تحقيق محمد قويعة ، حوليات الجامعة التونسية، 19 (1980) ص 41 .

59)_ ابن سعيد ، المغرب، ج 1، ص 269 .

60)_ ثار والده على الموحدين سنة 641 هـ/ 1243 م وبايع أبا زكريا الحفصي صاحب تونس، مقدمة اشعار ابن سهل ، ص 48، الهامش 57 .

61)_ نفسه ، ص 45 ، المقري ، نفح الطيب، ج 3، ص 523 _ 525 .

62)_ الذاعي ، الممتع السهل ، ص 51 .

ومن شعر ابن سهل الذي يتغزل فيه بغلام يهودي يدعى موسى :

علقت بيدر لاملي فيه عاذل

لم يدر أن السحر للمرء جالب

فهاروت عند القبض أودع سحره

بجفنيك يا موسى ومن مصائب (63)

ومدح ابن سهل قائد سبتة أبا علي حسين بن أحمد ابن خلاص:

أمولاي الذي أحيى به في

سموم الحادثات الى مقيل

ندى البطلة من نداك بلا امراء

فان الغيث أصل للسيول (64).

توفي الشاعر اليهودي ابراهيم بن سهل غريقا في البحر في سن الاربعين . وقد كان الامير الحفصي المستنصر بالله من المعجبين به اذ حينما وصله خبر غرقه مدحه بقوله عاد الدر الى معدنه (65).

ومن شعراء اليهود مناحم بن سروق المولود بطرطوشة (66) ((وكان أحسن شعراء اليهود في عصره فقد كان تعبيره يرهك كل فصيح ، ويلجم كل شاعر)) (67). مدح حسداي بن شبروط طبيب الخليفة الاموي عبد الرحمن الثالث، غير أن المودة والصداقة لم تدم طويلا بينهما، فطارده ولي نعمته من قرطبة، ولكن الشاعر ابن سروق لم يفقد الامل فكاتبه حتى عفى عليه ، غير أن الوحشة عادت بينهما مرة ثانية فأودع هذه المرة السجن ، ولعل ذلك بسبب الانتقادات التي كان يكيلها للربانيين والتلمود ، واتهام بعض اليهود بانتمائه للقرائين .

ومن السجن ارسل الشاعر لحسداي بن شبروط قصيدة تتألف أكثر من أربعمائة فقرة باللغة العبرية يستعطفه لكسب وده والصفح عليه ،

---

63) ــ ابن سهل ، أشعار لم تنشر، ص 61 .

64) ــ نفسه ، ص 114 .

65) ــ نفسه ، ص 49، وفي رواية أخرى ((عاد الدر الى وطنه)) المقري ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 523 .

66) ــ طرطوشة : مدينة أندلسية تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر، أنظر ، ياقوت، معجم البلدان، ج 4 ، ص 30 .

67) ــ محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الاندلس، ص 24 .

ومـــن هذه القصيـــدة :

عظامي تبكي
هذه على تلك
أوصالي تئـن
بعضها على بعض
(أبا أيـــوب (63)

أما الشاعر دوناش بن ليرط المولود بمدينة فاس في الثلث الاول من القرن العاشر الميلادي ، وقد تتلمذ على سعديا الفيومي رئيس مدرسة صورا للدراسات اليهودية بالعراق . وهناك درس العربية والادب العربي . وقد أعجب دوناش باللغة العربية وأدابها فنصح اليهود في بيت شعري كتبه بالعربيـــة لكي يتعلموا العربية قال فيـــه :

فلتكن الكتب المقدسة جنتك
ولتكن الكتب العربية فردوسك (69)

ومن مدينة قرطبة دعا دوناش الشعراء اليهود أن يزنـــوا أبيات أشعارهم طبقا للبحور العربية ، وهو ما أحدث ثورة في الشعر اليهودي (70).
وقد تعرض لنقد عنيف من بعض الشعراء اليهود على ادخاله البحور العربيـــة فهذا اسحق بن قفرون تلميذ مناحم بن سروق العالم اللغوي سخر من دونـــاش في قصيدة وجهها الى حســـداي بن شروط بقولـــه :

ما هو ابن ليرط كتب باطلا
وظن أنه نجح وأصلح القول المأثور
لكنه أتلف اللسان المقدس
بوزنه العبرية بموازين أجنبية (71).

وكان ابن ليرط نفسه مجددا ، فقد تطرق في شعره الى أغراض جديدة لم تكن مطروقة من طرف الشعراء اليهود كالاخوانيات والخمريات والوصف والهجـــاء .

وفي احدى القصائد التي وجهها الى الطبيب حسداي يقول فيـــــهـــا :

---

68) ــ نفســه ، ص 25 ــ 26 .
69) ــ نفســه ، ص 27 .
70) ــ نفســه ، ص 27 .
71) ــ نفســه ، ص 30 ــ 31 .

قل يا فؤادي الحكمة
والمعرفة والادراك
أحرص على مسالك الفضائة
وعلى مجالس الادب
والبحث عن الحق
ولا تكـــن عنيـــدا
لئــــلا تخــدع
كقلــوب العاصيــن
تأن دائما في الاجابة
لئلا تكون ردودك جاهزة
بل مصهورة مختبـــرة ،
كالذهب في الفضــــة (72).

واهتم اليهود في المغرب الاسلامي بالاشعار الدينية التـــي يسمونها ((بيوطم)) ومن الذين كتبوا في هذا الشعر أسحق بن مرشوول ، مستعملا البحور العربية ومن أشهر قصائده الدينية التي يقول فيها :

الهي لا تحاسبني حسب خطاياي
ولا تكل لي حسب أعمالــــــي
اشملنــــي بفضلــك لأحيــــــا
يارب لا تعاقبني على خطايـــاي (73)

ومن شعراء ((البيوطم)) يوسف أبي ثور المتخرج من المدارس اليهودية في المشرق ، وقـــد ترجم بعض المقاطع من التلمود الى اللغـــــة العربية ، كتب ما يزيـــد على مائتيـــن من القطع الشعرية الدينيـــة . وظـــف هذا الشاعر الكثير من النصوص التلمودية وشروح العهد القديم في أشعاره ، خلافا للشعراء اليهود الاخرين الذين يقتبسون من العهد القديم أسوة بالشعراء المسلمين الذين يقتبسون من القـــرآن الكريم أكثر مما يقتبسون من الحديث النبوي الشـــريـــف (74).

---

72) ـ نفســـه ، ص 28 ـ 29 .

73) ـ نفســـه ، ص 34 ـ 35 .

74) ـ نفســـه ، ص 36 .

ومن الشعراء اليهود الاندلسيين ابراهيم بن الفخار اليهودي الذي قال عنه ابن سعيد المغربي ((وكان والذي يصفه بالتفنن في الشعر ومعرفة العلوم القديمة والمنطق وقد أبصرته في اشبيليا)) (75).

وأورد ابن سعيد بعض الابيات من شعره :

ولما دجا ليل العذار بخده

تيقنت ان الليل أخفى وأستر

وأصبح عذالي يقولون صاحب

فأخلو به جهرا ولا اتستر (76).

ومن شعراء اليهود في المائة السابعة للهجرة الياس بن مدور الطبيب وقد كانت بينه وبين زميل له من اليهود محاسدة، حاول الناس الصلح بينهما مرارا . وقد قال الياس في الطبيب الذي حدث الاختلاف معه من أجل الصدمة الواحـدة :

لا تخذ عن قما تكون مودة

ما بين مشتركين أمرا واحـدا

أنظر الى القمرين حين تشاركا

بسناهما كان التلاقي فاسـدا (77).

وشرح المقري التلمساني البيتين بقوله ((يعني أنهما معـا لما اشتركا في الضياء وجب التحاسد بينهما والفرقة : هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا ، واعتراضهما يوجب الكسوف)) (78).

والبيئة الاندلسية شاعرية ، فولدت فيها شاعرات بارزات زخرت المصادر الادبية بأخبارهن . وتعرض أحد الباحثين المعاصرين لهذا العنصر بالبحث، وسبب النهضة بقوله ((ويعود سبب ظهور هذه النهضة السدوية في البيئة الاندلسية التي زخرت رحابها بمباهج الحضارة والرقي ، فكان من البديهي أن تفني مظاهر التقدم المختلفة النفوس فتنطلق من عقالها تعب من معينها الثر ، لذلـك تحركـت النفـس الشاعـرة لتعبـر عن تجاربها المتعددة ، فتنطلق

---

75) ـ ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، ج 2، ص 23 .

76) ـ المقري ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 523 .

77) ـ ابن سعيد ، المغرب ، ج 1 ، ص 336 ، المقري ، نفح الطيب ، ج 3، ص 528 ـ 529 .

78) ـ المقري ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 529 .

الـــى القول الشعر تضفر الكلمات ياسميناً وقرنفلا)) (79).

ومن الشاعرات اللاتي ظهرن بالاندلس شاعرة يهودية اسمها قسمونـــة بنت اسماعيل ، وقد ذكرها المقري التلمساني ، غير أنه لم يقدم معلومات عن بلدها ، أو الزمن الذي عاشت فيه (80) ، فاجتهد الاستاذ الريسونـــــي لمعرفة حقيقتها . فقال بأنها عاشت في عصر الطوائف أي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، انطلاقا من أن هذا العصر تميز بازدهار الموشحات، وكانت قسمونة اليهودية وشاحـــة (81) . ولكن الدكتور الشكعة يرى خلاف ذلك فيرجــح بأنها غرناطية عاشت في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي لان المقري ذكرها من بين شعراء هذا القرن ولان غرناطة كانت مليئة باليهود وتعج بهم (82).

وكان الفضل لابيها في صقل موهبتها الشعرية لانه كان شاعرا ، فاعتنى بتأديبها ، ويروي المقري حكايتها : ((قال لها أبوها يوما ، أجيزي :

لي صاحب ذو مهجة قد قابلت

بنعمى بظلم واستحلت جرمها

وبعد مدة من التفكير قالت :

كالشمس منها البدر يقبس بنوره

أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل ، وضمها الى صدره ، وأخذ يقبل رأسها ويقول أنت والعشر كلمات أشعر مني ويقصد بالعشر وصايا التي نزلت على النبي موســـى والتي يؤمن بها اليهود)) (83).

ووصلت قسمونة الى سن الزواج ، ولم تتزوج على الرغم من جمالهـــا ، فوقفت يوما أمام المرآة ، فتحركت عاطفتها ، متأسفة على جمالها :

أرى روضة قد حان منها قطافها

ولست أرى جان يمد لها يدا

فوا أسفي يمضي الشباب مضيعا

ويبقى الذي ما أن اسميه مفردا (84).

---

79) ـ محمد المستنصر الريسوني ، الشعر النسوي في الاندلس ، تقديم عبد الله كنون ، بيروت ، منشورات دار الحياة ، 1978 ، ص 40 .

80) ـ المقري نفح الطيب ، ج 3، ص 530 .

81) ـ الريسوني ، الشعر النسوي ، ص 104 .

82) ـ مصطفى الشكعة ، الادب الاندلسي ، موضوعاته ، وفنونه ، بيروت، دار العلم للملايين ، 1979 ، ط 4، ص 234 .

83) ـ المقري ، نفح الطيب ، ج 3، ص 530 .

84) ـ المقري ، نفسه ، ص 530، الريسوني ، الشعر النسوي ، ص 104 ، الشكعة الادب الاندلسي ، ص 234 ـ 235 .

ومن شعراء اليهود في عصر الطوائف اسماعيل بن النغريلة (35) .
ولد بقرطبة ونشأ بها ودرس التلمود على يد الكاهن حنوك . نبغ في اللغتين العربية والعبرية ، هاجر الى مالقة (36) أثناء الفتنة البربرية فافتتح دكانا ، ثم أصبح كاتبا لدى أبي العباس وزير حبوس . ولما توفي أبو العباس خلفه ابنه وكان صغير السن فأصبحت شؤون الديوان الكتابة في يد اسماعيل ، فأخذ يتقرب الى باديس حتى أصبح وزيره (37) وكان ابن النغريلة يقرض الشعر بالعربية، ومن شعره العربي عن القرآن الكريم :

نقشت في الخد سطرا
من كتاب الله موزون
لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون (38).

ومن شعره بالعربية قوله :

يا غائبا عن ناظري لم يغب
عن خاطري رفقا على الصب
فماله في البعد من سلوة
وما له سول سوى القرب
صورت في قلبي فلم تبتعد
عن ناظر الفكرة بالحب
ما أوحشت طلعة من لم يزل
ينتقل من طرف الى قلب (39).

---

35) ــ وقع اختلاف كبير حول اسمه ، وقد أيد الاستاذ احسان عباس حسم هذا الاختلاف . وبعد مناقشة الاراء اعتمد على اجماع المصادر تقريبا وتمسك باسم النغريلة لان اساتذة ثقات من أمثال بروفنسال وغومس تمسكوا به . انظر، رسائل ابن حزم الاندلسي ، تحقيق، احسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1981 ، ط1 ، ج 3، ص 7 ــ 8 ولكن الاستاذ الحاردلو يرى أن هذا خطأ وحقق الاسم ابن النغدلة اعتمادا على اشتاينشنايدر ، راجع ابراهيم الحاردلو ، التوراة واليهود في فكر ابن حزم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1984، ص 163، هامش 12 .

36) ــ مالقة : مدينة اندلسية في اقليم رية تبعد عن غرناطة ثمانون ميل ، القارة الافريقية، وجزيرة الاندلس ص 293 .

37) ــ محمد بحر عبد المجيد ، اليهود ص39، 40، عباس، مقدمة رسائل ابن حزم، ج 3، ص 9 .

38) ــ ابن سعيد ، المغرب، ج 2، ص 114 ، محمد بحر عبد المجيد ، اليهود ص 43 .

39) ــ ابن سعيد ، المغرب، ج 2، ص114 ، محمد بحر عبد المجيد ،اليهود ص 45 .

وقد تغنى [illegible] بالعروبة ، فغنى أحد [illegible] قائلا :

[illegible] في [illegible] في [illegible]

[illegible] ليس غير أنها [illegible] في المشرق

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible] (90)

ومن شعر اسماعيل بن الدخيلة في الشام :

[illegible] في [illegible]

[illegible] فيما [illegible]

[illegible] الى [illegible]

[illegible] المواجهات [illegible] (91)

وقال [illegible] اليها [illegible] :

[illegible] الى [illegible] الزمرد

[illegible]

[illegible]

[illegible] زهرة [illegible]

[illegible]

[illegible] دماء [illegible] الابرياء (92) .

هذا [illegible] في [illegible] من

[illegible] للمجتمع [illegible] في

الميدان الادبي [illegible] الوزارة التي [illegible]

يمكن [illegible] .

<u>[illegible]</u>

يبدو أن [illegible] لم يهتموا كثيرا بالتاريخ [illegible] ، [illegible]

يتركوا ثروة في هذه [illegible] من الكتابات الادبية على [illegible] من [illegible] لك

[illegible] دونوا فيه [illegible] المصنفات [illegible] في [illegible]

[illegible] لم يصل الينا أو هو مجهول من [illegible]

---

(90) [illegible] ج 8 ، ص [illegible] .

(91) [illegible] نفسه ، ص [illegible] .

(92) [illegible] محمد [illegible] ، ص 43 .

ونعود الى مشكلة عدم وجود المؤلفات التاريخية التي [illegible]
دون شك قد اهتموا به [illegible] بالغا ، لان الاشارات التي [illegible]
التراجم تؤكد هذا الاهتمام .

فبينما يذكر ابن أبي أصيبعة لحسداي بن اسحق فضل [illegible]
أول من فتح لليهود [illegible] علومهم في الفقه والتاريخ بعد أن كانوا
يستفيدون في ذلك [illegible] من المدرسة اليهودية في بغداد (93) ويذكر [illegible]
المعروف عند اليهود [illegible] مطلعة على التاريخ العبراني (94) .

ومن الذين اهتموا بالتاريخ موسى بن عزرا [illegible] في كتاب
المحاضرة والمذاكرة الذي [illegible] في هذا الكتاب [illegible]
تاريخي [illegible] يتحدث عن [illegible] التي [illegible]
بقولــــه ((... وليس من تاريخ الاعيان [illegible])) [illegible]
من الموضوعات الادبية التي تحتوي مادة تاريخية [illegible] .

وجملة القول : لا يمكن أن اليهود قد أهملوا الدراسات
التاريخيـــة في العصر الوسيط الاسلامي لان هذا [illegible]
كليا تقريبا بالدراسات الدينية . وبالتالي لا [illegible]
من شروح وتفاسير [illegible] التاريخ الذي [illegible]
والحجج الاساسية [illegible] وهو [illegible]
الدينيـــة وتفوقهم على الدين الاسلامي (97) .

أما الرحلات فقد ترك اليهود [illegible] رحلة
بنيامين التطيلي المتوفي سنة [illegible] هـ/ [illegible] م والتي [illegible] (([illegible]))
أي بمعنى الرحلات [illegible] من المراجع الهامة في تاريخ اليهود [illegible]
وأحوالهم [illegible] البلاد التي كانوا يعيشون فيها [illegible]
وبلاده بالتجول في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا وايطاليا [illegible]

---

93) ـ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص [illegible] .
94) ـ [illegible] عبد الوهاب [illegible] ص [illegible]
المؤلفين [illegible] دار الغرب الاسلامي [illegible]
95) ـ [illegible] موسى ، ص 58 .
96) ـ المصدر نفســه ، ص 60
97) ـ [illegible] ، ص 100 وما بعدها .

وقبرص وسوريا وفلسطين والعراق واليمن ومصر وصقلية . كما وصف كتابه ((همساعوت)) المدن الرئيسية التي زارها ، وذكر أسماء اليهود البارزين في كل مدينة . وقد أفرد جزءا كبيرا من كتابه لوصف مدينتي روما والاسكندرية ، وأشار الى المعاملة الطيبة التي يتلقاها اليهود في البلاد الاسلامية . ودون كذلك معلومات عن البلاد التي لم يزرها ولكنه تلقى عنها معلومات مشافهة كالهند وسيلان وبولندا وروسيا (98).

وترجم الكتاب الى اللغة العربية عن الاصل العبري عزرا حداد ، وطبع الكتاب بمدينة بغداد ، وقامت بطبع هذا العمل المطبعة الشرقية سنة 1945م.

والرحالة الثاني هو ابراهيم بن يوسف الاسرائيلي الطرطوشي من أهل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وقد كان تاجرا للعبيد ، جال في جنوب المانيا سنة 335 هـ/ 965م وقابل الامبراطور أوتو ( ) في مقدبرج ( ). وترك ابراهيم رحلة مدونة تعتبر اليوم في حكم المفقود ، أمكن التعرف عليها من خلال النقول الكثيرة منها عند كل من البكري والقزويني ، ورحلته تحتوي معلومات شيقة ومسهبة عن امارات الصقالبة في أوروبا الوسطى كبلغاريا وبولندا والتشيك وامارة ناكون الابريديتي ، وأورد تفاصيل واسعة عن بعض المدن الساحلية أو القريبة من الساحل بفرنسا وهولندة وألمانيا (99). والرحالة الطرطوشي ((لم يكن تاجرا فحسب ... بل كان من المحبين لاقتناء الكتب كما كان شخصا مثقفا دقيق الملاحظة يستطيع قراءة النقود الكوفية عن نصر ابن أحمد الساماني وسمرقند النائية والتوابل التي تجلب من الهند)) (100).

وتصور ابراهيم بن عزرا رحلة أدبية بعنوان ((حي بن مقيص)) التقى فيها بشيخ يدعى حي بن مقيص وقاما برحلة معا حتى وصلا الى الفلك الاعلى الذي يعتبر أقصى مكان يمكن للبشر أن يصلوه (101).

---

98) _ محمد بحر ، اليهود في الاندلس ، ص 32 .

99) _ كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، ق 1 ، ص 190 ؛ زكرياء بن محمد ابن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، دار صادر ، 1969 ، ص 206 ، 556 ، 575 ، 590 ، 601 ، 607 ، 608 ، وأنظر :

E. Levy-Provemçal, la péninsule Ibérique, Leïden, E.J.Brill, 1938, p 206, note n°5, M.Canard, Ibrahin ibn Ya'qub et sa relation de voyage en Europe, Etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de Levy-Provemçal, Paris, 6.P.Maisonneuve et larose, 1962, T2, p 505.

جغرافية الاندلس وأوروبا ، من كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، دار الارشاد ، 1965 ، ط 1 ص 43 ، 30 ، 155 ، 170 ، 177 ، 178 ، 179 .

100) _ كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ق 1 ، ص 190 .

101) _ محمد بحر ، اليهود في الاندلس ، ص 33 .

الفلسفـــــــة :

ذكر ابن العبري ((العبرانيون لمفارزتهم باقي الامـم حرمـــوا تعلم الحكمة مقتصرين على علوم الشرائع وسير الانبياء)) (102) ، وهذا المؤرخ يعي ما يقوله لانه كان مطلعا على الفلسفة اطلاعا جيدا ، ويؤكـــد هذه الحقيقـــة اليوم مونــــك (   ) المستشرق اليهودي بقوله ((لم يوجد في كتبهـــــم أي كتب اليهود أي أثر لهذه التأملات الميتافيزقية التي نجدها لدى الهنـــود أو اليونـــان ، ولم تكن لهم فلسفة بالمعنى الذي تطلقه على هذه الكلمة)) (103).

فالفلسفة اليهودية ظهرت للوجود بصورة واضحة أثناء العصر الوسيط أي في ظل الحكم الاسلامي أي حينما شعر اليهود لاول مرة في تاريخهم بالامن والطمأنينة (104).

وأهم من اشتغل بالفلسفة في المغرب الاسلامي موسى بن ميمون الذي له معرفة جيدة بها (105) وقمة ما كتبه في هذا المجال ((دلالة الحائرين)) حيث أراد التوفيق بين اليهودية والاسلام مما أغضب اليهود ولم قبول المسلميـــن ، وأطلق اليهود على كتابه ضلال المهتدين (106).

ومن الفلاسفة اليهود ابن جبرول المعروف بأبي أيوب سليمـــان يحي المولود بمالقة وعاش في سراقسطة (107) ألف كتاب ((ينبوع الحياة)) باللغة العربية وقد ترجم الى اللاتينية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد ، والى العبرية بعد قرن . توفي صاحب الينبوع في ريعان الشباب وذلك في الثلاثين من عمره وقيل أكثر من ذلك بقليل . ويتلخص مضمون الكتاب في أن العالم من الاله والعالم الروحي والعالم . أما الانسان فيتكون من العالم الروحي والمــادي ، فجسمه من العالم المادي ، وروحه وادراكه من العالم الروحي فهو اذن عالـــم صغيـــــر . ويرجع الفضائل والرذائل الى الحواس الخمس (108).

---

102) ـ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 21 .

103) ـ الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية ، علي سامي النشار ، وعباس أحمد الشربيني ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، 1972 ، ص 4 .

104) ـ نفســــه ، ص 14 .

105) ـ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 582 .

106) ـ أحمد اليوسف ، علاقات ، ص 276 .

107) ـ سرقسطة : من أعظم المدن الاندلسية وتدعى المدينة البيضاء مبنيـــة ازاء وادي أيره وقريبة من تطيلة ، الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص 224 ، 225 .

108) ـ محمد بحر ، اليهود في الاندلس ، ص 57 ، الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 27 ، وانظـــر : Chouraqui , Histoire du Judaïsme, p 61.

أما ابراهيم بن داود الاندلسي ، وهو من أهل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي فيعد أول من حاول التصدي للفلسفة من العلماء اليهود ، كتب بالعربية ((العقيدة الرفيعة)) والفلسفة لديه لا تتعارض مع الدين ، والتوراة يحوي كل شيء (109) .

ومن الفلاسفة اليهود في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بالاندلس يحي بن يوسف بن بقودة الذي عاش في سراقسطة كابن جبرول كتب بالعربية ((كتاب الهداية الى فرائض القلوب)) وفي مقدمة الكتاب عرض الاسباب التي دعته الى تأليفه ملخصه ((وهو أن القرن الذي كان فيه نسي الحياة الباطنية ان العامة قد اكتفأوا على العبادات والطقوس مع تقليد مستبد وحركات خالية من القلب الحاضر ، وبدون تعقل فانعدم التأمل والنظر . أما عن الخواص ، فقد تحجر قلبهم بظواهر الشريعة التلمودية ونسوا أن العنصر الاساسي للدين ، ولذلك كتب هو كتابه شفاء للناس من هذه النكبات وكعقائد لهم نحو حياة روحية حقة)) (110) . ويعلق أحد الكتاب اليهود المعاصرين مؤلف ابن بقودة بقوله : ((انه يعبر فيه عن كل غموض في شخصيته وعن العمق العجيب لفكره (11) . وقيل بأن هذا الكتاب هو أول كتاب في الفلسفة اليهودية الاخلاقية)) (112) .

وكتب يهودا هاليفي أو اللاوي (1085 ـ 1143م) كتاب ((الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل)) . وقد اختار له قصة ، تتعرض لملك استدعى ثلاثة من العلماء ، الاول مسيحي والثاني مسلم والثالث يهودي وعرض كل واحد منهم عقائده عليه ، وتنتهي القصة باعتناق الملك للديانة اليهودية (113) وقد سمى بعضهم الكتاب خوازاري نسبة الى ملك الخزر . وبغض النظر عن القصة ومدلولها التاريخي ، بالنسبة لليهود فالكتاب يعتبر ثورة على الفلسفة ونقد لها (114) .

---

109) ـ الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 30 .

110) ـ النشار والشربيني ، الفكر اليهودي ، ص 25 ، وقارن محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ص 72 .

111) ـ أنظر : Chouraqui, Histoire du Judaïsme, p 62-63 .

112) ـ الحفني ، الموسوعة ، ص 34 .

113) ـ النشار والشربيني ، الفكر اليهودي ، ص 28 ـ 29 .

114) ـ الحفني ، الموسوعة ، ص 137 ، النشار والشربيني ، الفكر اليهودي ، ص 26 ـ 29 ، محمد بحر عبد المجيد ، اليهود ، ص 76 ـ 77 ، وأنظر : Chouraqui, Histoire, p 64-65.

وألف نسيم بن يعقوب، وهو من الفلاسفة اليهود الذين عاشوا بمدينة القيروان ما بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين كتاب ((مفتاح مغاليق التلمود)) باللغة العربية وفي الافتتاحية كتب نسيم ما ملخصه ((ان علم الله وقوته وحياته هي ذاته وان الله لم يفرض أي أوامر دون أن يمنح في الوقت نفسه للمؤمن القوة الضرورية لادائها)) (115). ويقول أن الهدف من التنزيل هو ازالة الشك الذي تثيره المعرفة (116).

كما ألف قيرواني آخر هو اسحق الاسرائيلي الطبيب كتابين في الفلسفة الاول ((كتاب التعاريف)) والثاني ((كتاب العناصر)) وقد كتبهما باللغة العربية ولكنهما فقدا وبقيت ترجماتهما العبرية واللاتينية وتتلخص الفلسفة لديه في التقرب من الله بمقدار ما يكون ذلك في استطاعة الانسان (117).

ومن التراجمة اليهود الذين أخذوا على عاتقهم ترجمة الكثير من الكتب العربية الى اللاتينية الفيلسوف ابن يحيا المتوفى حوالي 1136م فقد ألف ((مجلة المجلي)) و ((تأمل النفس المفروقة)) وتتعالق فلسفته من أن الله خلق الاشياء، وكان الانسان على قمتها. الذي يتميز بقدراته العقلية وارادته، وتفريقه بين الخير والشر، فان أخطأ فهو الوحيد الذي يمكنه أن يتوب والارض هي عالم الفناء. أما أرقى مراتب الانسانية فهي مرتبة الزاهدين، والعالم بما أنه كانت له بداية، فستكون له نهاية. ولقد خلق الله العالم في سبعة أيام، وتقابلها سبع مراحل حضارية. كما حدد نهاية العالم وتاريخ القيامة. وفي الاخير يقول بعدم قبول التوبة الا من المؤمنين بالتوراة، والخلود لهم وحدهم. (118).

/5/ <u>الطب:</u>

نبغ عدد كبير من اليهود في المغرب الاسلامي في المجال الطبي، ومن أشهر هؤلاء الاطباء موسى بن ميمون القرطبي الذي ألف، اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس والذي يسمى المختصرات. ومقالة في البواسير وعلاجها، ومقالة في تدبير الصحة ومقالة في السموم والتحرز من الادوية القتالة، مقالة الربو مقالة في بيان الاعراض، وشرح أسماء العقار.

---

115) ـ النشار والشربيني، الفكر اليهودي، ص 118.

116) ـ نفسه، ص 118، الحفني، الموسوعة، ص 42.

117) ـ النشار والشربيني، الفكر اليهودي، ص 122، الحفني، الموسوعة، ص 47.

118) ـ الحفني، الموسوعة، ص 29 ـ 30.

شرح في هذا الاخير اسماء العقاقير المستعملة في صناعة الطب . وفي المقدمة وضح القصد من كتابته ((... قصدي في هذا الكتاب شرح أسماء العقاقير الموجودة في أزماننا المعروفة عندنا المستعملة في صناعة الطب في هذا الكتب الموجودة لدينا)) (119) ويذكر ابن ميمون المنهج الذي اتخذه في التأليف ((وأرتب ذكر الادوية على رتبة حروف المعجم لكي أحذف التكرار مثال ذلك أن الدواء الذي له اسمان أحدهما أوله ألف والثاني أوله باء وندم ذكر اسمية في باب الالف فاني لا أعيد ذكره في باب الباء ، كل ذلك طلب الايجاز وتسهيلا للحفظ وان كان في ذلك تعب عند طلب الاسم المقصود)) (120). وقد تحدث عن مصادره بقوله ((واعتمد في شرح هذه الاسماء على كتاب ابن جلجل (121) في شرح العقار وكتاب ابي الوليد بن جناح (122) والكتاب الجامع الذي ألفه بعض المتأخرين في الاندلس وهو المسمى بالغافقي (123) وعلى ما ذكره ابن وافد (124) وابن سمجون (125) واضفت الى ذلك ما هو مشهور معلوم عند الجمهور في بلاد المغرب من غير أن أخالف في ذلك أحد من مشاهير الطب)) (126).

وامتهن اسحق بن عمران الطب في افريقية ، وهو بغدادي الاصل ، قدم الى القيروان في عهد زيادة الله الاغلبي بطلب من هذا الامير مقابل شروط وهو على ما يبدو كان له دور في وضع أسس المدرسة الطبية التي ستزدهر في المغرب الاسلامي .

وأما اعماله الطبية فهي نزهة النفيس ، كتاب في دواء المالنخوليا (127) وقد كان سباقا الى مثل هذا النوع من التأليف. وكتاب الفصد ، وكتاب النبض ، ومقالة في علل القولنج وأنواعه ، وكتاب في البول مستوحاة

---

119) ــ أبو عمران موسى بن عبيد الله الاسرائيلي القرطبي ، شرح أسماء العقار ، نشر وتصحيح ومراجعة ماكس مايرهوف ، مكتبة المثنى ببغداد ، 1940 ، ص 3 .

120) ــ نفسه ، ص 3 .

121) ــ أنظر ترجمته في عيون الانباء ، ص 493 .

122) ــ أنظر ترجمته في عيون الانباء ، ص 496 .

123) ــ أنظر ترجمته في عيون الانباء ، ص 500 .

124) ــ أنظر ترجمته في عيون الانباء ، ص 496 .

125) ــ أنظر ترجمته في عيون الانباء ، ص 500 ، 501 .

126) ــ أبو عمران موسى ، شرح أسماء العقار ، ص 3 ــ 4 .

127) ــ المالنخوليا : هو مرض الوسواس .

من الطبيبين أبو قراط وجالينوس وكتاب في الشراب ، وبياض المنى (128) وقد ضاعت كلها الا كتاب الماليخوليا التي توجد منه عدة نسخ في كل من المانيا ، وانجلترا واسبانيا . (129) .

وذكر اسحق بن عمران في مقدمة الكتاب الذي وصلنا تشخيصا لمرض الماليخوليا لكي يتعرف عليه المريض والطبيب بقوله : ((هذا كتاب مختصر في الداء المعروف بالماليخوليا وهو الوسواس السوداوي تذكرة لنفسه بما عساه أن يعتريه من النسيان عند الشيخوخة ورحمة لمن ينظر فيه من محبي الطب وأرباب الحكمة)) (130) .

ومن أطباء افريقية اليهود اسحق بن سليمان الاسرائيلي الذي نشأ بمصر، وهناك تعلم صناعة الطب وكان متخصصا في أمراض العيون . قدم الى المغرب في عهد زيادة الله الثالث .

أما مؤلفاته الطبية فهي كثيرة منها كتاب البول ، كتاب النبض كتاب الحدود والرسوم ، كتاب الترياق ، كتاب الاغذية ، كتاب الاستسقاء كتاب المدخل الى صناعة الطب (131) .

ومن بين هذه المجموعة من المؤلفات الطبية ، نال كتاب الاغذية شهرة واسعة بسبب ترجمته الى اللغة اللاتينية والعبرية . يتألف كتاب الاغذية من ثلاثة مجلدات ، خص المؤلف الجزء الاول للفاكهة ، واللحوم ، والثاني للحبوب والخلال ، والثالث للبقول والبذور . ويوضح اسحق بن سليمان أسباب الاهتمام

---

128) — ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص 473 — 479 ، أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي ، المعروف بابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة ، 1955، ص 34 — 35، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الاندلسي ، كتاب طبقات الامم ، نشر لويس شيخو اليسوعي ، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1912 ، ص 61، ابن ميلاد ، الطب العربي ، ص 32 — 33، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات، ج 1 ، ص 233 وما بعدها ، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ص 59 — 61 .

129) — ابن ميلاد ، الطب العربي ، ص 33 .

130) — نفسه ، ص 34 .

131) — ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 479 — 481 ، ابن جلجل ، طبقات الاطباء ، ص 37 ، ابن صاعد ، طبقات الامم ، ص 30 ، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج 1 ، 236 — 237، ابن ميلاد ، الطب العربي ، ص 38 — 39، محمد محفوظ، تراجم، ص 61 .

بالاغذية قصد اعطاء الابدان من الغذاء ما يصلح لها وابعاد الغذاء الغير صالح للجسم (132). وهو ما يفسر تطور علوم الطب في افريقية . فالغذاء اساسي لجسم الانسان فاهتم به الاطباء والناس في العهد الاغلبي اهتماما بالغا، مثلما تهتم الشعوب في الوقت الحاضر بالغذاء ونوعيته .

وألف الطبيب دوناش بن تميم – نشأ في مدينة القيروان – كتاب ((التلخيص في الادوية)) وقد نقل عنه ابن البيطار – المولود بمالقة والمتوفى في دمشق سنة 646 هـ/1248م – في كتابه ((الجامع لمفردات الادوية والاغذية)) لشهرته ودقته . وفي نهاية كتاب التلخيص أفرد دوناش بيان للاوزان والمكاييل المستعملة في صناعة الطب . وقد خدم دوناش أمراء بني عبيد قبل ارتحالهم الى مصر (133).

ومن أطباء الاندلس يحي بن اسحق الذي استوزره عبد الرحمن الناصر ، الذي ذكر له ابن أبي أصيبعة كتابا في الطب دون اشارة الى عنوانه والمحتوى الذي تضمنه (134). ولعل هذا المؤلف لم ينتشر انتشارا واسعا لانه رسالة صغيرة في الطب.

وصنف مروان بن جناح في الطب ((كتاب التلخيص)) أشار فيه الى الادوية، وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الاوزان والمكاييل (135)، وهو من خلال وصف ابن ابي أصيبعة يدخل في فن الصيدلة التي تهتم بصناعة الادوية .

وكتب أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي مجموعة من الكتب الطبية منها ((الشرح المأموني)) الذي ألف بطلب من أبي عبد الله محمد ابن نور الدولة أبي شجاع الامري المعروف بالمأمون وزير الامر بأحكام الله الفاطمي ، وهو شرح الكتاب الايمان لا بقراط (136) وشرح المقالة الاولى من كتاب الفصول لا بقراط، ودون تهذيب لشرح علي بن رضوان لكتاب جالينوس الى اغلوقن (137).

---

132) – ابن ميلاد ، الطب العربي ، ص 39 – 40، وعن محتوى بعض كتبه الاخرى راجع نفس المرجع ص 42 – 45 .

133) – حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج 1، ص 297 – 298، ابن ميلاد ، الطب العربي ، ص 47 .

134) – ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص 489 .

135) – نفسه ، ص 493.

136) – نفسه ، ص 500 .

137) – نفسه ، ص 501 قال عنه ابن بسام ((... يوسف بن حسداي بالاندلس من بيت شرف اليهود)). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، المجلد الاول ، القسم الثالث، ص 457 .

أما ابن بكلارش الذي خدم بصناعته الطبية أمراء بني هود (138) في الاندلس فقد ألف كتاب المجدولة (139) في الادوية المفردة ، وهو كما قال ابن أبي أصيبعة ((من أكابر علماء الاندلس في صناعة الطب ، وله خبرة بالادوية المفردة)) (140) ، وأهدى ابن بكلارش كتابه ((المجدولة)) الى المستعين بالله أبي جعفر أحمد بن المؤتمن بالله بن هود .

ومن الاطباء اليهود الذين هاجروا من المغرب الى المشرق يوسف بن سمعون الفاسي الذي برع في صناعة الطب والحكمة والعلوم الرياضية ، فاستقر بحلب بعد أن تنقل في أقطار كثيرة ، ومن مؤلفاته شرح الفصول لابقراط وترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة (141) .

الرياضيات والعلوم :

اهتم اليهود في المغرب الاسلامي بهذه العلوم ، وألفوا فيها العديد من المصنفات ومنها كتاب في الحساب الهندي وهو معروف بحساب الغبار (142) ألفه دوناش بن تميم القيرواني ويعتبر من أقدم ما ألف في هذا الموضوع . كما ألف كتابا آخر في الفلك وحركة الكواكب وجهه الى صديقه [illegible] يوسف حسداي طبيب الحكم بقرطبة . وصنف أيضا كتابا آخر في علم الفلك أهداه الى مخدومه المنصور بالله بن القائم الفاطمي (143) .

وأما أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي فلا نعرف تأليفه في الرياضيات والعلوم التي برع فيها فابن أبي أصيبعة قال عنه ((برع في علم العدد والهندسة وعلوم النجوم)) (144) دون أن يذكر له مؤلفات .

---

138) ـ عن ملوك الاندلس [illegible] ابن الخطيب ، كتاب أعمال الاعلام ص 170 ـ 176 ، عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 274 ـ 285 .

139) ـ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 501 .

140) ـ نفسه ، ص 501 ، [illegible] .

141) ـ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 696 ، حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ص 361 ـ 362 .

142) ـ الحساب الغباري ، وهو الحساب الذي يحتاج في استعماله الى القلم والورق ، انظر قدري حافظ طوقان ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، 1963 ، ص 52 .

143) ـ حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج 1 ، ص 292 ـ 300 .

144) ـ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ص 4[illegible] .

ووضع يوسف بن سمعون الفاسي في علم الفلك كتاب ((اصلاح هيئة ابن افلح)) وهو على ما يبدو من عنوانه انتقاد لكتاب ابن الافلح الاندلسي (145) الذي انتقد بدوره نظريات بطليموس في كتابه الموسوم ((كتاب الهيئة في اصلاح المجسطي)) (146).

ويضاف الى هؤلاء السموأل المغربي الذي اشتغل بالرياضيات وله من الكتب في هذا الميدان رسالة في مسائل حسابية وجبر ومقابلة ، كتاب القوافي في الحساب الهندي ، كتاب اعجاز المهندسين ، كتاب المثلث القائم الزاوية ، كتاب في المياه ، كتاب المنير ، والمنير في مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها ، وكتاب الباهر في الجبر (147).

في مقدمة كتابه ((الباهر)) يقول السموأل ((هذا الكتاب الذي جمعنا فيه أصول صناعة الجبر والمقابلة ، وبرهنا منها على ما لم نجد أحدا برهن عليه ، وكملنا بما أودعناه من الاعمال المبتكرة والاشكال المبتدعة ما كان في أيدي الناس من هذه الصناعة ، وعللنا فيه ما زعم فيثاغورس أنه أدركه بطريق الوحي ، وجئنا به صفوا منتزعا من الشبهات والشوائب)) (148).

والسموأل المغربي اعتنق الاسلام وحسن اسلامه ، مما أثار حفيظة والده فكتب شعرا يتأسف فيه عن ارتداد ابنه عن اليهودية تقرأ الى اليوم في بيع اليهود . ولم يكتف السموأل بالدخول في الاسلام ، بل كتب في معايب اليهود ، وكذب دعاويهم وكشف اباطيلهم في كتاب سماه ((بذل المجهود في افحام اليهود)).

---

145) ــ و جابر الافلح ولد في مدينة اشبيلية بالاندلس في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد وتوفي في قرطبة في منتصف القرن الثاني عشر ، الف تسعة كتب في الفلك بحث في أولها في المثلثات الكروية وقد ترجمت هذه الكتب الى اللغة اللاتينية قام بها ((جيرارد أوف كريمونا)) ، وعلقت دائرة المعارف البريطانية على هذه الكتب بقولها :((ان لهذه الكتب مقاما كبيرا في تاريخ المثلثات ولجابر فيها بحوث مبتكرة لم يسبق اليها)) . واستنبط جابر بن الافلح معادلة سميت بنظرية جابر تستعمل في حل المثلثات الكروية القائمة الزاوية مضيفا بذلك معادلة الى الاربع المنسوبة لبطليموس ، ونسب الى جابر اختراع بعض الالات الفلكية التي استعملها الطوسي في مرصده ، أنظر ، طوقان تراث العرب العلمي ، ص 356 ــ 357 .

146) ــ طوقان ، تراث العرب ، ص 357 ، حركات ، المغرب ، ج 1 ، ص 361 .

147) ــ ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 472 ، طوقان ، تراث العرب ، ص 371 ــ 372 ، الزركشي ، الاعلام ، ج 3 ، ص 140 .

148) ــ السموأل ، الباهر في الجبر ، ص 9 .

التأثير الاسلامي في الثقافة اليهودية :

يعترف أحد الباحثين المعاصرين بأن انتشار الاسلام جاء بعهد جديد لليهود (149) الذين عانوا من الاضطهاد والتشتت، والممارسات الغير انسانية في ظل الانظمة التي سبقت ظهور الدين الاسلامي ، الذي جاء للانسانية جمعاء لا يفرق بين العربي والاعجمي والابيض والاسود والفقير والغني ، لان رسالته تتمثل في رفع الظلم ، والضيم ، والقضاء على جمود الديانات الوثنية .

وكنتيجة منطقية لانتشار الدين الاسلامي ، أصبحت الثقافة الاسلامية ثقافة عالمية فكانت فرصة لليهود للاحتكاك بها ، والنهل منها لرفع مستوى ثقافتهم، اذ لا نجد أثرا يهوديا مكتوبا الا ويحتوي على عمق فكري اسلامي استمد منابعه من التراث الفكري الاسلامي .

فالدراسات الادبية اليهودية في العصور الوسطى تأثرت بما كان لدى المسلمين من أثار في هذا الميدان . فقد اتخذ ابن عزرا مؤلف كتاب ((المحاضرة والمذاكرة)) الثقافة الاسلامية أساسا لتأليفه (150). ووضع من بين أهدافه عند تأليفه لهذه الموسوعة الادبية ((البرهنة على أن الادب العبري أدب غني ، وأن اللغة العبرية قادرة على الاتيان بما أتت به العربية وان كانت مقلدة لها)) (151) . فهو يعترف بتقدم العربية ، ومجالاتها الواسعة ، لذلك فهو يطمح لكي ترقى اللغة العبرية الى مستواها .

وفي الشعر فان تأثر يوسف بن أبي ثور بالشعراء العرب المسلمين واضح حينما يقتبس من التلمود وشروح العهد القديم عكس الشعراء اليهود القدامى الذين قلما يقتبسون من التلمود ، وذلك أسوة بالشعراء المسلمين الذين اقتبسوا من القرآن الكريم أكثر من اقتباسهم من الحديث النبوي الشريف (152) .

واذا كان الشاعر اسماعيل بن النغريلة قد تناول موضوعات مختلفة ، لم تكن معروفة لدى الشعراء اليهود . فالفضل يعود للشعر العربي الذي اقتبس منه الشعر القصصي ، والخمريات والاخوانيات ، والغزل ووصف المعارك ، ووصف الطبيعة والرثاء (153) .

---

149) ـ أنظر : Chouraqui, Histoire du Judaisme, p 53.

150) ـ شحلان ، من الادب العربي العبري ، ص 69 .

151) ـ نفسه ، ص 71 .

152) ـ محمد بحر عبد المجيد ، ص 45 .

153) ـ نفسه ، ص 57 .

ويبدو تأثر ابن جبيرول بالثقافة العربية الاسلامية في قصيدة طويلة تناول فيها النحو العبري على غرار ألفية ابن مالك ، وزعم انه استوفى القواعد العبرية من قبل (155) . ومن المعروف أن ابن جبيرول من واضعي أسس النحو العبري استنادا لمصادر الفيروزابادي .

ودخلت اللغة العبرية نوعا جديدا من فنون الادب اذ أدخل سليمان بن صقبل المقامة ، هذا الفن الذي أبدع فيه العرب منذ بديع الزمان الهمذاني والحريري فان كان الراوي لدى الهمذاني أبي عيسى بن هشام وعند الحريري الحارث بن همام فراوية مقامات ابن صقبل هو أشر بن يهودا ، واتبع أثره مؤلفون كثيرون في المقامة من اليهود عدد من الادباء على رأسهم يهودا الحريزي وهو سليمان الحريزي (156) .

ويأتي التأثير العجيب للأدب العربي في الشعراء اليهود ، ويكفي أن أسماءهم ... وتأثر بهم لدرجة ان قد تبنى الشعراء اليهود للأفكار والصور العربية ، وقد أحدثت دعوتهم هذه ثورة في شكل الشعر العبري (156) على الرغم من تذمر بعض الادباء لهذه الدعوة وسخطوا عليه ، وتذكروا عليه الانتقاد . غير أن هذا الرفض والاعتراض لم يدم طويلا ، فقبل اليهود هذا الشكل الجديد ، واتفقوا أنه مع المحافظة على يهوديتهم وكما قال أحدهم : و تشبيه اليهودي يظل يهوديا ولو ارتكب خطيئته أي أنه ولو لم يكتب باليهودية يظل يهوديا في تفكيره (157) .

ويلخص أ . ولفنسون اتصال الأدب العبري في العصر الوسيط بقوله : ((على أن الأدب الاسرائيلي في القرون الوسطى قد انتعش انتعاشا عظيما ونهض نهضة قوية واتجه اتجاها جديدا في ظل الحكم الاسلامي بالاندلس ومصر والعراق لقد أخذ اليهود في تلك العهود يقلدون العرب في نظم الشعر فاقتبسوا البحور العربية وصاغوها في قالب عبري ووزن عبري ثم أخذ الشعراء ينشدون المقاطيع والقصائد حتى أثريت الادبية بهذا النوع من الشعر الجديد ونبغ فيه كثير من اليهود)) (158) .

---

154) ــ نفسه ، ص 57 .

155) ــ نفسه ، ص 31 .

156) ــ نفسه ، ص 27 .

157) ــ العدني ، الموسوعة النقدية ، ص 8 .

158) ــ أ . ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، بيروت ، دار القلم ، 1980 ، ط 1 ، ص 98 .

أما في البحث الفلسفي ، فمسألة تأثير الفكر الاسلامي في الفلسفة اليهودية تتوضح أكثر، لقد سبق وأن عرفنا أن اليهود لم يهتموا بالفلسفة ولم تكن لهم فلسفة بمعنى الكلمة كما قال مونك أحد المستشرقين اليهود . فظهور الحكمة لديهم، وانتشارها كان نتيجة تقليدهم للمسلمين والتأثر بهم .

في المشرق كانت المدارس اليهودية تلمودية (159) كما كانت مدرسة صورا يسيطر عليها الربانيون (160) غير أن الفكر المعتزلي نفذ الى المدرسة الاخيرة فأنشأ عنان بن داود (161) فريقا جديدا مقابلا للربانيين والمتمثل في فرقة القرائين (162) ليعلن الثورة على القرائين وعلى سلطاتهم الدينية، ونقض القوانين التقليدية، داعيا الى استخدام العقل ، ومبدأ البحث الحر (163) . ونتيجة لذلك ظهرت الفرق الشبيهة بفرق المتكلمين في الاسلام ((أولت بعضها النصوص الدينية، رغبة منها في التوفيق بين معاني النصوص وحقائق العلم ، كما فعلت المعتزلة، وتشبثت بعضها بالنص شأن أهل السنة،

---

159) — التلموديون : وهم الذين يضفون القداسة على التلمود اذ يعتبرونه أعلى منزلة من التوراة . وهم شراح التلمود ومفسروه من الفقهاء والعلماء . وتعتمد تفاسيرهم وتأويلاتهم على كشف المعنى الباطني لذلك يدعونهم باطنية اليهود أو القبانيون . ومن هؤلاء نسيم بن يعقوب القيرواني ، أنظر: الحفني ، الموسوعة النقدية، ص 0 .

160) — الربانيون : أكبر فرق اليهود يقولون بأقوال الاحبار اليهود ، وكتابهم التلمود : يقولون بأن الشريعة غير المنزلة وهو بالنسبة اليهم أعلى منزلة من التوراة، أنظر، الحفني ، الموسوعة النقدية، ص 107 .

161) — عنان بن داود : أحد علماء اليهود أسس فرقة العنانية أو الربانيين في مدينة بغداد ، ويسميه الشهرستاني ((رأس الجالوت)) — في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد ، في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، أنظر، علي عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود ،ص 94 .

162) — القراءون : وهم المتمسكون بالتوراة مفردها قراء وهو الداعية الديني لانهم يعملون على الدعوة للتوراة دون التلمود . ولقد قيل أن ظهورها واكب ظهور المسيح ، وأنهم آمنوا بالمسيح خلافا لسائر اليهود . ويقول الربانيون بأن ظهور القرائين كان نتيجة تأثرهم بتعاليم القرآن الكريم والمتكلمين المسلمين ويعتبرونهم معتزلة اليهود ، ومن أقطاب القرائين البارزين هارون بن اليسع مؤلف كتاب ((جنة عدن)) ويطلقون عليه اسم مبدعي القرائين نسبة الى موسى بن ميمون أعظم فلاسفة اليهود . أنظر ، الحفني ، الموسوعة النقدية، ص 172 — 173 .

163) — أنظر ، النشار، الفكر اليهودي ، ص 17 .

قد افصت عنه وأخذت بمدلوله الحرفي)) (164).

ان الشهرستاني يوضح اختلاف الفرق اليهودية في مسألة القدر، ويقارنهم بالفرق الاسلامية مما يبين مدى التأثير القوي للفكر الاسلامي على الفلسفة اليهودية وفرقهم الدينية بقوله ((وأما القول بالقدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الاسلام . فالربانيون كالمعتزلة فينا ، والقراؤون كالمجبرة والمشبهة)) (165). وأهرون بن ايليا أحد المنتمين الى فرقة القرائين يعترف بتأثير المعتزلة على قسم كبير منهم حينما يقول ((ان القرائين وقسما كبيرا من الربانيين تابعوا مذاهب المعتزلة)) (166).

وحينما تطورت الدراسات اليهودية في المغرب، تحول مركزها من المشرق الى المغرب، وفيه أيضا نجد أن الفلاسفة اليهود قد تأثروا بالفكر السائد هناك، واقتبسوا ، وقلدوا فلاسفة الاندلس، ومن ثم لا نرى فيلسوفا يهوديا الا وهو ظل لآخر مسلم . فابن جبرول أول من حمل لواء الفلسفة اليهودية في المغرب الاسلامي قد تأثر بالفلسفة الاسلامية، مما جعل اليهود يعتقدون بأنه مسلم أو مسيحي (167) الى أن كشف حقيقته المستشرق اليهودي مونك (168)، قد كان تلميذا للفيلسوف الصوفي الاندلسي ابن مسرة (169) الذي درس مذهب الاعتزال عن أبيه ، وقيل أنه تأثر أيضا برسائل اخوان الصفا (170).

أما موسى بن ميمون صاحب ((دلالة الحائرين)) فقد عالج مسألة العقل والدين وهي مسألة عولجت من طرف الكثير من الفلاسفة المسلمين كابن رشد * وابن سينا وابن باجة (171). و ((قد كان اليهود أول من اهتم بفلسفة ابن رشد وترجموا معظم كتبه الى العبرية واعتبره فلاسفتهم أستاذا لهم، وتمكنوا من نظرياته ، مما يبيح القول أن فلسفتهم كانت رشدية)) (172).

---

164)ـ كمال اليازجي ، معالم الفكر العربي ، بيروت، دار العلم للملايين، 1979، ط 6، ص 342.

165)ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1975 ط 2، م 1، ص 212.

166)ـ النشار والشربيني ، الفكر اليهودي ، ص 10 .

167)ـ اليازجي ، معالم الفكر العربي ، ص 343.

168)ـ محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 56، النشار والشربيني ، الفكر اليهودي ، ص 129 ، هامش رقم 1 ، الحفني ، الموسوعة النقدية، ص 27، وأنظر:

169)ـ النشار والشربيني ، الفكر اليهودي ، ص 25 .

170)ـ الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 5 .

*)ـ راجع أبو الوليد بن رشد ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، دراسة وتحقيق محمد عمارة بيروت، الموسسة الوطنية للدراسات والنشر، 1981، ط 2.

171)ـ أحمد أمين ، ظهر الاسلام، بيروت، دار الكتاب العربي ، دون تاريخ ، ط5، ج 3، ص 259 .

172)ـ محمد زنيبر ((ابن رشد والرشدية في اطارهما التاريخي)) أعمال ندوة ابن رشد ومدرسته في الغرب الاسلامي ، بيروت، الموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981 ، ط 1، ص 44، للتوسع راجع ارنست رينان، ابن رشد والرشدية ترجمة عادل زعيتر القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1975 .

ومن تأثر بابن رشد ، ابن جبرول ، وموسى بن ميمون . ولفرط اهتمامهم بفيلسوف قرطبة وشغفهم به فانه نادرا ما تجد مخطوطة يهودية لارسطو من دون شرح لابن رشد عليها ((173)) .

وقد استعان الفيلسوف اليهودي يهودا بن ليفي في بناء وتنسيق مبادئه واحكام بيناته بتراث موسى الاشعري والامام ابي حامد الغزالي (174) .

ومن خلال هذه الامثلة في صورتها المبسطة — من دون الخوض في مسائل فلسفية تخرج عن نطاق البحث — يمكن الاستنتاج بأن الفلسفة اليهودية انما هي وليدة الفكر الاسلامي ، ولولاه لما عرف اليهود فلسفة بمعنى الكلمة ولبقي فكرهم قاصرا على خوض غمارها .

3) الجدل الثقافي بين اليهود والمسلمين :

حافظ اليهود على دين أجدادهم مع ميلهم الى الثقافة العربية في الاندلس (175) ، بل وفي ربوع المغرب الاسلامي بصورة عامة ((وكان اليهود يؤثرون الكتابة باللغة العربية لانها كانت تسعفهم في مسائل الدين والفلسفة ، ولعجز كامن في اللغة العبرية يستحيل معه استخدامها كوعاء حضاري)) (176) .
وقد أثار استعمال اليهود للعربية أحد مفكريهم الاندلسيين وهو ابن جبرول فلام أبناء دينه على استعمالهم للعربية (177) على الرغم من اجادته لها وسيطرته على مغاليقها .

ولكن هذه الاجادة ساعدتهم على استعمالها في الجدل المثير الذي ظهر بينهم وبين المسلمين في المغرب الاسلامي وفي الشرق على السواء . ومن خلال هذا الصراع الذي ظهر في الاندلس — على أساس أنها أصبحت مركزا للدراسات اليهودية — وبالتالي جمعت خيرة المثقفين اليهود ، وتبوئهم لمراكز حساسة في أهم الانظمة السياسية ((لذلك لم تكن العداوة بين علماء اليهود والفقهاء من المسلمين وقفا على النزاع السياسي بل تعدته الى خصومة تمس الاديان)) (178) .

---

173) — أوليري ، الفكر العربي ، ص 226 .
174) — اليازجي ، معالم الفكر العربي ، ص 143 .
175) — بيريس ، اللغة العربية ، ص 16 .
176) — الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 7 .
177) — بيريس ، اللغة العربية ، ص 15 .
178) — الحاردلو ، التوراة واليهود ، ص 49 .

وأبرز هذه الخصومة تلك المناظرات التي دارت بين ابن حزم الاندلسي وال ابن النغريلة وغيرهم .

ولم يقتصر هذا الجدل الديني على اليهود والمسلمين ، بل شارك فيه النصارى (179)، ولكن على ما يبدو أن الصراع اليهودي ـ الاسلامي كان أشد عنفا وضراوة واثارة لتعمق العلماء اليهود في الثقافة الاسلامية ، وامتلاكهم لاداة المناقشة بحكم سيطرتهم على ناصية اللغة العربية .

ولكن قبل التعرض لاهم خصومة وقعت في المغرب ، لنتحدث عن المناظرات الاقل أهمية لانها توضح انتشار الصراع ومظاهره حتى على المستوى العام بين اليهود والمسلمين ، الذي أخذ طابعا شبه شمولي بين أنصار الديانتين .

ومن المناقشات الطريفة بين اليهود والمسلمين ما رواه جمال الدين وهو أحد تلاميذ ابن رشد ، وقد كان له صديق حميم يدعى يهوذا قال : ((ففي ذات يوم قلت له اذا كانت النفس تحيا بعد مفارقة الجسد وتبقى قادرة على معرفة الاشياء الخارجية ، فعدني وعدا صادقا أنك اذا مت قبلي تخبرني بما هنالك ؛ وأعدك اني اذا مت قبلك أفعل ذلك ، فوعدني بهذا ، ثم أنه مات ، ومرت بضع سنوات ولم يظهر لي . قال جمال الدين : ولكن في ليلة رأيته في الحلم ، فقلت له أيها الطبيب أما وعدتني بأن تأتيني بعد الموت وتطلعني على ما جرى لك ؟ فضحك وأدار عني وجهه ، فقلت له لا أتركك حتى تخبرني ، فقال : ان العام عاد الى العام والخاص داخل في الخاص . ففهمت منه ما يريد أن يقول ، وهو أن النفس التي جوهر عام قد عادت الى الجوهر العام والجسد الذي هو عنصر خاص ، قد عاد الى الارض التي هي مستقر العنصر الخاص ثم انتبهت وأنا أعجب بلطف جوابه)) (180) . ان هذه الطرفة كما رأينا لم تخرج عن المناقشة الفلسفية البحتة حول مسألة النفس وقد تحدث بين اليهود أنفسهم أو بين المسلمين .

أما الجدل الديني فقد أخذ صورة عنيفة تصل الى حد التنابز بالالقاب والشتم . ومن هذا الجدل الديني ما وقع بين ابن حزم الاندلسي وابن النغريلة اليهودي فهذا الاخير كان يتمتع بمركز ممتاز لدى اليهود ،

---

179) ـ ان الجدل بين المسيحيين والمسلمين لم يتعد الخصومة الدينية خلافا لما وقع بين اليهود والمسلمين في المغرب الاسلامي ، عن هذه المجادلات راجع ، أحمد عبد الصمد الخزرجي ، مقامع الصلبان ، تحقيق وتقديم عبد المجيد شرفي ، تونس ، نشر مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية ، الجامعة التونسية ، 1975 ، عبد الله الترجمان ، تحفة الاديب في الرد على أهل الصليب ، تحقيق وتقديم الطاهر المعموري ، تونس ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1983 ، عبد المجيد الشرفي ، الفكر الاسلامي في الرد على النصارى ، الى نهاية القرن الرابع / العاشر ، تونس الدار التونسية للنشر ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، وأنظر :
Ali Bouamama, La Littérature polémique musulmane contre le christianisme depuis ses origines jusqu'au XIII°siècle, Alger, ENAL, 1988.

180) ـ أحمد أمين ، ظهر الاسلام ، ج 3 ، ص 258 .

لعلمه ، وجاهه ، وسلطانه ، اذ كان وزيرا في دولة بني زيري بغرناطة (131). كتب ابن النغريلة رسالة في الرد على ابن حزم وكتابه ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) فلقبه الاوربيون بموسس علم الاديان المقارن (132). وقد تصدى من بين ما تصدى في هذه الموسوعة الدينية للديانة اليهودية، وناقش التوراة مناقشة واسعة ليظهر ما فيها من تناقضات وتحريف وتبديل معتمدا في جدله على النص والعقل (133) في الفصل الذي أفرده لهذه المسألة ((فصل في مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراة)) وهي قضايا أثبتها العلماء في الوقت الحاضر (134). ورسالة ابن النغريلة للرد على ابن حزم الهدف منها اظهار التناقض في القرآن الكريم، الشيء الذي حصل ما حسب الملل للرد عليه بكل شدة وحرارة وعنف لانه يفصل ذلك بروح المبشر الذي يقاتل في سبيل دعوته (135). فاذا لم تصل الينا رسالة ابن النغريلة فقد حفظ التاريخ رسالة ابن حزم التي استهلها بالشكوى من الوضعية التي آلت اليها دولة الاسلام في الاندلس وتهافتها على الحياة فيقول ((اللهم انا نشكو اليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن اقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم)) (136). وهذه الوضعية قد ساعدت أهل الكفر والشرك لاطلاق ألسنتهم. وبعد ما تحدث صاحبه الذي ((تقلى قلبه للعداوة للاسلام وأهله وذوت كبده ببغضه الرسول صلى الله عليه وسلم)) (137) ثم ذكر ما افترى عليه ابن النغريلة من الايات القرآنية ورد عليه بأدلة من القرآن والحديث والتوراة نفسها لتدعيم رده، وكل معارفه في الادب وغيرها.

---

131) — عن هذه الدولة أنظر، اسماعيل العربي ، دولة بني زيري ملوك غرناطة؛ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982 .

132) — عبد الكريم خليفة ، ابن حزم الاندلسي ، حياته وأدبه ، بيروت، المكتب الاسلامي ، دون تاريخ ، ص 134 — 135 ؛

133) — نفسه ، ص 135 ، الجارد لو، التوراة واليهود ، ص 27 — 29 .

134) — الجارد لو ، التوراة واليهود ، ص

135) — نفسه ، ص 57

136) — رسائل ابن حزم ، ج 3 ، ص 41 .

137) — نفسه ، ص 42 .

وبعد أن انتهى من عرض اعتراضات اليهودي والردود عليها قال ((ما هنا انتهى كل ما ظن المائق أنه اعترض به قد بان فيه كله زوره وجهله واغتراره)) (188) ثم ينتقل الى القسم الثاني الذي يتحدث فيه عن قبائح اليهود كالكذب وما جاء في التوراة من رمي بعض أنبيائهم بالزنا (189) كما شرح الكثير من المسائل الموجودة في كتاب اليهود المقدس مفندا وناقدا مما يدل على أنه مطلع على ما جاء في الديانة اليهودية .

وكان من دواعي لهجة ابن حزم الحادة في نقده ، سيطرة اليهود عامة وحضوتهم عند حكام المسلمين في الاندلس في تلك الفترة (190) انه حز في نفسه تسلل اليهود الى المراكز الرئيسية في مجال السياسة لان النزاع بين اليهود والمسلمين كان نزاعا سياسيا ((فلم يقبل من اليهود الاسلام سوى أفراد قليلين لم يكن للمسلمين كبير رجاء في دخول اليهود الاسلام . فكانت مناقضـــة المسلمين لليهود صورة من رفض للنفوذ السياسي الذي خفـــي به هؤلاء اليهود على اختلافهم . وكان رفض اليهود للمسلمين صورة من نفوره‍ـــم من حكم الاســـلام)) (191) .

ولعل رسالة ابن حزم في الرد على ابن النغريلة اليهودي وشيوعها بين الناس كانت من بين العوامل التي أدت الى تحريك الهمـــم ضد اليهودي ، وما صيحـــة الشاعر أبي اسحاق الالبيري ما هي الا تتويجـــا منطقيا وطبيعيا لذلك التفاعل الذي كان يحرك مشاعر المسلمين في قرطبة (192) ضــــد اليهود وتسلطهم .

وقد كتب السموأل المغربي رسالة سماها ((بذل المجهود في افحام اليهود)) وهي بدورها ضمن الجدل والمناقشات والمناظرات بين اليهود والمسلمين . شرح المؤلف سبب تأليف الكتاب بقوله ((والغرض الاقصى من انشاء هذه الكلمة الرد على أهل اللجاج والعناد ، وأن يظهر ما يخور كلمتهم من الفساد

---

188)ـ نفســـه ، ص 56 .

189)ـ نفســـه ، ص 57 .

190)ـ الحارد لو ، التوراة واليهود ، ص 109 .

191)ـ نفســـه ، ص 51 .

192)ـ رسائل ابن حزم ، المقدمة، ص 19 .

على الائمة — ضوعف ثوابهم — قد انتدبوا لذلك في مناظراتهم اليهود أنواع المسالك، الا أن أكثر ما نوظروا به لا يكادون يفهمونه أو يلتزمونه وقد جعل الله في افحامهم طريقا مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم واعمالهم كتاب الله عند تبديلهم، ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم ...)) (193).

وانتهج السموأل المنهج الذي سار عليه ابن حزم نفسه .

مناقشا اياهم ما جاء في كتاباتهم بصورة جدلية مبرزا التناقض الموجود في كتبهم داحضا حججهم وأقوالهم وآراؤهم بالادلة العقلية .

ومن الحجج العقلية التي اعتمد عليها في مسألة تكذيب اليهود لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ((اذا سألنا يهوديا عن موسى عليه السلام، وهل رآه وعاين معجزاته ؟ فهو بالضرورة يقر بأنه لم يشاهد شيئا من ذلك عيانا . فنقول له بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه ؟ فان قال : ان التواتر قد حقق ذلك، وشهادات الامم بصحته دليل ثابت في العقل كما ثبت عقلا وجود بلاد وأنها لم نشاهدها وانما تحققنا وجودها بتواتر الانباء والاخبار، قلنا ان هذا التواتر موجود لمحمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام كما هو موجود لموسى عليه السلام فيلزمك التصديق بهما)) (194).

واعتمد على الادلة النقلية من الكتاب المقدس عارضا ما جاء فيه باللغة العبرية مع ترجمته الى العربية، ثم يناقش الفكرة أو الفقرة مبينا وجه التناقض في الكتاب ليصل في النهاية الى قضية تحريف اليهود لكتابهم مثلما فعل ابن حزم الاندلسي .

ويبدو أن هذا الكتاب قد أثار ضجة كبرى في أوساط اليهود والمسلمين على السواء، ويظهر ذلك من خلال المناقشة التي أثارها هذا التأليف، اذ تصدى له بالرد ابن كمونة وهو أحد المدافعين عن اليهودية ضد من اسلموا فكتب بالعربية مؤلفه ((تنقيح الابحاث للملل الثلاث)) يتحدث فيه عن الاسس التي قامت عليها الديانات الثلاث، يتهم فيه الاسلام بالنقل عن اليهودية

---

193) — السموأل بن يحي بن عباس المغربي، بذل المجهود في افحام اليهود، تقديم أحمد محمد الشامي، القاهرة مطبعة الفجالة الجديدة، دون تاريخ، ص 20 .

194) — نفسه، ص 23 .

ويــــرى بأن شروط النبوة لا تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم، مما أثـــار جمهور المسلمين فهوجموه داخل كتب صلاة اليوم الجمعة، غير أن الحكام ساعدوه على الفـــرار من مدينة بغداد (195).

وأورد الونشريسي مناظرة بين أحد اليهود (196) والمفتي ابن لب يسأل فيها اليهودي عن القضاء والقدر في أبيات شعرية :

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحير دلوه بأوضح حجة

اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا ... فهل أنا راضي بالذي فيه شقوتي ؟

دعاني وسد الباب دوني فهل الى ... دخولي سبيل بينو قضيتي ؟

اذا شاء ربي الكفر مني مشيئــة ... فهل أنا عاص باتباع المشيئة ؟

ومن لي اختيار ان اخالف حكمه ؟ ... فبالله فاشفوا بالبراهين علتي .

فـــــرد عليه بجواب طويل من بين ما تطرق اليه دعوته الى اليمـــان بالرسالة المحمــــدية :

فصدق وآمن بالنبي محمـــد ... فملته قد عطلت كل ملــة

وعول على علم الشريعة والتمس ... دليل هداها من كتاب وسنة (197)

وذكر الشاطبي حوارا دار بينه وبين يهودي ينكر خلق عيسى عليه السلام من غير أب بقوله : هل يكون شيء من غير مادة ؟ فرد عليه ((فيلزمك اذا أن يكون العالم مخلوقا من مادة ، وانتم معشر اليهود لا تقولون بذلـــك فأحد الامرين لازم : اما صحة خلق عيسى من غير أب واما بطلان خلق العالم من غير مادة)) (198) فبهت اليهودي من جوابه المفحم .

ولعل أول من ناظر اليهود من المغاربة محمد بن سحنون اذ تذكر المصادر مناظرته المشهورة مع أحد اليهود في مصر أثناء مروره بهـــا في طريقـــه الى البقاع المقدســة، ودامت المناظرة الى وقت صلاة الفجــــر خرج منها محمد بن سحنون وهو يمسح العرق عن وجهه وكـــان من نتيجـــة

---

195) ــ الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 34، 35 ، و ص 126 .

196) ــ قيل أنه ابراهيم بن سهل المتوفى في القرن السابع الهجري وابن لب توفي في القرن الثامن ، فالفارق الزمني لا يسمح بوقوع مثل هذه المناظرة . ولعل في الامر تصحيف اما من الونشريسي ، أو من الناشر .

197) ــ الونشريسي ، المعيار، ج11 ، ص266 و ص 350 .

198) ــ أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي ، الإفادات والانشادات ، تحقيق أبو الاجفان ، بيروت، موسسة الرسالة ، 1983، ط1، ص 156 .

ذلك أن أسلم اليهـــودي)) (199) .

ان الجدل بين اليهود والمسلمين ، قد انحصر أكثره في القضايا الدينيـــة ، اذ اجتهد اليهود في مناقشة المسلمين في جوهر ديانتهـــم ، لابراز أولوية الديانة اليهودية ، وفضلها على الدين الاسلامي كما تحدث أحيانـــا الى المسائل الفلسفية كالنفس والقدر ، وهو ما يبين تسامح المسلمين تجاه اليهود ، ومجادلتهم بالتي هي أحســن على أساس قاعدة ((لا اكراه في الدين)) ، ان لم يكن هذا الجدل عادئا في بعض الاحيان في المسائل المتعلقة بجوهر الديـــن .

4) دور اليهود في نقل الثقافة الاسلامية الى أوربا :

استقر اليهود في المدن الاسلامية ، ونعموا بالتسامـــح ، هذا التسامح الذي جعلهم ينعمون بالحرية التامة ، فتعلموا اللغة العربية ، ممـا أدى الى مشاركتهم في الحياة الفكرية بنشاط واسع . وقد كان هؤلاء ـ كوسطاء في الاندلس بين الثقافتين الاسلامية والمسيحية ـ مساعدين للباحثين المسيحييـــن على ترجمة الاعمال العربية الى اللاتينيـــة ، وبذلك وضعوها في أيدي الغـــرب المتأخـــر في تلك الفترة قصد الاستفادة منها (200) . وقد بدأت هذه العمليـــة منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، حينما بدأت جموع اليهود تغادر الاندلس الى شمال اسبانيا وجنوب فرنسا ، فحمل اليهـــود معهم الكتب العربية التي كانت بحوزتهم ، من أجل اشباع رغبتهم العلمية ـ التي وجدوها في المصنفات العربية ـ وحرصهم على ترجمتها الى اللغة العبريـــة ، ولكن اختلاطهم بيهود المنطقة الذين لا يعرفون العربية ولا العبرية ، أدى بهم الى أن يوجهوا أنظارهم الى اللغة اللاتينية ، لان الترجمة اليها تدر عليهـــم ارباحا طائلة (201) . والممالك المسيحيـــة لا تبخل بالبذل والعطاء علـــى الذين يقومون بترجمة الاعمال العربية الى اللاتينية . فمنهم من عمل في طليطلة ، ومنهم من عمل في صقلية لدى فريدريك الثاني (202) . ففي طليطلة أسس مجلس [illegible]

---

199) ـ عياض ، ترتيب المدارك ، ج 2 ، ص 113 .

200) ـ أنظر : J.J.Sunders, a history of médiéval islam, Routledje and Kegan paul, London, Henley and Boston, 1980, p.192.

201) ـ اليازجي ، معالم الفكر العربي ، ص 354 ـ 346 .

202) ـ نفسه ص 346 ، وتحدث الدكتور ميشال جحا عن فريدريك الثاني بقوله : ((جعل بلاطه كعبة للعلم ومحجة للعلماء العرب ، وكان ينفق بسخاء على ترجمة النتاج الفكري العربي الى اللاتينية)) الدراسات العربية والاسلامية في أوربا ، بيروت معهد الانماء العربي ، ط 1 ، 1982 ، ص 33 ، وعنه راجع ، زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، بيروت ، منشورات المكتب التجاري ، ط 1 ، 1964 ، ص 431 وما يليهـــا .

المبشرين أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوروبا (203) . ومن أهم الاعمال التي تقوم بها هذه المدرسة : تعليم العربية والعبرية لاعداد المبشرين للنصرانية بين المسلمين واليهود .

ومن رجال المدرسة البارزين ريموند ومارتيني (RAIMUNDO Martini) المعروف بغزارة اطلاعه ومعرفته للكتب العربية . فقد ألف عديد الكتب ضد الاسلام واليهودية منها : ((خنجر الايمان في صدور المسلمين واليهود)) و ((سورة معارضة للقرآن)) و ((الخلاصة ضد القرآن)) . وهو يتقن العربية قراءة وكتـــابة (204) .

ومن مهام هذه المدرسة ترجمة الكتب العربية الـــى اللاتينيـــة . ومن بين تراجمتها اليهود يحي الاشبيلي كما ذكر أوليري (205) .

وأهم من عمل في ميدان الترجمة من العربية الى اللاتينية من اليهود ابراهيم بن عزرا ، وفرج بن سالم (206) ، وابراهيم بن يحي (المتوفي نحـــو 531هـ/1136م) (207) .

وليس معنى هذا ان اليهود هم الذين استأثروا بنقـــل الثقافة الاسلامية الى اوروبا المسيحيـــة ، بل كانوا من بين عدد كبير من المسيحيين الذين شاركوا في نقل المعرفة والعلوم الاسلامية (208) .

واليهود بحكم جوارهم للمسلمين تأثروا بهم ، ودرســـوا بعمق العلوم الاسلامية النقلية والعقلية ، فكانوا تلاميذ ابن رشد والغزالـــي وابن سينا والفرابي وسيبويه وغيرهـــم . وبالتالي فخروج اليهود من ديار الاســـلام ، وهجرتهم منها ، تبعه نقل للمعارف التي تحصلوا عليها الى اوروبا من خلال معرفتهم للاتينيـــة ، وقد كانت الترجمة مصدرا مهما للارتزاق (209) .

---

203) ــ جمال الدين الشيال ، التاريخ الاسلامي ، وأثره في الفكر التاريخـــي الاوروبي في عصر النهضة ، بيروت : دار الثقافة ، دون تاريخ ، ص 32 ، علي علي سليمان ، ((أثر الثقافة العربية في الثقافة الغربية)) مجلـــة الثقافة والثورة ، عدد 9 (1983) ص 29 .

204) ــ عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، بيروت ، دار العلم للملاييـــن ، 1984 ، ط 1 ص 213 ــ 215 ، بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص 540 ــ 542 .

205) ــ أوليري ، الفكر العربي ، ص 234 ــ 235 ، وعن الاشبيلي ، راجع ، بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص 436 ــ 440 .

206) ــ اليازجي ، معالم الفكر العربي ، ص 346 .

207) ــ الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 29 .

208) ــ بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص 536 ، 550 .

209) ــ اليازجي ، معالم الفكر العربي ، ص 336 ، بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص 503 ــ 536 .

فالترجمة هي احدى الوسائل التي جعلت أوربا تتعرف على ابن رشد ، وأوليري استخدم في الدراسات اللاهوتية يقر بوجود الحقيقة حسنة التأثير فيما بعد ، مؤيدا بقول : ((ولقد نشأت بين اليهود في الواقع مدرسة رشدية قوية كانت الوسيلة الرئيسية فيما بعد في ادخال نظريات الى الاسكلائية اللاتينية)) (210) ، لأن كتب فيلسوف قرطبة نقلت الى العبرية ، ومنها الى اللاتينية ، فاستفاد منها الغرب المسيحي .

ومن هذا المنطلق ربط الكثير من المستشرقين أفكار ابن رشد بأصول يهودية (211) وهي جناية على أفكاره ، وعلى أفكار من سبقه به هذه التهمة التي كان وراءها دون شك المستشرقون اليهود الذين يريدون صبغ أفكار رواد المسلمين بصبغة يهودية بحتة .

ان المشاركة في تسرب الثقافة الاسلامية الى أوربا ، لا يرجع أساسا الى عامل حب لنشرها ، وترويجها على أساس أنها ثقافة الحضارة والرقي والتطور ، وانما العامل الاساسي يعود الى حب الحصول على المال ، والا فلماذا لأن العداوة التي ظهرت في هذه الفترة تهدف الى استفادة المسيحية من التراث الاسلامي لمحاربة الاسلام بسلاحه ، ومحاربة اليهود واليهودية ، ويبدو ذلك جليا في طرد اليهود بعد طرد المسلمين بعدما سقطت آخر معاقل المسلمين في غرناطة سنة 898 هـ / 1492م .

وصفوة القول أن الثقافة اليهودية ترعرعت في دار الاسلام ، انتشرت دور التعليم والثقافة ، وتداخلت بجوهر الثقافة الاسلامية ، واحتكاكها بأساطين العلماء المسلمين في اللغة ، والفقه والتاريخ ، والجغرافيا ، والفلسفة (الحكمة) والعلوم ، وهذا في ظل الحرية الممنوحة لاهل الذمة .

وبعد هذه النظرة على الحياة الثقافية لليهود من جيرانهم المسلمين في المغرب الاسلامي ، فما هو الدور السياسي الذي قاموا به ؟ وما هي أهم الوظائف التي تبوأها اليهود في ظل الدول المغربية المتعاقبة ؟ وهل عملوا باخلاص في اطار القوانين التي تتحكم فيها ؟ وما هي النوايا التي كانوا يخفونها لانشاء دويلة يهودية في الاندلس ؟ هذا ما سنوضحه في الفصل الخامس .

---

210) ــ أوليري ، الفكر العربي ، ص 221 .
211) ــ أعمال ندوة ابن رشد ، ص 241 .

الفصل الخامس

الحياة السياسية لليهود

1. الوظائف الادارية والسياسية .
2. المهام الديبلوماسية (السفارات)
3. مؤامرات ودسائس اليهود
4. محاولة إنشاء دولة يهودية
5. علاقة يهود المغرب بيهود العالم .

1) الوظائف السياسية والادارية :

شارك اليهود في المغرب الاسلامي في الوظائف السياسية والادارية، وقد تبوأ هؤلاء العديد من المسؤليات الهامة في عموم نظم الدول المتعاقبة. ويعود فضل حصول اليهود على هذه الوظائف الى نظرة الدولة الاسلامية، التي تعامل رعاياها على قدم المساواة، بغض النظر عن الديانة التي يعتنقونها. فان كانت بعض الوظائف القليلة لا تسند الى الذميين، كالخلافة أي الامامة، والامارة على الجهاد، لان طبيعتهما تقتضي الا يتولاهما الا مسلم.

وبما أن الامامة هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا (1) فمن الطبيعي أن يكون خليفة المسلمين مسلما، وهو ما حدث في دولة الاسلام على مر العصور (1م).

وأما امارة الجهاد فيشترط فيها - أيضا - الاسلام، لان الجهاد التزام يلتزم به المسلمون دون الذميين، ولهؤلاء مشاركتهم اختيارا في الدفاع عن دار الاسلام (2).

ويجوز للذمي أن يتحمل أعباء الوظائف الاخرى، اذا لم يظهر عداوة للمسلمين (3) ويقول الماوردي بجواز اسناد منصب الوزير الى أهل الذمة على أن لا يباشر الحكم ولا ينظر في المظالم ولا يستبد بتقليد الولاة، وأن لا ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب، ولا يتصرف في أموال بيت المال (4).

فان توفرت هذه الشروط لا يوجد ((ما يمنع أهل الذمة منها - الوزارة - الا أن لا يستطيلوا فيكونوا ممنوعين من الاستطالة)) (5)، وتسمى الوزارة * التي يمكن أسنادها الى الذميين وزارة التنفيذ.

ومن اختصاصات هذا الوزير، معاونة الخليفة في ادارة شؤون البلاد، فهو الواسطة بين الحاكم والرعية وله التوقيع عن الحضرة،

---

1) - الماوردي، الاحكام السلطانية، ص 5، ابن خلدون، ج 1، ص 339، 336، قارن أيضا الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص 40، زيدان، أحكام الذميين، ص 78.

1 م) - زيدان، أحكام الذميين، ص 78.
2) - نفسه، ص 78، عن هذه الامارة، راجع، الماوردي، الاحكام، ص 32 وما يليها.
3) - زيدان أحكام الذميين، ص 79.
4) - الماوردي، الاحكام، ص 24 - 25.
5) - نفسه، ص 25.
*) - الوزارة من أرفع المراتب وأعمها، وعن هذه الخطة وأهميتها، وطريقة تناولها في كتب الاداب السلطانية، راجع، عز الدين العلام، السلطة والسياسة في الادب السلطاني، الدار البيضاء، (المغرب الاقصى) افريقيا الشرق، 1991، ص 103 - 110.

ومراجعة شؤون العامة . ومن أول واجباته القانوني المالية (6) بمعنى أن هذا الوزير يساعد الحاكم في اعماله ويصبح تحت اشرافه . والماوردي يوضح مهام الوزير المنفذ بقوله : ((وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما أمر وينفذ عنه ما ذكر ويمضي ما حكم ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش ويعرض عليه ما ورد من مهم وتجدد من حدث ملم ، ليعمل فيه ما يؤمر به ، فهو معين في تنفيذ الامور وليس بوال عليها ولا متقلدا لها)) (7) . وهي بصورة عامة ((تختص بالرأي والحزم)) (8) خلافا لوزارة التفويض ((الجامعة بين كفاية السيف والقلم ، فهي أعم نظرا وأنفذ أمرا . . . وهذه الوزارة هي الاستيلاء على التدبير والعقد والحل والتقليد والعزل)) (9) . فهذا المنصب هو أشمل من الاول لان صاحبه يجوز له أن يحكم بنفسه فيقلد الحكام وينظر في المظالم ويتولى الجهاد بنفسه ، الى غير ذلك من المسائل التي يمكن أن تدخل ضمن اختصاصاته (10) .

وقد تشدد بعضهم في تقليد المناصب لاهل الذمة اعتمادا على أن هؤلاء استطالوا على المسلمين وتجاوزوا الشروط الموضوعية بحكم أنهم عاشوا تجارب مريرة تتمثل في احكام اليهود ايديهم في رقاب المسلمين فوضعوا المصنفات لاظهار بيان المنع في تقليدهم المناصب في دولة الاسلام لانهم يخفون في أنفسهم عداوة لاهل الاسلام (11) .

ومن أرفع المناصب التي تولاها اليهود في المغرب الاسلامي ما وصل اليه يعقوب بن كلس الذي فر من مصر اثر وفاة كافور الاخشيدي

---

6) ــ الماوي ، الوزارة والوزراء ، ص 33 .

7) ــ الماوردي ، الاحكام ، ص 23 .

8) ــ ابو الحسن الماوردي ، قوانين الوزارة وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، بيروت ، دار الطليعة ، 1979 ، ط 1 ، ص 138 .

9) ــ نفسه ، ص 138 ــ 139 .

10) ــ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص 22 .

11) ــ من هؤلاء مجهول ، منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب ، تحقيق داود على الفاضل ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1982 ، ط 1 ، ص 25 ــ 57 .

حاكم مصر متجها الى المغرب للدخول في خدمة المعز لدين الله الفاطمي سنة 357 هـ/967 م (12) وقد قربه المعز ولكن لا نعرف ما هو المنصب الذي تقلده أثناء وجوده بالمغرب. فابن خلكان يقول : ((... وانتهى الى افريقية وتعلق بخدمة المعز العبيدي)) (13) دون أن يوضح المنصب الذي تولاه .

اما ابن الصيرفي فلم يبين هو بدوره المنصب الذي تولاه ابن كلس بعد فراره من مصر ((وسار الى المغرب وخدم الامام المعز لدين الله ... وخص بخدمته وتولى أموره)) (14) ولكن على ما يبدو فان المعز لم يستعمل ابن كلس كوزير الا بعد فتحه لمصر على ما تذكر بعض المصادر (15). والمؤكد أن منصب الوزير لم يظهر أثناء الدور الفاطمي في المغرب، لان الفاطميين لم يستعينوا بغيرهم للقيام بهذا العمل ، وقد اتخذوا لمساعدتهم من يثقون فيهم دون تلقيبهم بلقب وزير (16). وقيل بوفاة ابن كلس على دينه وكان يظهر الاسلام (17). ولكن هناك من المصادر التي تؤكد اسلامه الصحيح والحسن اثناء خدمته لكافور الاخشيدي (18).

والمهم أن الدولة الفاطمية في بدايتها قد قربت أحد اليهود الذين أسلموا ؟ وعلى ما تذكر المصادر فانه خدم الدولة بكل اخلاص فنال الحظوة، كما تربع على عرش الوزارة بمصر مع غموض المهمة التي قام بها بالمغرب، وان ذكرت بعض المصادر انه كان من أسباب حركة الفاطميين نحو مصر وفتحها بقيادة جوهر الصقلي أثناء هذه حكم المعز لدين الله الفاطمي (19)

---

12) ـ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 21 .

13) ـ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 7 ، ص 28 .

14) ـ ابن الصيرفي ، الاشارة، ص 21 .

15) ـ نفسه ص 21 ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ج 7، ص 29، وجاء لدى القيرواني بأن يعقوب بن كلس كان يهوديا وأسلم)) المونس، ص 63، انظر ابن خلدون ، العبر، ج 7، ص 115 .

16) ـ حسن ابراهيم حسن، وطه أحمد الاشرف، المعز لدين الله ، ص 145 .

17) ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ج 7 ، ص 34 .

18) ـ نفسه ، ص 43، أنظر ترجمته ايضا لدى المناوي ، الوزارة والوزراء، ص 241 ، وعارف تامر، المعز لدين الله الفاطمي ، بيروت، دار الافاق الجديدة، 1983، ص 209 ـ 216 .

19) ـ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 21 .
وأنظر:
Idris , la berberie,T.II,p.716.

ومن اليهود الذين قربهم عبد الرحمن الثالث في الاندلس حسداي بن شبروط الذي ((نال عنده نهاية الحظوة)) (20). وفي عهده ظهرت للوجود مدرسة قرطبية للدراسات اليهودية . وفي حقيقة الامر لم يعرف من ابن شبروط أنه تقلد الوزارة . ولكن نجمه علا في سماء قرطبة، ويعتبر من المقربين من الخليفة الاموي ، فكان يقصده الشعراء اليهود والمسلمون لمدحه ، حتى أن عبد الرحمن الثالث كان يستشيره في امور الدولة الداخلية والخارجية، بالاضافة الى أنه طبيبه الخاص (21). فمهمة ابن شبروط السياسية على ما يبدو استشارية ، كما استعان به في بعض المهام الديبلوماسية .

والوزارة تقلدها اليهود بصورة واضحة بالاندلس في عهد الطوائف. وأهم من نال هذا المنصب اسماعيل بن نغريلة، فالمصادر لا تذكره الا مقرونا بالخطة التي تقلدها وهي الوزارة . فالامير عبد الله يؤكد حينما يذكر ابن النغريلة على ديانته بقوله ((الوزير اليهودي)) (22) وابن الخطيب ينعته ((اليهودي وزير بلكين)) و(23). وابن عذاري حينما يتحدث عن باديس ابن حبوس ووزيره يقول : ((فأمضى باديس وزيرا له ... وزير أبيه اسماعيل ابن النغريلة اليهودي على وزارته)) (24).

فالوزارة قد ظهرت في مرحلة ملوك الطوائف كما تثبت المصادر وخاصة في دولة بني زيري . والامير عبد الله أوضح أسباب اسناد هذه الوظيفة الى ابن النغريلة بقوله : ((وكان في اليهودي من الكيس والمداراة للناس ما طابق الزمان الذي كانوا فيه والقوم الذين يرمونه ؛ فاستعمله لذلك استيحاشا من غيره ... ولان هذا اليهودي ذمي لا تشره نفسه الى ولاية ... ولاحتياجه الى الاموال التي يداري بها بني عمه ، ويحاول بها أمر الملك لم يكن

---

20) ــ ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 494.

21) ــ محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس، ص 23 وأنظر: Nahum, Slouschz, Etude sur l'histoire des Juifs au Maroc, archives marocaines, volume 6, Décembre 1905, p.92.

22) ــ الامير عبد الله ، التبيان، نشر وتقديم ليفي بروفنسال ، القاهرة، دار المعارف ، 1955، ص 30.

23) ــ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص 231.

24) ــ ابن عذاري ، البيان، ج 3، ص 264.

له بد من مثله أن يجمع له من الاموال ما يدرك معها الامال)) (25)، فحصول ابن النغريلة على هذا المنصب لانه ذمي وغير أندلسي لا تشوه نفسه الى ولاية، وغرناطة مليئة باليهود - سميت غرناطة اليهود - لذلك فهو أقدر من غيره على جباية الاموال واسماعيل حسن المجاراة للناس ماهر في الحصول على ما يريد منهم (26)، اضافة الى أنه لم يكن له تسلط على مسلم في حق أو في باطل (27). ومن خلال هذه الحقائق التي قدمها الامير عبد الله آخر ملوك بني زيري فقد استحق الوزارة لعلمه ، وأخلاقه ، ومعرفته بالمسائل المالية، وبعده عن الاطماع السياسية .

ولكن نجد اسماعيل هذا على الرغم من ذلك ميالا الى بني دينه ، ومحافظا بشدة على يهوديته ، مما جعل اليهود يطلقون عليه اسم ((الناغيد)) اعترافا منهم ، بفضله وعلمه ، ومنصبه .

والمهم هنا أن الوزير اليهودي خرج من مبادئ الشرع الاسلامي ، لانه استبد بمنصبه ، وحاك المؤامرات فكان لابد من استئصال شأفته، ولكنه استمر في الحفاظ على منصبه الى وفاته على الرغم من محاولات الاقصاء التي يتعرض لها .

ولما توفي خلفه ابنه يوسف بن اسماعيل الذي حافظ على منصب والده ، غير أنه كان يظهر عداءه للمسلمين ((وجاهر بالكلام في الطعن على ملة الاسلام، فما دفع عن ذلك بتأنيب ولا أستطيع تغييره عليه الا بالقلوب)) (28) فان كان اسماعيل يعمل في الخفاء ضد المسلمين والاسلام فقد كان ابنه يجاهر بعداوته .

واستبد يوسف بالحكم بصورة عملية، نظرا لان الحاكم الحقيقي كان طاعنا في السن، مداوما على شراب الخمر لا يكاد يصحو، وتمكن يوسف من رشوة كل من له اليد الطولى في القصر، وقلة تجربة الرجال الذين يعملون معه

---

25) ـ الامير عبد الله ، التبيان، ص 31، 32 .

26) ـ عباس، مقدمة رسائل ابن حزم، ج 3، ص 9 .

27) ـ الامير عبد الله ، التبيان، ص 32 .

28) ـ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، احسان عباس، ليبيا ، تونس، الدار العربية للكتاب، 1981 ، المجلد الثاني ، القسم الاول، ص 766 .

اعتماد سياسة التفرقـــــة (29).

فكل هذه الاسباب ساعدت يوسف للاحتفاظ بمنصبـــه وسيطرته على مقاليد الدولة الزيرية . ولكن اذا لم يستطع أصحاب السياســة تنحيته ، والحســد من نشاطـــه الهدام، فقد استطاع السكان قتله .

واستطاع أن يصل الى منصب الوزارة أيضا أبو الفضـــل ابن حسداي في دولة بني هـــود . وكان هذا الوزير من اشراف اليهـــود بالاندلس، يعود أصله الى ولد موسى النبي عليه السلام (30). والمصادر اهتمت بنشره وشعره، وأهملت نشاطه كوزيـــر، وحتى نعرف أهمية المنصب الـــذي تبـــوأه لنتابع لقب الوزير في المغرب الاسلامي، وخاصة اللقب الذي حملـــه اليهود . فاننا نجـــده في بعض الاحيان لا يعبر عن وظيفــة سياسيـــة بقدر ما يعبر عن وظيفـــة قلمية أي الكتابة . لان المصادر تقرن في كثير مـــن الاحيان الكتابة بالوزارة كالوزير الكاتب (31).

فان نستنتج من المصادر أن أسرة ابن النغريلة قـــد حملت لقب وزير لما لاسماعيل وابنه يوسف من حرية في التصرف في المسائـــل والقضايا الادارية والسياسية، فقد كان ابن حسداي كاتبا لان اهتماماته منصبـــة على الانشاء وكتابة الرسائل على الرغم من أن ابن سعيد ينعته بالمتصرف في دولة ابن رزين (32). ولكن لا نعرف مدى هذا التصرف حتى تحدد مهمته السياسية بالضبط في دولة بني هود والارجح أنه يتصرف في ديوان الانشاء . ويبـــدو أن الاستاذ حركـــات على صواب حين تناول هذه المسألة بقوله ((ليس مـــن الضـــروري مجاراة مؤرخي الاندلس وكتابها وأهلها عامة فيما كانـــــوا يغدقونـــه من ألقاب على كبار الموظفين حتى كان لقب وزير عندهم قد بلـــغ درجـــة الانحطاط أيام ملوك الطوائف)) (33). وابن حسداي عاش في هـــذا العصر المضطرب ومن ثم فلقب الوزير الذي يطلقه عليه المؤرخون صادر من الاعجاب به في حقل الكتابة .

---

29) ـ عباس، مقدمة رسائل ابن حزم، ج 3، ص 14 .

30) ـ ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 494، ابن بسام، الذخيرة م 3، ق 3، ص 457 ، ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 441 .

31) ـ ابن بسام، الذخيرة، م 1، ق 3، ص 457، الفتح بن خاقان، قلائـــد العقيان في محاسن الاعيان، تقديم محمد العنابي، تونس المكتبة العتيقة، 1966، ص 209 .

32) ـ ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 441 .

33) ـ حركات، النظام السياسي والحربي، ص 85 .

أما الوظائف الاخرى التي عمل فيها اليهود بالمغرب الكتابة . ولقد وضـــــح ابن خلدون الشروط التي يجب أن تتوفر في الكاتب : أن يكون من أرفع طبقات الناس ومن أهل المروءة والحشمة، والعلم الغزير ، وعارضة البلاغة (34) . فالكاتب حسب هذه المواصفات يجب أن يكون من أهل الشرف والعلم والحلم .

ان اسماعيل بن النغريلة في بداية عهده بدولة بني زيري ، بـــدأ كاتبا عند أبي العباس وزير حبوس ثم ارتقى وأصبح الكاتب الاول ، وفـــي نفس الوقت يحمل لقب وزيـــــره فهو اذن قد جمع بين الاشراف على ديوان الكتابة كما كان يشرف على جباية الاموال (35) وقائدا للجيش في المعارك ويظهر ذلك من خلال شعره الذي مجد به انتصاراته ومآثره الحربية (36) . على الرغم من وجـــود وزراء يهتمون بالمسائل العسكرية (37) .

ولكن هل يمكن لشخص واحد أن يتحمل كل هذه الاعباء ؟ على ما يبدو فان ابن النغريلة لا يستطيع القيام بمثل هذه الاعمال في نفـــس الوقت . فاقتصرت مهمته بالاشراف على شؤون الدولة بما فيها الكتابة بمعنـــى أنه الحاكم والآمـــر والناهي في غيابه الحاكم الحقيقي الذي كلفه بالاشراف على كل جهـــاز السلطـــة .

وما قيل عن اسماعيل بن النغريلة ، يمكن أن يقال عـــن ابنه يوسف الذي خلفـــه في منصبـــه ، اذ سيطر سيطرة تامة على مقاليـــد الحكم فهو المشرف على الكتابة وجباية الاموال (38) ، وتعيين العمال وعزلهم (39) ، وارتدى نفس اللباس الذي كان يرتدي به باديس بن حبوس فأصبح لا يمكن التفريـــق بين الرئيس والمـــرؤوس (40) . وأحسن وصف لهذا الوزير المتغلب وصفه بـــه الامير عبد الله آخر ملوك بني زيري بقوله :

---

34) ـ ابن خلدون ، المقدمة ، ج 1 ، ص 437 ـ 438 .

35) ـ الامير عبد الله ، التبيان ، ص 32 .

36) ـ عباس ، مقدمة رسائل ابن حزم ، ج 3 ، ص 12 .

37) ـ الامير عبد الله ، التبيان ، ص 36 .

38) ـ نفســـه ، ص 39 .

39) ـ محمد أرزقي فراد ، القوى المغربية في الاندلس رسالة دبلوم الدراسات المعمقة ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، 1981 ـ 1982 ، ص 91 .

40) ـ جاء عنـــد ابن بسام ((أخبرني من رآه يساير صاحبه بساحة قرطبة في بعض قدماته عليها لبعض تلك الشؤون المضلة ، والفتن المصمئلة ، قال المحدث : فرأيته مع باديس ، فلم أفرق بين الرئيس والمرؤوس فانشدت : ((تشابهت المناكب والرؤوس)) ، الذخيرة ، ق 1 ، م 2 ، ص 767 ، عـــن : القوى المغربية في الاندلس ، ص 92 .

((وتبرمك)) (41) أي سار سيرة البرامكة، وعلى رأسهم جعفر البرمكي (42) المتغلب على شؤون الدولة العباسية. والمقارنة هنا في شخصية الوزير المتغلب فقسط لانه لا يمكن وضع جعفر البرمكي وابن النغريلة في نفس الموقع. وباختصار فقد فوض باديس أمره لوزيره والى خدمه فاستبد الوزير (43).

وقد عين عديد اليهود عمالا على بعض المقاطعات، خاصة في عهد ملوك الطوائف بالاندلس اذ اسند الوزير اسماعيل بن النغريلة هذا المنصب للكثيرين منهم، وتحدث الامير عبد الله عنهم: ((والعمال انما كانوا يهودا)) (44)، ولكن لا نعرف عددهم ولا أسماء البعض منهم، ولا المهام التي كانوا يقومون بها. وعرف هوبكنز (HOPKINS.) العامل بأنه وكيل للسلطات المالية وله واجبات أخرى (45)، والقواميس تؤكد هذا التعريف فهو موظف يستخدم لجباية الاموال (46) من جزية وخراج ومغارم. وبما أن النغريلة هو المشرف على جمع الاموال (47) فقد عين مجموعة من اليهود لمساعدته في أعمال الجباية كجمع الجزية من الطائفة التي ينتمي اليها، لان الاعمال الجبائية الاخرى بأيدي المسلمين (48).

أما ابنه يوسف فقد تكفل بالعمال والجبايات، لان باديس ابن حبوس قدمه للقيام بهذه المهام. ومن ثم سار يوسف سيرة أبيه دون شك في تعيين العمال اليهود لجمع الجزية اذ كان يقول للامير الزيري ((أنا رجل ذمي لا همة لي ألا خدمتك وجمع الدراهم لبيت مالك)) (49). غير أن هذه الاموال لا تستفيد منها الخزينة بقدر ما يستأثر بها لنفسه (50).

---

41) ـ الامير عبد الله ، التبيان ، ص 42.

42) ـ عن البرامكة، راجع، بشار قويدر، دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية، رسالة حازت الماجستير في التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1985 ـ 1986 .

43) ـ الامير عبد الله ، التبيان، ص 46. للوزير مهام خطيرة فهو عضد الامير ((وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا أراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره ، وان ذكر أعانه ، وان أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه)) الخزاعي ، تخريج الدلالات السمعية، ص 59 .

44) ـ الامير عبد الله ، التبيان، ص 32.

45) ـ هوبكنز، النظم الاسلامية في المغرب، ص 100 .

46) ـ أنظر: Dozy, suppliment ,T.II,p.175,Fagnan,addition,p.121.

47) ـ الامير عبد الله ، التبيان، ص 32.

48) ـ نفسه ، ص 37.

49) ـ نفسه ، ص 38.

50) ـ نفسه ، ص 39.

حتى قيل : أنه بني قصـــرا أحسن وأجمل من قصر باديس (51).

وحينما شعر يوسف بالخطر المحدق من حوله ، عمل على تعيين أكابر رجال بني زيري الذين يهاب جانبهم في المناطق المهمة (52)، لابعادهم عن مركز القرار. وعلى ما يبدو فقد كان بعض اليهود ضحية لهذه التعيينات الجديدة. فالاشارة التي جاءت لدى الامير عبد الله تعكس هـــذه الحقيقة. ان سكان مدينة جيان التي عين لها وال جديد والذي استطاع استمالتهم، كانوا ((يرون ولايته خيرا من تولية العبيد عليهم واليهود ومن أشبههم)) .(53)

فاليهود قد ذهبوا ضحية الاستراتيجية التي اتخذهـــا يوسف لتصفية الاجواء من حوله . وهذه الاشارة تتوضح استعمال العمال اليهود كجباة للجزية والخـــراج ، ولكن أيضا كحكام لبعض المناطق والاقاليم وهو ما ذهب اليه هوبكنز عندما قال : بأن العمال هم وكلاء عن السلطات المالية وأيضا واجبات أخرى وهو ما يتفق ما جاء لدى آخر أمراء بني زيري في مذكراته .

واستعمل ملوك غرناطة في عهد بني زيري اليهود عـــلى الخزانة العامة للمالية التي يبدو أن مركزها كان في مدينة اليسانة أثناء حكـــم حبوس وحفيده يصرح بذلك قال :((وكانت دار أبي الربيع اليهودي الخازن للاموال في دولة جدي)) (54). وفي الحقيقة لا يمكن الجزم بوجود خزينة الدولة بعيدة عن مقر الحكم المركزي ، وقد يكون أبو الربيع اليهودي خازنا للاموال التـــي تجمع من منطقة اليسانة ثم توجه الى غرناطة بمعنى أنه مقر اقليمي لجمع الاموال فقط في انتظار تحويلها الى بيت المال .

ان الخطط الادارية فتحت أمام اليهود بخلاف المسيحيين الذين لم يشتغلوا فيها (55) ولعل مرجع ذلك الى معرفة اليهود للغة العربية معرفة جيدة بخلاف النصارى الذين لم يلموا بالعربية وأساليبهـــا وبلاغتهـــا الماما كافيـــا على خلاف اليهود . فمنهم الشعراء والكتاب ، بالاضـــافـــة

---

51) ـــ نفســـه ، ص 47 .

52) ـــ نفســـه ، ص 53، فراد ، القوى المغربية، ص 94 .

53) ـــ نفســـه ، ص 61 .

54) ـــ نفســـه ، ص 130 .

55) ـــ أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 110 .

الى مكانتهم الاقتصادية وأهميتهم العددية .

هذا عن الوظائف التي شغلها اليهود في المغـــرب الاســـلامي من الفتح الى عهد الطوائف بالاندلس الذي عمل المرابطـــون على القضاء عليهم وانهاء هذه الدويلات المتصارعة والمتجاورة في وقت كـــان المسيحيـــون يحضرون عدتهم للقضاء عليهـــم .

وفي عهد المرابطين والموحدين اقتصرت الخطط الادارية على المسلمين دون غيرهم من الملل باستثناء الاشارة التي تذكر استعمال علي بن يوسف جنده الرومي في الجباية، فابن الخطيب يوضح هذه المسألة بقولـــه :

((وهو أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية المغارم))(56) .

ويشك أحد الباحثين المحدثين في نصرانيتهم (57) على الرغم من اتفاق المؤرخين فيما يتعلق بالجند الرومي .

2/ المهـــام الديبلومـــاسية :

عمل الكثيرون من اليهود في الحقل الديبلوماسي لحساب المسلمين، اذ شارك هؤلاء في البعثات التي أرسلها الحكام المسلمون الى أنظمة الحكم في القارة الاوروبية، كما شاركوا في استقبال البعثات التي جاءت الـــى الاراضي الاسلامية خاصة في الاندلـــس.

وقد استعان أمراء قرطبة الامويون بسفراء متمرسيـــن بالاساليب الديبلوماسية دون النظر الى الديانة التي يدينون بها، لذلـــك ((كانوا يختارون لسفراتهم المختلفة مع أوروبا وبيزنطة وشمال افريقيا نفـــرا من المستعربين سواء من المسيحيين أو اليهود الذين صقلتهم التجارب وتمرسوا علـــى أرفع اسلوب في الديبلوماسية وحذقـــوا توجيه الحوار السياسي في العـــلاقات الدوليـــة)) (58)، كمـــا أكد المؤرخ جاكســـون .

وفي حقيقة الامر لا يمكن نكران أو اهمال الخبرة والتجربـــة . ولكن يبدو أن هناك عاملا آخر أدى بالامويين الى استخدامهم وخاصة العنصـــر اليهودي ـــ وهو العامل اللغوي . فالرسل أكثرهم ـــ ان لم نقل جلهم ـــ من اليهـــود الذين يحسنون أكثـــر من لغـــة . فالعامل اللساني من العوامـــل

56) ـــ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص 61 ـــ 62 .

57) ـــ أحمد موسى، النشاط الاقتصادي، ص 110 .

58) ـــ محمـــد محمـــد موسى الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الاندلس حتى أواخـــر القرن العاشر الميلادي، الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية 1981، ص 236 ـــ 237 .

الحاسمة التي ساعدت على اختيار اليهود للقيام بنشاطات ديبلوماسية لحساب المسلمين .

فاذا دققنا البحث في هذا المجال ، نجد أن السفراء المسلمين ليسوا أقل قدرة من غيرهم في المفاوضات ، وطرح القضايا السياسية ومناقشتها ، والحربية ، والديبلوماسية ولا تنقصهم الجرأة ، ولا الشجاعة ، والذكاء ، وهي السجايا المطلوبة في الديبلوماسي . فالسفير يحي بن الحكم الملقب بالغزال قد تفاوض مع شارلمان ، ونجح في عقد هدنة بين الامويين والفرنجة لمدة ثلاث سنوات عام 197 هـ/ 812 م أثناء حكم عبد الرحمن الداخل (59) .

وقام الغزال بسفارة الى ملك الروم ((فأعجبه حديثه وخف على قلبه)) (60) وقد نقل المقري التلمساني عن ابن حيان ــ شيخ مؤرخي الاندلس ــ طرائف تبين مدى عفة الرجل ، وأخلاقه الدمثة ، وسرعة بديهته ، وذكائه المتقد ، وحنكته بالمحافلات الديبلوماسية ، ومرونته لتحقيق الاهداف التي سافر من أجلها (61) .

فالعامل اللغوي ، بالاضافة الى عوامل أخرى تعد ثانوية هي التي رجحت كفة استعمال اليهود في السفارات الاسلامية المغربية .

ومن السفراء الذين وصلتنا أخبارهم ، وتعرفنا عليهم ، حسداي بن شبروط طبيب عبد الرحمن الثالث ، حيث أرسله الخليفة الاموي الى شانجة ــ المخلوع من طرف أخيه أردون ، فوجد الراحة والامن لدى جدته طودة (TODA) في بنبلونة ــ ليعالجه من سمنته المفرطة اذ نجح في تخفيف وزنه . بعد أرسل شانجة وجدته الى الخليفة الاموي ، سفارة الى قرطبة يطلبان يد المساعدة لاسترجاع عرش ليون ، فلبى طلبهما ، وساعد شانجة على استعادة عرشه سنة 349 هـ / 960 م (62) .

وفي سنة 344 هـ/955 م بعث عبد الرحمن الثالث بسفارة الى ليون برئاسة محمد بن حسين وقد رافقه حسداي بن شبروط الذي كان يحسن العربية والعبرية واللاتينية وغيرها (63) لمقابلة أردون الثالث وحل المشكلات السياسية القائمة بينهما واحلال السلم .

---

59) ــ رينو ، الفتوحات الاسلامية ، ص 123 ، 129 ، موسي الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص 236 .

60) ــ المقري ، نفح الطيب ، ج 2 ، ص 253 .

61) ــ نفسه ، ص 253 ــ 259 .

62) ــ السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1971 ، ج 1 ، ص 70 .

63) ــ أنظر : E.LEVY provençal;histoire de l'Espagne Musulmane,Paris, E.6.P. maison neuve;1952,T2,p.69.

وعادت هذه السفارة الى قرطبة في السنة المواليـــة حاملة كتاب الصلح بين أردون والناصر (64)، والمهم هنا في هذه السفارة وجود حسداي ضمن الوفد ، فوجوده يرجع لعامل لغوي الذي اهله للقيام بدور الترجمان * على الرغم من أن الكثير من المؤرخين يعطونه أهمية وهوشخصية ثانوية ضمن الوفـد بحكم دوره أكثر مما يعتنون برئيس السفارة محمد بن حسين .

وقام ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي الطرطوشي بسفارات عديدة أهمها تلك التي اتجه فيها نحو روما سنة 350 هـ/961 م لمقابلة البابا يوحنا الثاني عشر (65)، ويبدو أنه التقى فيها بالامبراطور أوتو الكبير (66). وأرسل في سفارتين الى الامبراطور الالماني سنة 354 هـ/965 م وأخـــــرى سنة 362 هـ / 972 م وقـــد أشار الى هاتين السفارتين كل من البكري والقـزويني (67)، وتهدف هذه البعثات الى استمرار العلاقات الودية بيـــن الامويين والامبراطور الجرماني أوتو (68). ولم تكن هذه الوفود من جانب واحـد بل نجد الالمان يرسلون بعثة دبيلوماسية الى قرطبة سنة 364 هـ/974م بعـد وفاة أوتو الاول وارتقاء أوتو الثاني العرش، من أجل المحافظة على دوام الصداقـة بين الدولتين *

فتبادل السفارات يعني المحافظة على الصداقة القائمـة بين الدولتين والابتعاد عن جو الخلافات والمحافظة على الوضع السياسي والعسكري وهو ما يساعد المسيحيين ، لان الدولة الاموية كانت قوية الجانب حيث ترك الناصـر دولة متكاملة مسيطرة على الاوضاع في الاندلس، ويعتبر عصره العصر الذهبي لعهد الخلافة الاموية في قرطبـــة .

---

64) ـ ابن عذاري ، البيان ، ج 2 ، ص 331 .

*) ـ ((الترجمان يترجم للامام باللسان والكتاب)) الجزاعي ، تخريج الدلالات السمعية ، ص 526 ، تقتضي الضرورة والمنفعة لغات غير المسلمين ((وأمـــا ما في تعلمه منفعة للمسلمين كتعلمه لترجمة ما يحتاج اليه الامام كمـــا تعلمه زيد رضي الله تعالى عنه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، أو لمـا يحتاج اليه القاضي للفصل بين الخصوم ، واثبات الحقوق ، أو للعاشر الذي يعشر أهل الذمة وتجار الحربيين لطلب ما يتعين عند هم لبيت المال ، أو لما يحتاج اليه في فكاك الاسارى وما أشبه ذلك مما تدعو اليه الضرورة ، فغيـر مكروه)) الجزاعي ، تخرج الدلالات السمعية ، ص 221 .

65) ـ مرسي الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص 282 ، 283 ، 285 .

66) ـ نفســـه ، ص 284 .

67) ـ نفســـه ، ص 282 ـ 284 .

68) ـ نفســـه ، ص 285 .

*) ـ اختلفت آراء المؤرخين على سفارات الاوروبيين الى قرطبة ، عن هذه المسألة راجـــع ، مرسي الشيخ ، دولة الفرنجة ، ص 282 ـ 291 .

أما المهام التي قام بها الطرطوشي فهي تدخل ضمن المجاملة الديبلوماسية أكثر مما هي سفارات بمعنى الكلمة لانها لم تحدث في أوج خلافات سياسية عميقة بين الدول التي زارها والدولة الاموية بقدر ما هي بمثة للتذكير بالعلاقات الطيبة مع روما وقد برج . فالسفير رحالة معروف، وتاجر محترف قد تكون له علاقات في كل من المدينتين . ومن هنا نجد الامويين يغتنمون هذه الفرصة للتعبير عن كياستهم وحنكتهم السياسية لضمان استمرار العلاقات الطيبة مع البابا ومع الامبراطور .

وفي عهد ملوك الطوائف كان الفونسو السادس يعمل على اضعاف هؤلاء الملوك بفرض الجزية عليهم جميعا ، وبعد ما تخريب أراضيهم ، وافساد زروعهم وأقواتهم ومحاصيلهم عن طريق الغارات المدمرة ، ثم افتكاك حصونهم، وأراضيهم (69) .

وفي أوج هذا المخطط الرهيب وجه الملك النصراني سفارة الى الملك المعتمد ابن عباد سنة 475 هـ / 1085 م للمطالبة بالجزية على رأسها يهودي يدعى ابن شاليب، فأرسل المعتمد اليهم المال والسبائك الى خارج اشبيلية اين عسكر النصارى، ولكن رفض اليهودي أخذها مدعيا أنها مزيفة وطالب بعيار حسن وهدد وتوعد فرد المال الى ابن عباد وأعلم بالقصة فأمر رجاله بالقبض على ابن شالب ومن معه وصلب اليهودي وأودع النصارى السجن (70) . ولما علم الفونسو ملك قشتالة بما حدث ((قسم بايمان مغلظة أن لا يرفع يده عنه وأنه يحشد من الروم عدد شعر رأسه ويصل بهم بحر الزقاق)) (71) . بمعنى أن الفونسو وجد الذريعة الكافية للقضاء على دول الطوائف للوصول الى البحر ، واستعادة الممتلكات التي بأيدي المسلمين غير أن استنجادهم بالمرابطين وضع حدا لطموحات الفونسو والمسيحيين .

---

69) ــ محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1960 ، ط 1، ص 73 ـ 74 .

70) ــ المقري ، نفح الطيب، ج 4، ص 246 ، ابن الخطيب، الحلل ، ص 25، 26، عنان، دول الطوائف، ص 73، أما ابن الاثير فله رواية أخرى: ((... وكان الرسول في جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فأنزله محمد بن عباد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر كل من عنده منهم رجل أن يقتله وأحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر)) الكامل، ج 0 ، ص 136 ، وأنظر كذلك ابن عذاري ، البيان ، ج 4، ص 131 .

71) ــ ابن الخطيب ، الحلل الموشية، ص 26 .

وقد كان لابن عباد سفير يهودي يدعى ابن مشعل، عيسه على ما يبدو للحفاظ على توازن العلاقات السياسية بينه وبين ملك قشتالـــة . ومما يروى عن الملك النصراني أنه قال لسفير المعتمد ((كيف أترك قوما مجانيـن تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم ، المعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والامين والمأمون وكل منهم لا يسل في الذب عن نفسه سيفا ولا يرفع عن رعيته ضيما ولا حيفا قد أظهروا الفسوق والعصيان واعتكفوا علـى المغاني والعيدان ، وكيف يحل البشر أن يقر منهم رعيته أحدا وأن يدعها بيـن أيديهم سدا)) (72) .

فان صحت هذه الرواية ، فقد كان الفونسو على علم عميـق بحالة المسلمين في الاندلس في عهد الطوائف . وان تجبره كان انعكاسا لهذه الوضعية السيئة التي كان يعيشهـا المسلمون في الاندلس .

وأما عن استعمال ابن العباد للسفير اليهودي ابن مشعل فان العامل المساعد الذي جعله يقوم بالسفارة لدى ألفونسو، هو العامل اللغوي ، وما استعمال ابن شاليب اليهودي لنفس الغرض بالنسبة للمسيحييـن استدعته الـ الضرورة اللغوية . فالمسيحيون اعتمدوا عليهم في الترجمة، مثلما استدعاهم المسلمون لنفس الغرض ، أو للغاية نفسهـا .

وفي العهد المرابطي ، ليس لدينا وثائق تثبت أنهم استعملوا سفـراء يهود ، فقد مر أهل الذمة ، وخاصة اليهود بمرحلة عصيبة كرد علـى خطورة هذا العنصر ــ الذمي ــ في افساد الدين الاسلامي . ففي الرسالـة التي وجهها علي بن يوسف الى الاندلس أوصى الحكام بعدم ادخال الذمييـن في وظائف الدولة بقوله : ((وكذلك نؤكد لكم عليكم أتم تأكيد أمر أهل الذمة الا يتصرف أحد منهم في أمور المسلمين ، لانه من فساد الدين)) (73) . لذلـك نجد المرابطين لم يستعملوا اليهود في الخطط الادارية ، ومن ثم اعتمد هؤلاء على امكانياتهم البشرية دون اللجوء الى اليهود أو غيرهم من الملل الاخـرى لاستخدامهم كسفـراء .

---

72) ــ عنان ، دول الطوائف ، ص 74 .

73) ــ محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس القسم الاول ، عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين ، القاهرة ، مطبعـة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1964 ، ط 1 ، ص 560 .

تميز العهد الموحدي بتفتح من الناحية السياسية والدبلوماسية والتجارية منذ عهد عبد المؤمن بن علي (74) ، اذ عمل الموحدون على التمتين ... بالقوى المسيحية ، وأدخلوا الجند النصراني في جيشهم . ولكن فيما يتعلق بالسفارات بينهم وبين المسيحيين ، فانهم لم يستنجدوا باليهود ... على النصارى كتراجمة اثناء المفاوضات ، وعقد الاتفاقات مع القوى المسيحية (75) .

غير أن والي سبتة * ابن خلاص ... أواخر العهد الموحدي ... أرسل ابن سهل الاسرائيلي كاتبه ضمن وفد يترأسه ابنه الى ابي زكرياء ... الحفصي . ووجود ابراهيم بن سهل ضمن هذه السفارة كشخصية ثانوية ... رئاسة الوفد قد اسندت الى ابن الوالي ، يعود الى أنه كاتب ابن خلاص الشخصي ، وأيضا اعجاب الامير الحفصي بالشاعر وشاعريته ، اذ كان مولعا بالادب ، وشغوفا به . ومما يبرز مكانة ابن سهل لدى أمير تونس مدحه بقوله : ((رجع الدر الى معدنه))(76) حينما بلغه خبر وفاته . فلا نعجب والحالة هذه ، أن يرسله والي سبتة ضمن السفارة التي تحمل هدية الى الامير الحفصي ، وتنوي مبايعته .

3) — <u>مؤامرات ودسائس اليهود :</u>

لقد تمتع اليهود في المغرب الاسلامي بالتسامح الذي حظيه المسلمون بعد فتحهم للمغرب ، اذ تحسنت وضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية ... ويتجلى هذا التسامح في ممارسة دياناتهم بكل حرية والقيام بالاعمال التجارية دون مضايقة ، واستخدامهم في الخطط الادارية كلما دعت الضرورة الى ذلك دون تمييز بجانب المسلمين ، خلافا لما كانت عليه وضعيتهم قبل الفتح .

وفي مقابل هذا ، ما هو موقف اليهود من الحكومات التي حافظت على ذمتهم ؟ وما هي الدسائس والمؤامرات التي حاكوها أو شاركوا فيها ؟

نجد اليهود في حقيقة الامر ، لم يقوموا بأعمال سياسية خطيرة ضد الدول الاسلامية في القرون الاولى للهجرة (77) لان النظم السياسية كانت من القوة بمكان بحيث لم يتوصل هؤلاء المشاركة في الدسائس ، ولا في المؤامرات وكذلك لقلة عددهم . ولكن ابتداء من القرن ... الهجري

---

74) — عن علاقات الموحدين بالعالم المسيحي ، راجع ، حركات ، المغرب عبر التاريخ ج 1 ، ص 304 وما بعدها .

75) — الف الاستاذ عبد الهادي التازي كتابا عن الديبلوماسية المغربية ... يكشف من حقائق جديدة تتعلق بدور اليهود في هذا المجال في العهد الموحدي .

*) — عن سبتة راجع ، محمد بن تاويت ، تاريخ سبتة ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، ط 1 ، 1982 .

76) — محمد قويعة ، مقدمة أشعار ابن سهل ، ص 49 .

77) — من القرن الاول الى القرن الرابع للهجرة / من السابع الى الحادي عشر للميلاد .

نمت الجاليات اليهودية في المغرب، بحيث بلغ عدد اليهود في الاندلس أكثر من نصف مليون نسمة (78). وقويت شوكتهم بظهور المدارس التي تعمل على أحياء التراث اليهودي، وتجديد الدراسات اليهودية على ضوء ما وصل اليه الفكر الاسلامي من تطور، مغتنمين الحرية المتاحة لهم. وأيضا ضعف الامارات الاسلامية الشيء الذي جعل اليهود يتطاولون على المسلمين، فشاركوا في المؤامرات والدسائس التي تتنافى مع أبسط السلوكات الاخلاقية، والواقع السياسي، وتهدف أكثر هذه الاعمال الى زرع الشقاق بين المسلمين.

ففي عهد الدولة الزيرية بالاندلس، برز على الساحة السياسية اسماعيل ابن نغريلة كوزير للامير حبوس بن ماكسن، وقد خان الثقة التي وضعها الامير الزيري في شخصه. فقد عين عديد العمال من أهل ملته على الاقاليم، اذ استطالوا على المسلمين (79). ولم يعدلوا في جمع الاموال (80) ما بين المسلمين واليهود. والعدالة هنا لا تتمثل في قيمة الجباية، بقدر ما تتمثل في معاملة المسلمين معاملة جيدة يقتضيها الشرع والقانون الوضعي من طرف هؤلاء العمال.

أما ابنه يوسف بن نغريلة الذي عينه باديس بعد وفاة والده، فسار سيرة أبيه في تعيين اليهود على الاقاليم (81). وكان طاغية متجبرا كارها للاسلام والمسلمين، مثلما كان ماهرا في حبك المؤامرات والدسائس وكان يعمل على تفرقة البيت الزيري. فنجده قد تدخل بين باديس ووزيره علي ابن القروي لازاحته لكي يخلو له الجو، وينفرد بالسلطة، ويستأثر بها دون غيره.

ان الامير عبد الله سجل للتاريخ دسائس هذا الوزير اليهودي ضد ابن القروي بقوله لباديس ((ان الذي يأخذ علي أنت أولى به، والرجل كثير الاولاد والضعف، ويذهب مالك ان لم تحمني وتعضدني. وهو متى تملأ، طمع في ملكك! وأنا رجل ذمي لا همة لي الا خدمتك وجمع الدراهم لبيت مالك)) (82). فهو يريد تصفية الاجواء حوله، معتمدا على الثقة شبه العمياء التي وضعها فيه الامير الزيري.

---

78) ـ عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية، ص 117.

79) ـ ابن عذاري، البيان، ج 3، ص 264.

80) ـ فراد، القوى المغربية، ص 91.

81) ـ نفسه، ص 92.

82) ـ الامير عبد الله، التبيان، ص 35.

وكان لباديس ولد يدعى بلكين، وقد كان عاقلا نبيلا، يكره اليهودي، بل كان من أكبر الناقمين عليه، اذ حز في نفسه تسلط اليهودي بحيث أصبح زمام الحكم بيده (33). واشترك في النقمة وزراء الدولة، فعمد الى قتله. ولكن على ما يبدو لم يكن جادا في تنفيذ مشروعه، لحظوة الوزير اليهودي لدى باديس. ولان بلكين لم يكتم السر على الرغم من معرفته بأن الجواسيس سيطلعون ابن النغريلة بما يجول في خاطر غريمه. ولما سمع يوسف اعتزم على أن يسبقه بالامر (34)، واستطاع تنفيذ عمليته بعد أن هيأ لها فرص النجاح.

دخل يوسف بن نغريلة على بلكين ((وقبل الارض بين يديه فقال له ما تريد فقال له يرغب عبدك منك أن تدخل داره مع من أحببت من رجالك يستشرف العبد بذلك فدخل اليه فقدم له ولرجاله طعاما وشرابا وجعل السم في الكأس لابن باديس فرام القيء فلم يقدر عليه فحمل الى قصره فقضى نحبه في غد يومه)) (35).

واتهم الوزير اليهودي أقارب بلكين بارتكاب الجريمة فعاث فيهم باديس قتلا وابادة، ولم ينج من هذه التصفية الا من فر (36) من المتهمين، دون أن ينتبه لمؤامرة اليهودي. وعوض أن يمسك باديس زمام الدولة بجد، أقبل على الشراب ليتسلى به عن مصابه (37).

وفي الحقيقة يتساءل القارئ عن الظروف التي ساعدت اليهودي لانجاح مشروعه؟ قيل ان لباديس ثقة عمياء في الوزير، فاستغل يوسف هذه الثقة وصفى الجو بازاحته لبلكين، غير أن هذا الرأي يحتاج الى حجة قوية تثبته، فالثقة لا تصل بباديس لكي يتغاضى عما يجري في القصر. ولعل السبب يكمن في الانقسام الخطير الموجود في البيت الحاكم، والجانب الاقوى هو الذي يقف خلف الوزير اليهودي، وهنا لا يستطيع الامير الزيري القيام بأي عمل ضد وزيره خوفا من ردود الفعل العنيفة للمتحالفين مع اليهودي، فوجد عزاءه في الشراب.

---

33) ـ ابن عذاري، البيان، ج 3، ص 265، فراد، القوى المغربية، ص 92.
34) ـ الامير عبد الله، التبيان، ص 40.
35) ـ ابن عذاري، البيان، ج 3، ص 265.
36) ـ ابن الخطيب، اعلام الاعلام، ص 231.
37) ـ ابن عذاري، البيان، ج 3، ص 265.

بعد هذه المؤامرة التي قضى فيهما على خصومه ومنافسيه ، وجـــد يوسف الفرصة سانحة ليستبد أكثر بالحكم ، وخير من صور استبداد الوزير اليهودي ومن حوله من أبناء ملته ابن عذاري حين قال : ((وصارت لليهود صولة على المسلمين في دولتـــه)) (88) .

وفي هذه الاثناء زاد سخط السكان ، وارتفعت حدة التوتـر لعوامل كثيرة منها الصراع بين ابن النغريلة والنايـــة (89)، واستنكار العلماء لسيــرة يوسف، وانتشار قصيدة مشهورة بين سكان غرناطـــة، نظمها أبو اسحق الالبيري ، والتي ذاعت بصورة فائقة، وقد كانت الشرارة التي اضرمت الانفجـار (90). فزحفت الجموع على دار ابن النغريلة، واقتحموها ، وانتهبوها وانتهت الثورة بقتـــل الوزير اليهودي ، وقتل الالاف من اليهود ، انتقاما من رئيسهم ، وتداولهم علـــى المسلمين بحيث حصلوا على أموال كثيرة - (91) وهي دون شك أكثرها من الاموال التي انتهبت منهم عن طريق الجباية والربـــا .

وبينما تجمع الروايات العربية على قتل يوسف في ثورة غرناطة سنة 459 هـ/1066 م نجـــد أن الروايات اليهودية تنكر ذلك ، وتقول بموتـــه في فراشـــه سنة 447 هـ/1055م (92).

ويبدو أن الحوادث السابقة ، لم تفتح أعين باديس فعيـــن خلفا ليوسف القتيل وزيرا آخـــر من أهل الذمة نصراني ، على الرغم من أن آثار ابن النغريلة مازالت ماثلـــة أمام أعين الناس. فكتب الشاعر السميسير ثلاثة أبيات، رماها في شوارع مدينـــة غرناطـــة وفـــر الى المريـــة(93).

---

88)ــ ابن عذاري ، البيان ، ج 3، ص 265 .

89)ــ ((كان الناية من المناوئين ليوسف بن نغرالة ، وكل ما نعرفه عنه أنه كان متضلعا في المؤامرة التي دبرها اسماعيل ضد أبيه المعتضد بن عباد ليستولي على الحكم ، وبعد فشل المحاولة فر الى غرناطة حيث ظل في خدمة باديس حتى تألق نجمه فتبوأ مناصب هامة ، ثم أصبح منافسا قويا ليوسف ابن نغرالـــة فحاول كل منهما تأليب باديس ضد خصمه ، وانتهى الصراع لصالح النانية))؛ راجع ، فواد ، القوى المغربية في الاندلس ، ص 91 ، الهامش رقم 61 .

90)ــ عنان ، ملوك الطوائف، ص 132 ، أنظر القصيدة في الملحق.

91)ــ الامير عبد الله ، التبيان ، ص 54 ، ابن عذاري ، البيان ، ج3، ص 266، ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص 233 ، ابن خلدون ، العبر، ج 7، ص 346.

92)ــ عبد المجيد بحر، اليهود في الاندلس، ص 49 .

93)ــ احسان عباس، أخبار وتراجم أندلسية، بيروت، دار الثقافة ، 1965 ، ص 33، 34 ، أما الابيات فهي :

كل يوم الى ورا	بدل البول بالخرا
فزمانا تهـودا	وزمانا تنصـــرا
وسيصبو الى المجو	س ان الشيخ عمرا .

ولم يقتصر دور الدسائس والمؤامرات ضد المسلمين على بعض الوزراء اليهود أو الموظفين، بل تعدت وشملت اليهود الموجودين في المغرب خاصة الجاليات المستقرة في الاندلس. فيذكر الامير عبد الله أن يهود اليسانة قد تهيأوا للقيام بثورة في عهده، ولولا حكمته بحيث عرف كيف يوقفها لانتهت بمجزرة رهيبة ضد اليهود في هذه المدينة. ويعود سبب هذه الثورة الى العثور على كمية كبيرة من الذهب أثناء القيام ببناء سور يتصل بالحمراء، وقد كانت دار أبي الربيع اليهودي (94) الخازن للاموال في دولة جبوس ابن ماكسن وعلم الامير أن المال هو من ماله المخزون، فأرسل الى ابنه للاستشارة في الامر. وكان صهره ابن ميمون رئيس طائفة اليهود في اليسانة قد عرف القصة. وكان ابن ميمون يعمل على اثارة اليهود في المدينة مستغلا نفورهم من الضرائب التي فرضت عليهم. وهاهو الامير عبد الله يشرح هذه المسألة بقوله ((ووجد ابن ميمون ... السبيل الى اغرائهم وحملهم على النفاق، فأجابوه، ودخلوا في السلاح، ونادى فيهم أن جدوا، معشر بني اسرائيل، في حماية أموالكم)) (95).

اعتمد الامير عبد الله على الاسلوب السياسي لكي لا تصل المجابهة مرحلة دموية، اذ عمل على القاء القبض عليه مع ابنه وذلك بموافقة الجالية اليهودية في اليسانة، وانتهت الثورة نهاية سعيدة تدل بوضوح على معاملة أهل الذمة بالرفق. وكاد أن يكون ابن ميمون سببا في اثارة مجزرة تشبه التي كان سببها يوسف بن النغريلة في غرناطة.

وفي سنة 448 هـ/1056م كان استيلاء الكابيداور المعروف بالسيد على مدينة بلنسية بعد حصار دام عشرين شهرا، وحينما دخلها صلحا غدر بها وأحرقها، وعاث فيها فسادا. فوجد اليهود هذه الفرصة للانتقام من المسلمين اذ سلط وزير أرفون اليهودي حقده وكراهيته على السكان، وأطلق يد اليهود للتنكيل بهم. وقد صور ابن عذاري هذه المأساة بقوله: ((وبلغ اليهودي – لعنة الله – من المسلمين مبلغ الغاية في العذاب وسلط اليهود على الاسلام، فبلغوا النهاية في النكال والنكاية ومنهم الامناء والموكلون، والمتصرفون وأصحاب الرسوم، وخدام البحر. وجلس اليهودي (96)

---

94) – حينما تحدث عنه الامير عبد الله في اماكن أخرى يقول النصراني، أنظر، الامير عبد الله، التبيان، ص 66 – 68.

95) – نفسه، ص 130 – 131.

96) – هذا اليهودي هو وزير الكبيطور كما جاء لدى ابن عذاري، والمحتمل أنه المفاوض باسم الكبيطور، راجع البيان، ج 4، ص 41.

للقبض بصاحب المدينة من الغرب بالعصا والسوط ، وقيد لذلك منهم شيطانا يمشي معه كل عدو ، فان جاء بشيء واذا أخذ بالسوط والعذاب ، وتمادت هذه المحنة مدة . . .)) (97) فالنص يوضح مدى قساوة اليهود على المسلمين ، وحقد هم ومشاركة النصارى في الانتصار عليهم ، ولما عادت بلنسية للمسلمين ، لم تذكر المصادر مثل هذه الأعمال ، كالتي قام بها اليهود ، كرد فعل على الأذى الذي الحق بالمسلمين أثناء الهجوم المسيحي .

والوثائق التاريخية تبرز المشاركة اليهودية في صفوف الجيوش النصرانية فهذا صاحب الحلل الموشية يتحدث عن اختيار الملك ألفونسو اليوم الذي ستحدث فيه المنازلة بين النصارى والمسلمين في معركة الزلاقة فيقول على لسانه : ((. . . السبت يوم عيد اليهود ، وهم كثيرون في محلتنا ، ونحن نفتقر اليهم . . .)) (98) ويحدد أحد المؤرخين اليهود مشاركة أربعين ألف محارب في الجيشين (99) بمعنى أن الجيش المرابطي يحتوي على عدد كبير من الجنود اليهود ، ولكنه يغفل المصدر الذي أخذ عنه هذه المعلومات ، اذ لا نعرف بأن الجيش المرابطي احتوى عناصر غير اسلامية ، الشيء يجعلنا لا نقبل هذه الفكرة التي لم تدعم بالأدلة التاريخية القاطعة .

فمشاركة اليهود في الجيش النصراني الذي قادة ألفونسو السادس تدل دلالة واضحة على تنكر اليهود للمسلمين ، والعمل على اسقاطهم والقضاء على وجودهم بالأندلس ، وعلى الرغم من ذلك فإن المنتصرين في معركة الزلاقة قد أعادوا أملاك اليهود التي فقدوها أثناء عهد باديس بن حبوس (100) ، وهو ما يفسر تسامح المسلمين تجاه اليهود في الاندلس .

---

97) ـ نفسه ، ج 4 ، ص 41

98) ـ مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وزمامة ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، ط 1 ، 1979 ، ص 57 ، حركات النظام السياسي والحربي ، ص 232 ، سعدون عباس نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والأندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1985 ، ط 1 ، ص 87 و 92 .

99) ـ أنظر : Slouschz, Etude sur l'histoire des juifs au Maroc p 54

100) ـ أنظر : H. Graetz, les Juifs d'Espagne, p. 183.

وفي العهد المرابطي ، حدثت بمدينة غرناطة ثورة ضد اليهود سنة 529 هـ اثر ظهور قتيل مسلم في بعض أحيائهم ، ففتحت منازلهم ، وانتهبت أموالهم وقتل عدد كبير منهم (101) . ان هذه الثورة كما يبدو من ابن عذاري سببها وجود قتيل مسلم في أحد أحياء اليهودية ، ولكن هذا غير كاف لقيام ثورة عارمة تنتهك فيها البيوت وتنهب فيها الاموال . ولعل السبب هو الاضطراب الموجود في الاندلس أثناء الحكم المرابطي ضد اليهود بسبب تجسسهم على المسلمين ، ورفع أسرارهم الى النصارى ، وأيضا الى سياسة بعض الحكام المرابطين التي تهدف الى ادخال اليهود في الاسلام ، وبالتالي عمدوا الى التضييق عليهم لهذا السبب فكان رد فعل اليهود الانتقام من المسلمين الفرادى الذين يجوبون الاحياء اليهودية ، أو يمكن أن تعود الى ممارسات اليهود المعروفة في التاريخ مثل السحرة الذين يستخدمون دم الانسان في طقوسهم الدينية (102) ففي عيد الفطائر يمزجون الفطير بالدماء البشرية (103) وهذه الممارسات يقرها التلمود ، وأغلبية يهود الاندلس من التلموديين ، اذ يؤمنون بتعاليمه أكثر مما جاء في تعليمات الكتاب المقدس .

ومن صور المؤامرات والدسائس التي يحيكها اليهود ضد المسلمين في العهد المرابطي ، ما ذكره أحد المؤرخين اليهود ((في زحمة الصراع المرير بين المسيحيين والمسلمين ، وكثرة المؤامرات والدسائس فان اليهود لا يمكنهم البقاء على الحياد)) (104) . لذلك نجدهم يشاركون في زيادة تعكير الاوضاع ، فهذا ابن ميقاش (IBN . Migash) ربي وقاضي في مدينة لوشينا علم بأن أحد اليهود أراد التبليغ على يهودي آخر شارك في هذه المؤامرات السياسية ، فحاكمه في المحكمة بتهمة كشف أحد اخوانه (105) .

---

101) ـ ابن عذاري ، البيان ، ج 4 ، ص 93 ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، القسم الاول ، ص 140 .

102) ـ التل ، خطر اليهودية العالمية ، ص 340 .

103) ـ نفسه ، ص 30 .

104) ـ أنظر : H , Graetz , les juifs d'espagne , p 200

105) ـ أنظر : I bid. P 201

أما في العهد الموحدي ، فان اليهود شاركوا أيضا في اضعاف المسلمين، بتحالفهم مع النصارى ومع الثائرين على الموحدين . فالثائر ابن همشك تعاون مع اليهود الاسلاميين (106) سنة 557 هـ/1162م للدخول الى مدينة غرناطة، أثناء غياب الامير أبي سعيد بن عبد المؤمن والي المدينة، الذي كان يقوم بتأدية زيارة لوالده بالمغرب . وقد تحدث ابن صاحب الصلاة عن هذه المؤامرة بقوله : ((وعزمت طويته المنافقة أن يغدر مدينة غرناطة أذ هي على قربه . وداخل من فيها من اليهود الاسلاميين مع حليفهم المعروف بأبي دعي الفاسق المنافق ... فمشى هذا الفاسق ابن دعي سرا من ابن همشك في ليلة معينة يصلهم فيها الى باب الرملة بغرناطة ويكسرون قفل الباب ويدخلونه)) (107) .

ان هذه الرواية تعطينا صورة عن بعض المؤامرات التي كان يقوم بها اليهود ضد المسلمين، انتقاما لانفسهم . لانهم يزعمون قد أكرهوا على اعتناق الاسلام، فاتخذوا سياسة التحريض على الفتن ، واشعالها ، وتأجيجها ، وهي سياسة يعرفون بها منذ القديم .

لقد اتخذ عبد المؤمن بن علي موقفا صارما من أهل الذمة، وخيرهم بين الجلاء عن البلاد أو اعتناق الاسلام (108) . ولكن هذه الصرامة ، لم تمنعه من اعطاء مهلة لليهود لبيع أملاكهم قبل الرحيل (109) .

ولما جاء يعقوب المنصور (580 ـ 595 هـ/ 1184 ـ 1198م)، شعر بالخطر اليهودي الكامن في جسم الدولة الموحدية، فهم يتظاهرون بالاسلام، ولكن اعمالهم تبين عكس ما يظهرون . فأمرهم بوضع علامات مميزة ، والتمييز أهون بكثير من القتل أو التشريد . فالخليفة الموحدي يعقوب المنصور قال: لو صح عندي اسلامهم لتركتهم، ولو صح عندي كفرهم لقتلتهم ولكني متردد في أمرهم (110) . وهذا القول يبرز حيرة الرجل ، فاختار التمييز، وهو موقف انساني يدعو للاعجاب والتقدير .

---

106) ـ اليهود الاسلاميين هم الذين أسلموا أو تظاهروا بالاسلام ويسمون أيضا المسالمة، راجع ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 263، حسن بن رشيق القيرواني ، أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، جمع وتحقيق ، محمد العروسي المطوي ، وبشير البكوش، تونس، الدار التونسية للنشر، 1986م ص 419 .

107) ـ عبد الملك بن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق عبد الهادي تازي ، بيروت، دار الاندلس للطباعة والنشر ، 1964 ، ط 1 ، السفر الثاني ، ص 187 ، وقارن ابن عذاري ، البيان ، قسم الموحدين ، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، بيروت، دار المغرب الاسلامي ، الدار البيضاء، دار الثقافة ، ط 1 ، 1985، ص 74 .

108) ـ صالح بن قربة ، عبد المؤمن بن علي ، ص 72

109) ـ أنظر: Graetz, les Juifs d'Espagne ,P 247.

110) ـ المراكشي ، المعجب، ص 203 .

بدأ اليهود في العصر الموحدي النزوح نحو الممالك المسيحية بكثرة، حيث قدم ألفوسو بعض الامتيازات لعدد كبير من اليهود، اذ عاملهم كرعايـــاه، كما قبلهم في كل الوظائف (111).

وهذه المعاملة الحسنة للملك المسيحي * ، وتشدد الموحدين نحو اليهود فتحت أبواب هجرة اليهود المغاربة، فالاحصائيات قدرت عدد اليهود عمومـــا في مدينة طليطلة (TOLEDE) بـ 12.000 نسمة (112) مما أدى الى انتقال مركز الدراسات اليهودية الى اسبانيا المسيحيـــة. وتحسنت كذلك أوضاع اليهود في كل من قشتالة (CASTILLE) وليون (LEON) وأراغون (ARAGON) ونفـــار (NAVARRE) والبرتغال (113) وهي ممالك تكن الحقد للمسلميـــن، وتعمل على اخراجهم من الاندلس.

وقد إستطاع الامراء المسيحيون بعد ذلك استغلال اليهود الذين يحسنون اللغة العربية ويعرفون عادات المسلمين ـ الذين كانوا يعيشون في الأوساط المغربية، فاختار من بينهم الملك ألفونسو السفراء (114) وربمـــا الجواسيس للتعرف على أحوال المسلمين.

وشارك اليهود في محاربة الموحدين في عهد يعقوب المنصور (115)، فبعد معركة الارك التي انتصر فيها المسلمون على جيوش الفونسو الثالث وفراره الى طليطلة (TOLEDE) للتحصن بها، لاحقته الجيوش الموحدية الـــى عقر داره، وكان من بين المدافعين على المدينة المسيحية عدد كبير من اليهود (116).

والنصوص التي تركها اليهود من العصور الوسطى، تبين الكره الذي يكنه اليهود للموحدين، فهذا ابن عزرا يقول بمناسبة فتح الموحدين لمدينة درعـــة ـ في احدى قصائده ((سأمزق ثيابي، درعة أول مدينة أحتلت، كان يوم سبت. رجال ونساء هدرت دماؤهم وجرت كالماء)) (117).

---

(111) ـ أنظر: H. Graetz , les juifs d'Espagne,p 178.

*) ـ تأسف البابا غريغوريوس السابع (1073 ـ 1085م) لدى الفونسو السادس ملك قشتالة لسماحه لليهود بتبوأ مراكز تسمح لهم بالتحكم في المسيحييـــن، راجع برنز، بابوات من الحي اليهودي، ص 201 ـ 202.

(112) ـ أنظر: H. Graetz ,les jiufs d'Espagne,p 292.

(113) ـ أنظر: IBID,P 292.

(114) ـ أنظر: IBID,P 177- 178.

(115) ـ أنظـــر: IBID,P 298.

(116) ـ أنظر: IBID, P 298.

(117) ـ أنظر: N. Slouschz, Etude sur l'histoire des juifs au maroc,p124.

وايضا ابراهيم نوار، اليهود في العهد المرابطي والموحدي، ص 9.

في نفس الموضوع عن مدينة مراكش ((ان مدينة مراكش النبيلة ، قد شاهدت أبناءها الاعزاء ، نفذ فيهم السيف، فعين العدو القاسية لم تحافظ على رؤوسهم)) (118).

فهذا الشعر البكائي من أحد الشعراء اليهود الذين عاصروا انتصارات الموحدين ، تبرز الحقد الشديد الذي يضمره لاعدائه بحيث ((لا يستطيع تجاوزه في هذه اللحظة التي كتب فيها القصيدة لكنه يتربص الفرصة ليطفو فوق سطح مجريات الاحداث)) (119).

ومن صور التآمر ضد الحكم الموحدي ، الدخول في الاسلام في الظاهر مع الحفاظ على الديانة اليهودية في السر . وقد ثار أحد أحبار اليهود ضد التحول الظاهري ، فافتى بأن كل اليهود الذين يعلنون اسلامهم لا انقاذ لانفسهم لا يمكن اعتبارهم يهود . ويقول بوجوب الهجرة ، وان لم يتمكن منها فعليه بقبول الموت (120).

ولكن دعاة الاسلام الظاهري احتجوا عليه ، وألفوا الرسائل لدحض حججه . ومن بينهم ابن ميمون ووالده . فقد ألف الابن ((رسالة عن الاضطهاد)) باللغة العربية يستنكر فيها اراء الحبر اليهودي (121) بمعنى أن ابن ميمون يتقبل فكرة الدخول في الديانة الاسلامية بصفة مؤقتة ، وقد طبق هذه الطريقة ليكون نموذجا يحتذى به (122). وهذا النوع من التحول الظاهري

---

118) ـ أنظر: N. Slouschz, étude sur lhistoire des juifs au maroc,p120

119) ـ أنوار اليهود في العهد المرابطي والموحدي ، ص 9 .

120) ـ أنظر: N. Sloüschz ,étude sur l'histoire des juifs au maroc,p131

121) ـ أنظر: IBID, P 131.

122) ـ لما ترجم محمد بن شاكر الكتبي لابن ميمون أوضح مسألة تحوله من اليهودية الى الاسلام وعودته لدينه الاصلي ((موسى بن ميمون ، الرئيس أبو عمران القرطبي اليهودي ، الطبيب المفتن في العلوم، كان رئيسا على اليهود بمصر ، وكان أوحد زمانه في الطب، وكان السلطان صلاح الدين يستطبه ، وكذلك ولده الافضل ، ويقال أنه كان قد أسلم بالمغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ، ولما قدم من المغرب صلى بمن في المركب التراويح في شهر رمضان ، وجاء الى الديار المصرية، وجاء الى دمشق، فاتفق للقاضي محي الدين ابن الزكي مرض خطير ، فعالجه الرئيس موسى وبالغ في نصحه، فرأى له القاضي ذلك وأراد مكافاته على ذلك ، فحلف ايمانا مغلظة أنه ما يأخذ شيئا أبدا . ثم بعد مدة اشترى دارا وسأل من القاضي تقديم التاريخ الى خمس سنين متأخرة ، فما بخل القاضي عليه بمثل ذلك ، وخدم القاضي الفاضل ، فجاء من كان في المركب وقالوا : جاء معنا من المغرب وصلى بنا التراويح في السنة الفلانية ، فأنكر ذلك وأخرج المكتوب وقال : أنا كنت في دمشق قبل هذه السنة مدة وأشتريت دارا وهذا خط القاضي بذلك، فلما رأى الفاضل خط محي الدين ابن الزكي بالثبوت ما شك فيه واشتغت القضية بخبث هذا الشيطان)). أنظر : فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس بيروت، دار الثقافة ، 1974، ج 4، ص 175 ـ 176 .

عرفتـــه أوروبا في العصور الوسطى . اذ عبر عن هذه الحقيقة أحد رجال الدين المسيحيين بقوله : ((كان اليهود عادة يتحولون عندما تبرز أمامهم فوائد ووعـــود مادية، أو عند شعورهم بالتهديد ، وليس هنالك أي دليل على اخلاصهم)) (123).

فظاهرة التحول للحصول على فوائد مادية أو معنوية، جائزة في الاوساط الدينية اليهودية ويزكيها كبار الحاخامات اليهود مثلما زكاها موسى ابن ميمون وهي تدل على نفاق اليهود ، والوصول الى ما يهدفون بطرق تتجاوز الاعراف الاخلاقية، انطلاقا من القاعدة القائلة ((تمسكن حتى تتمكن)).

4) ــ مشروع انشاء دولة يهودية :

عرفنا كيف أن المغرب الاسلامي أصبح مركزا هاما لتجمـــع اليهود ، إن لم نقل أكبـــر مركز خلال العصور الوسطى . ففي الاندلس تذكـــر الاحصائيات وجود حوالي نصف مليون نسمة أو أكثر (124). ونتيجة للحرية التي يتمتع بها اليهود ، ظهرت في أهم المدن المغربية مراكز للدراسات اليهودية ـــة التي استقطبت أهم العناصر اليهودية المثقفة . ومن أهم المدارس ، القيـــروان، وتلمسان (125) وفاس ، وقرطبة، واليسانة وغيـــرها .

ونجـــد الكثير من اليهود قد توصلوا الى مراكز هامة في أجهزة الحكم بالمغرب التي تعاقبت على تاريخ المغرب . اذن فالعوامل متوفرة لابـــراز مشروع يؤدي الى انشاء أو تكوين امارة أو دولة يهودية في المغرب على غرار مملكـــة الخزر التي ظهرت في أوروبا الشرقية حينما تحول ملك هذه المملكة وحاشيته ، وعدد كبير من شعبـــه الوثنيين الى الديانة اليهودية (126).

وأحسن فرصة ملائمة لتنفيذ هذا المشروع كان أثناء عهـــد ملوك الطوائف بالاندلس أي حينما كان الصراع على أشده بين المسلمين والنصارى واليهود كانوا يعملون على تأجيج نار الفتنة بالمشاركة في المؤامرات والدسائس (127)

---

123) ــ بريز ، بابوات من الحي اليهودي ، ص 46.

124) ــ التل ، خطر اليهودية ، ص 117 .

125) ــ أنظر : N. Slouschz , étude sur l'histoire des juis au Maroc ,P 77 et 99

126) ــ بنيامين فريد مان، يهود اليوم ليسوا يهودا، ترجمة زهدي الفاتح، دار النفائس، 1963، ط 2، ص 19 .

127) ــ أنظـــر: H. Graetz, les juifs d'Espagne , P 201.



وفـــي الوقت الذي كانت فيه هذه الدويلات متصارعة لم تستطع توحيد جهود ما للحد من الخطر المسيحي ، بالاضافة الى ضعفها . في هذا الظرف ظهر المشروع اليهودي وقد كان صاحبه يوسف بن نغريلة الوزير في الدولة الزيرية بغرناطـــة، الذي كان يمني نفسه بأن يصبح الحاكم الفعلي لهذه الدولة، ولكن الظـــروف لم تهدأ حوله بسبب كره العامة والخاصة له في غرناطـــة .

ومن المصادر التي تحدثت على مشروع ابن نغريلة ابن عذاري الذي كتب في هذا الموضوع يقول : ((... وذلك أن هذا اللعين ـ يوسف ابن نغريلة ـ طلب أن يقيم لليهود دولة فدس الى ابن صمادح صاحب المريـــة في السر أن يدخله غرناطـــة ويكون اليهودي في المريـــة)) (128).

حاول يوسف بن نغريلة انشاء امارة يهودية حينما شعــــر بالخطر المحدق حوله (129) نتيجة السياسة التي انتهجها ، والاعمال التي كان يقوم بها والتي كما عرفنا جلبت له عداوة العامة والخاصة، مقابل تسليم غرنـــاطة ليحي بن صمادح في مقابل تنازل هذا الاخير على المرية لاقامة مشروعه . وهـــو المشروع الذي كان اليهود يتمنون اقامته منذ مدة حيث مهدوا الى ذلك باعلانهـــم عن قرب بعث المسيح (130) ((تبشيرا بما تنبأ به دانييل (131) الذي توســـم فيه اليهود النبوة ، فاطلقوا اسمه على أسفار التلمود التي تتضمن تنبؤات أحبارهـــم بمصـــير العالم ، فقال دانيال أن بعث السيد المسيح يصادف قيـــام دولـــة اسرائيل بعام 1010 ميلادية)) (132) أي بداية القرن الخامس الهجري (133) وعلى الرغم من أن هذه الحسابات لظهور المسيح قد لاقت انتقادات من جانـــب كبيـــر من اليهود (134) فان عدد آخر منهم قد آمن بهذه الفكرة ، وعمـــل على ترويجها لتحقيق نشأة الدولة اليهودية . وليس من المستبعد أن يؤمن يهـــود المغرب عن قناعة بظهورها ، وبالتالي العمل على تحقيقها .

---

128) ـ ابن عذاري ، البيان ، ج 3، ص 266 .

129) ـ فـــراد ، القوى المغربية، ص 93 .

130) ـ المسيح : تعني بالعبرية الرجل الذي ظهره يهوه ، بمعنى النبي أو المخلص الذي يرسله يهوه لانقاذ بني اسرائيل وتطلق أيضا على الملوك والانبياء، وكل الرجال الذين يقومون بعمل ديني مقدس أنظر، محمـــد فريد حجاب ، المهدي المنتظر بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 20 .

131) ـ دانييل : يعده التقليد المسيحي ضمن كبار الانبياء، وهو سفر من أسفار العهد

132) ـ الرايد اوي ، دراسات ، ص 69 .

133) ـ يوافق هذا التاريخ سنة 401 هجرية .

134) ـ حجاب، المهدي المنتظر ، ص 22 .

وفي الواقع ان المصادر التي تحدثت عن فكرة انشاء امارة لليهود في الاندلس قليلة، اذ انفرد ابن عذاري كما رأينا بالقول بانشائها دون غيره من المؤرخين . ولم يشر الامير عبد الله الى هذا الموضوع على الرغم من أنه عاصر الاحداث وتصرف عن كثب على الوزير ابن نغريلة ، ولا تخفى عليه اهدافه ومشاريعه . فحينما تطرق الى علاقة الوزير اليهودي وابن صمادح وتهيئة الظروف الملائمة لحليفه للدخول الى غرناطة فاتحا قال : ((وكتب اليهودي الى ابن صمادح يخبره بخروج القوم الغوغاء من المدينة ، وأنه لم يبق فيها الا من لا يؤبه له ، ويحصدهم سيفه اذا دخلها ، وأنه متهيء لفتح أبوابها متى جسر وطرقها ، وضع النظر في سائر الحصون غير القواعد ، وأهمل ما يرتهقون به من الرجال والعدد على وجه الغفلة حتى خلت)) (135) فالامير يوضح الدور الذي قام به يوسف لتهيئة الظروف الملائمة لدخول ابن صمادح الى غرناطة ، دون الاشارة الى فكرة تقديم ابن صمادح المرية بالمقابل الى يوسف بن نغريلة لانشاء امارة يهودية . فهل الامير عبد الله يجهل مشروع الوزير اليهودي ؟ من خلال ما سجله في مذكراته لا يعلم الامير الزيري بهذا المشروع لذلك لم يتطرق اليه .

والسؤال الذي يطرح لماذا اختار يوسف بن نغريلة المرية لانشاء امارة ، ولم يتخذ اليسانة قاعدة له ، والتي تعتبر دولة داخل دولة لكثرة اليهود بها (136) ؟

يبدو أن العامل الاساسي لاتخاذ مدينة المرية كقاعدة للدولة اليهودية ، تنازل ابن صمادح عنها مقابل ارتقائه عرش غرناطة . فالتفاهم بين الرجلين هو الذي أدى الى بداية تحقيق المشروع اليهودي ، هذا المشروع أو هذه الفكرة التي راودت اليهود في القرن الرابع الهجري وأهم من كان يفكر في ظهور دولة يهودية تجمع اليهود حسداي بن شبروط (137) .

ومن العوامل الاخرى أن المدينة تحتوي على قصبة حصينة ومنيعة (138) وهي ذات مركز تجاري ممتاز كميناء يربط بين المغرب والمشرق فالمراكب تصل اليها من المشرق ومن الاسكندرية (139) .

---

135) ــ الامير عبد الله ، التبيان ، ص 53 .

136) ــ اسماعيل العربي ، دولة بني زيري ، ص 139 .

137) ــ أنظر: Graetz, les Juifs d'Espagne, p.95.

138) ــ الزهري ، كتاب الجغرافيا ، ص 206 .

139) ــ نفسه ، ص 206 .

ان الامارة تقوم على أسس متينة كالادارة والاقتصاد والجيش،
فهل فكر ابن النغريلة في كل هذه المسائل لانجاح مشروعه ، أم عمل أولا في الحصول على المدينة ، واعلان نفسه أميرا ، ثم تتحرك الجموع اليهودية لمساندة هذه الامارة ؟

ان الاجابة صعبة للغاية ، لان الشواهد التاريخية مفقودة لدينا في الوقت الحالي . فما جاء به ابن عذاري غير كاف للاجابة على هذا السؤال أما المصادر والمراجع التي تطرقت لتاريخ المغرب الاسلامي لم تعط الاهمية اللازمة لهذه المسألة . ولعل المصادر العبرية كفيلة بالاجابة عليها . أما المراجع التي أمكن الاطلاع عليها فلا تتحدث على مشروع يوسف بن النغريلة ، ولا تشير اليه تماما .

5) ــ علاقة يهود المغرب بيهود العالم :

لما فتح المسلمون المغرب ، ابتهج اليهود بقدومهم ، خاصة الجاليات الموجودة بالاندلس التي رحبت بالفاتحين فاستعانوا بهم في حراسة المدن المفتوحة (140) . وبعد اتمام عملية الفتح بدأ اليهود يتقاطرون من كثير من المناطق على المغرب لتسامح المسلمين ، حيث تركوا لليهود حرية ممارسة ديانتهم ، والقيام بالاعمال التجارية ، والمشاركة في الحركة الاقتصادية . فأصبح المغرب منطقة جذب لليهود . فكبرت جاليتهم في المدن المغربية كالقيروان ، وتلمسان ، وفاس ، وسجلماسة ، وغرناطة ، وجيان ، واليسانة ، وغيرها من المدن . وما أن أشرف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد ، حتى أصبحت منطقة المغرب تضم أكبر جالية يهودية في العالم . لقد وفر المسلمون لليهود الراحة بفضل التسامح الديني الذي لم يعرفه اليهود من قبل ، الا في فترات قليلة . ففي دار الاسلام كانوا يعتبرون كرعايا ضمن المجتمع الاسلامي ، لهم قانونهم الخاص واعترف لهم بما منح على المسلمين شريطة اعتراف دائنهم بذلك (141) وتهيأ لهم الجو للعيش في ظل حضارة راقية (142) .

ولكن تواجدهم بالمغرب ، والمشاركة في حركة المجتمع الاسلامي في جميع الميادين ، لم يمنعهم من قطع صلتهم ليهود العالم . فمدرسة القيروان اليهودية كانت على علاقة وطيدة بمثيلتها في العراق (143) .

---

140) ــ مجهول ، أخبار مجموعة ، ص 22 ، 25 ، ابن الخطيب : الاحاطة ، ج 1 ، ص 101 .

141) ــ أنظر : Louis Gardet, la Cité Musulmane, vie sociale et Politique Paris, librairie Philosophique, j. vrin , 1976, P 87.

142) ــ أنظر : Zafrani Pédagogie juive , P 16.

143) ــ أنظر : Slouschz , Etude sur l'histoire des juifs , P 59, 61.

وقد [illegible] أحد العلماء في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي رسالــة حول [illegible] والتلمود بطلب من جالية القيروان ، وبعثها الى يعقوب بن نسيم(140) المستقر بهذه المدينة . والوثائق العبرية تبين العلاقات المستمرة بين يهود قاعدة افريقية ويهود المشرق (141).

وحينما ظهرت مدرسة قرطبة عمل حسداي بن شبروط على جلــب العلماء من المشرق لتصبح القطاب الذي يجذب اليه كل يهود المغرب والمــشرق (142) وقد كان لحسداي علاقات مع يهود اسبانيا ، والمشرق ، وايطاليا البيزنطية وتولوز ، ومملكة الجزر (143) اليهودية التي بعث ابن شبروط رسالة الى ملكهـــــا يقدم اليها الولاء ويشرح فيها ما بذله سفراؤه من جهود للوصول الى تلك البــلاد البعيدة (144).

ولم يقتصر الابتهاج بقيام هذه الدولة اليهودية على ابن شبروطه بل تعداه الى يهود الاندلس بصورة عامة الذين هللوا لقيامها ، اذ ألف يهودا د[illegible] في كتاب " الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل " ابتهاجا لظهور دولة [illegible] وكــذا ابن طيون الذي ألف كتاب " سفرها خزر " (145). ان هذه الاعمال تبين مدى اهتمام يهود المغرب الاسلامي بما يجري في مجتمعات يهودية بعيدة ، وهو ما يدل على العلاقات بين اليهود في أقاصي الدنيا .

ولما أرسى ابن شبروط قواعد مدرسة قرطبة كافــأه يهود المغرب والمشرق لخدمته الدراسات اليهودية التي تهدف الى ربط الجاليات اليهود يــــة بالمشرق والمغرب بلقب " بريش كلاه " والتي تعني " رأس الحرش " وهو لقـــب لا يقل أهمية عن اللقب الذي ينعت به رئيس مدرسة الدراسات اليهودية بالعراق (146).

وقد قصده الشعراء اليهود من جميع أنحاء الاندلس ومن المشرق لمدحه والاعتراف بفضله (147) وهو الذي ما فتيء يعمل على دعم علاقات اليهود في المشرق والمغرب وتمهيد السبل لاستمرارها .

---

140)ـــ أنظر : Chouraqui, marche, P.69 et note n°2.

141)ـــ أنظر : Slouschz, Etude, p.59.

142)ـــ محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ص 24 .

143)ـــ أنظر : Encyclopédie de l'Islam, T.III, p.266.

144)ـــ الزيداوي ، دراسات ، ص 70 ، وأنظر : Graetz, les juifs; p.99.

145)ـــ الزيداوي ، دراسات ، ص 70 .

146)ـــ محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ص 24 .

147)ـــ نفســه ، ص 24 .

وتوضح وثائق الجنيزة مدى متانة العلاقات التي تربط يهود منطقة البحر المتوسط، فهناك الالاف من الرسائل التي جاءت الى مصر من تونس والى اسبانيا، وبيت المقدس، ودمشق وحلب (148).

فنستخلص من تواجدها في مكان واحد على أهمية الروابط التي تربط الجاليات اليهودية ببعضها من الناحية الدينية لفرض نفوذهم السياسي لان ((قمة الايمان عندهم كانت تقاس بمدى نفوذهم ككتلة سياسية)) (149).

وقد أوضح الاستاذ جواتيا بن عقلية اليهود الدينية التي تتعداها الى معاملات اليهود فيما بينهم ((... فان الناس ادعوا بأن الشخص الذي يؤدي واجباته نحو الله من الممكن ان يوثق به في تعاملاته مع بني جلدته)) (150).

والرسائل المحفوظة في جنيزة القاهرة لم ترد من المغرب، أو من حوض البحر المتوسط، بل هناك الكثير من الرسائل التي جاءت من اليمن، والهند، ومن أوروبا الغربية المسيحية (151) وهو ما يبين الارتباط الروحي والمادي لليهود في العالم خلال مرحلة العصور الوسطى.

وتحتوي وثائق الجنيزة على معلومات تاريخية وسياسية وعسكرية للدول المعاصرة منها ((وهنالك في الجنيزة اشارات وتلميحات كثيرة الى مسؤولين مسلمين كبار وشخصيات هامة من كل بلاد العالم الاسلامي، من اسبانيا الى سوريا ومن صقلية حتى اليمن)) (152)، فهذه المعلومات الاخبارية تكشف عن الدور الذي كان يقوم به اليهود في مجمل العالم الاسلامي لتبادل المعلومات حول المجتمعات التي يعيشون فيها وهو ما يؤكد الترابط الدائم والمستمر للجاليات اليهودية.

وعلى الرغم من البعد الجغرافي فان يهود الاندلس قد ربطتهم علاقات بيهود خراسان فقد جاء في وثائق الجنيزة ـ رسالة توصية كتبها سليمان بن جودة رئيس أكاديمية اليهود بالقدس ما يلي : ((حامل هذا الخطاب يهودي من خراسان، أوصاني به كثيرا اصدقائي في اشبيلية،

---

148) ـ جواتيان، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص 151.

149) ـ الزبيداوي، دراسات، ص 69.

150) ـ جواتيا، دراسات، ص 154.

151) ـ نفسه، ص 193.

152) ـ نفسه، ص 199.

وهـــو الان سائر الى القاهرة أرجو أن توليه اهتمامك)) (153). فهـذا الخطاب على اقتضابه ـ لان الوسالة لم تنشر كاملة ـ يلمس منها علاقات اليهود بالاندلس مع يهود خراسان ، والصداقة الحميمة بين سكان يهـــود من اشبيليـــا ورئيـــس اكاديميـــة القـــدس.

وهذا أحد المؤرخين اليهود يتحدث عن وسطاء التجارة اليهود بالاندلس وعلاقاتهم بزملائهم في مواطن أخرى بعيدة (154) وهذه العلاقـــة هي التي تجعلهم يرتادونهـــا بصورة مستمـــرة .

ولما سافر يهودا هاليفي الى المشرق استقبل في القاهـــرة (155) وفي صور ودمـــشق (156) استقبالا حسنا من طرف الجاليات اليهودية التي كانت دون شك تعرف قيمتـــه الروحية والادبية .

والعامل الثقافي يوضح أيضا دور علاقات اليهود فيما بينهـــم، فقـــد انتشر قاموس اللغة العبرية الذي الفه مناحم بن سروق في الاندلس بسرعة في فرنسا وايطاليا حيث عوض قاموس سعديا الفيومي الذي كان الدليـــل الاوحـــد للدراسات الدينية (157).

وهـــذا الانتشار الواسع والسريع يعطينا صورة عن علاقات يهود الاندلس بيهود البلدان المسيحية في أوروبا .

ولم تكن مدينة القيروان ، المدينة الوحيدة التي لها علاقات مع الشـــرق، فكثيرا من المدن الاخرى كانت لها علاقات مع الشرق الاسلامـــي كتلمسان (158) وفاس (159) وسجلماسة فمن هذه المدينة بعث رجال الديـــن اليهود يطالبون من مدرسة العراق فتوى حول تحريم أكل أنواع من الجراد (160) .

---

153) ـ نفســـه ، ص 214 .

154) ـ أنظر: H.Graetz, les juifs d'Espagne, p.73.

155) ـ أنظر: Ibid, p.236.

156) ـ أنظر: Ibid, p.240.

157) ـ أنظر: Ibid, p.112.

158) ـ أنظر: N.Slouschz, étude, p.77 et 99.

159) ـ أنظر: Ibid, p.77.

160) ـ أنظر: Ibid, p.99, note n°1.

ومما لا شك فيه أن الاعمال التجارية ، التي كان يقوم بها اليهود سواء في حوض البحر المتوسط، أو أوروبا أو آسيا ، قد ساعدت الجاليات اليهودية المتفرقة عبر أقطار العالم ، بربط علاقات متينة فيما بينها ، اذ كانت عن طريق رحلات أفرادها ، تطلع ، وتتعرف على كل ما يحدث لبني دينهم في كل المناطق التي يستقرون بها ، اضافة الى المعلومات الاقتصادية المتعلقة بالتجارة ، والسلع ، والاسعار ، والاسواق (161) . وهو ما يؤكد الترابط الروحي والمادي للجاليات اليهودية . هذا الترابط الذي لم يساعد اليهود كثيرا في الارتباط بالارض التي ولدوا فيها ، أو المناطق التي يحلون بها ، مما جعل هذه الجاليات تشعر بالانزواء ، والانطواء ، ونتيجة لذلك تتقوقع على نفسها ، وتعتقد انها موضع اضطهاد من الاخرين .

وبصورة عامة فان يهود المغرب الاسلامي ، كانوا على علاقة وطيدة مع بقية الجاليات في المشرق (162) وأوروبا وآسيا بدافع روحي في الظاهر، ولكن المصلحة المادية هي الهدف الاساسي والاسمى لهذه الجاليات ، التي نجدها في غالب الاحيان تتمركز في مفترق الطرق التجارية المحلية أو العالمية (163) بهدف الحصول على الربح دون النظر الى الوازع الاخلاقي ، فالكتب اليهودية الدينية تؤيد هذه الممارسة .

وخير من وصف حضارة اليهود كارل ماركس فيرى بأنها حضارة السوق أو عقيدة التاجر (164) . ومن أهم من فهم اليهود الاستاذ : برنز حينما كتب :((ولكن لا ينكر أن شهرتهم ونجاحهم كتجار دوليين سببها ان اليهود عاشوا في جميع أقطار العالم ، وأن التفاهم ساد مجتمعاتهم خلال جميع الاقطار، من اسبانيا غربا حتى الهند والصين شرقا)) (165).

---

161) — تذكر وثائق الجنيزة معلومات في هذا الشأن عن الهند ، راجع جواتياين ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ص203 — 204، موريس لومبار، الاسلام، ص 34 .

162) — أمين توفيق الطيبي ، جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من خلال رسائل جنيزة القاهرة ، ضمن Actes du III Congrès d'histoire et de la civilisation du Maghreb, Alger ,O.P.U, I98I, T.I, p.52.

163) — موريس لومبار ، الاسلام في مجده الاول ، ص 305 — 306 .

164) — الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 5 .

165) — يواكسم برنز ، بابوات من الحي اليهودي ، ص 43 .

ومجمل القول فان اليهود قد تقلدوا وظائف ادارية وسياسية هامة في قمة هرم الدول المغربية كعمال ، وخزانين ، وتراجمة، وسفراء، ووزراء، خاصة هذا المنصب الاخير حيث ارتقى ابن نغريلة الذي صال وجال في دولة بني زيري بغرناطة وكانت له اليد الطولى في شؤون الدولة .

كما تحمل بعض اليهود أعباء السفارات من بعض الدول الاسلامية المغربية الى نظيراتها المسيحية ، ونخص بالذكر ابراهيم الطرطوشي ، ومنهم من رافق سفارات هامة كحسداي بن شبروط ، وابن سهل الاسرائيلي الذي كان ضمن وفد سبتة قصد مبايعة الامير الحفصي .

وعلى الرغم من هذه المكانة التي احتلها اليهود في المغرب الاسلامي كرعايا – مواطنين حسب التعبير المعاصر – لهم حقوق وعليهم واجبات تقتضيها طبيعة المجتمعات في العصر الوسيط فانهم شاركوا في مؤامرات ودسائس خبيثة ضد المسلمين ، واصدق مثال ابن نغريلة الذي حاول تفريق وتشتيت رجالات البيت الزيري في غرناطة معتمدا على سياسة فرق تسد حتى ينفرد بمقاليد الحكم ، وهذا في غياب حاكم مسلم قوي الشكيمة، قادر على السيادة الفعلية .

وقد حاول اليهود في الاندلس اقامت دولة يهودية، قاعدتها المرية بتواطؤ مع ابن صمادح ، غير ان القاعدة الشعبية ، افسدت هذا المشروع، بالثورة بمدينة غرناطة، واستطاعت قتل العقل المدبر لهذا المخطط الذي ما زال يحيط به الغموض .

أما عن علاقة يهود المغرب الاسلامي بالجاليات الاخرى في العالم ، فهي دائمة عبر الازمنة من جميع النواحي الاقتصادية والروحية، ووثائق الجنيزة اليهودية تؤكد هذه العلاقة التي لم تنقطع.

كانت منطقة المغرب منذ القديم ، منطقة جذب للعناصر الاجنبية، والغرباء سواء كانت أفرادا أم جماعات ، ومن بين العناصر التي ارتادت الاراضي المغربية اليهـود .

وعلى الرغم من اتفاق اغلبية الكتاب والمؤرخين ، الذين كتبوا عـن المغرب العربي على استقرار العنصر اليهودي منذ العهد الفنيقي بهذه الديار فان الشواهد الاثرية لا تؤكد هذه الحقيقة بصورة قطعية ، وان دل ذلك على شيء، فانما يدل على قلتـه في أهم المراكز العمرانية كقرطاجة . فان كانت الاثار لا تسمح بتكوين فكرة متكاملة على الوجود اليهودي في المنطقة الشماليـة من المغرب . فان المصادر التاريخية القديمة تتحدث عن استقرار جاليات يهوديـة في منطقة برقـة التي تحولت من أهم مناطق تجمعهم .

وفي العهد الروماني ، بدأت الهجرة اليهودية الى المغرب العربي تتضح اكثر فأكثـر ، وهذا على الرغم من التصادم الديني والسياسي بين اليهـود والرومان ، والاثار تؤكد وجود تجمعات يهودية كثيرة ، وهذا نتيجة للتطورات الاقتصادية ، اذ اصبح البحر المتوسط وسيلة ربط واتصال بين مختلف أقطاره .

ولما بدأت الفتوحات الاسلامية في المغرب ، رافقتها هجرة يهوديـة، مما أدى الى ظهور العديد من الجاليات في كثير من الحواضـر المغربيـة، وحتـى في البوادي ، وهذه الحقيقة التاريخيـة تفند مزاعم المؤرخين الغربيين من ذوي النزعة الصهيونية ، الذين يقولون بانتشار الديانة اليهودية في المجتمع المغربي ، اذ يذكرون كأحسن مثال لهذا الانتشار قبيلة جراوة في الاوراس وزعيمتها الكاهنـة . غير أن المصادر التاريخية الاسلامية لا تتحدث عن وجود يهودي قبل الفتح ، ولا حتى بعـده ، ما عدا الجاليات التي تواجدت في الاندلس والتـي تحدثت عنها هذه المصادر بكل وضوح .

والذين يزعمـون طرح فكرة الوجود اليهودي ، يعتمدون على نص عبد الرحمن بن خلدون الذي يقول : ((وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانـوا بدين اليهودية أخذوه عن بني اسرائيل)) فهذا القول اعتمدوا عليـه كما هو دون مناقشـة تذكـر ، ومما زاد في تعتيم هذه المسألـة،

الترجمة الناقصة والغير دقيقة التي قام بها البارون دوسلان لتاريخ ابن خلدون .

والشواهد التاريخية تؤكد تنصر جزء من سكان المغرب اضافة الى كل هذا ، ان اليهود معروف عليهم عدم نشر ديانتهم ، حتى تبقى مقتصرة عليهم . وهي الديانة الوحيدة التي لم تقم بمثل هذا العمل خلافا للمسيحية والاسلام . وبالتالي فهم اليهود الوحيد الحفاظ على ديانتهم .

والدراسات الحديثة التي تتحدث عن الكاهنة ، لا تقر بيهوديتها ، اذ ترفض المعطيات والبراهين والحجج المعتمدة من طرف القدماء والمحدثين على حد سواء لانها تجانب الحقائق التاريخية والدينية واللغوية .

وأما عن دولة برغواطة ، التي كثر الحديث عنها في المصادر الاسلامية وغيرها ، حيث تبرز عقيدتها الفاسدة ، وتؤكد على النسب اليهودي لمؤسسها الاول . الا ان هذا الزعم يحتاج الى أدلة قاطعة فلا يمكن من خلال الاستقاءات مثلما فعل شلوش للقول بيهودية هذه الدولة . ولا يستبعد ان يكون الصراع السياسي كان له تأثير في نسج مثل هذه الرواية . فهي أول دولة ظهرت بالمغرب الاسلامي في خضم الثورات التي كان يقوم بها المغاربة خلال القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي .

وفي القرن الثالث الهجري / التاسع للميلاد ظهرت الدولة الفاطمية بالمغرب . وكان الكتاميون أهم من شد ازرها ، ونصرها . فاستقرت بافريقية . وواجهت هي الاخرى مسألة تتعلق بالنسب اليهودي على غرار دولة برغواطة . وقد شدت هذه القضية أكثر من باحث . ويبدو أن التلفيق التاريخي الناجم عن الصراعات السياسية والمذهبية كان له دور هام في طرح هذه المسألة . غير أنها بدأت تأخذ منحى آخر بمرور الزمن ، بعد أن خمد الفوران السياسي والمذهبي . فحتى بعض المستشرقين اليهود كلويس برنارد (LOUIS BERNARD) رفض الاطروحة المضادة القائلة بالنسب اليهودي للفاطميين .

الخاتمة

فظاهرة الاحياء هذه تمس المسلمين أنفسهم ، اذ نجد المدن مقسمة الى أحياء ، كحي الفهريين ، وحي المغاربة ، وغيرهم .

وعندما يتحدث المستشرقون عن الاحياء الخاصة باليهود نتيجة العنصرية ، لا يتحدثون عن العنصرية التي ينتهجها اليهود اتجاه الاخرين ، اذ يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وكيف أن شريعتهم تبيح لهم استغلال الاخرين ، وهو ما جلب اليهم الكثير من المآسي والصعوبات .

وأما عن اللباس ، فأحيانا يفرض الفقهاء والحكام لباسا معينة على اليهود ، ولكن ليس بصورة دائمة ، وانما نتيجة لطوارئ تطرأ على المجتمع او تفشي ظاهرة معينة . وعلى العموم فمسألة اللباس موجودة تقريبا في كل المجتمعات لانه يميز طبقة معينة بالمجتمع في العصور الوسطى ، وقد تواجدت هذه الظاهرة في أوروبا الى عهد قريب .

وقد كان لليهود أعيادهم الخاصة التي يحتفلون بها ، دون مضايقة تذكر . ومن خلال بعض الشذرات ، فان هذه المواسم يتخللها تبادل هدايا بينهم وبين المسلمين ، ولكنها مازالت تحتاج الى دراسة أعمق لمعرفة مدى التأثر والتأثير .

والجاليات منظمة تنظيما اجتماعيا ودينيا ، ففي رأس الهرم يوجد الجاون أو الناجد أو الرئيس أو شيخ اليهود ، فهو المشرف على الجالية ، ويعمل على السهر على مصالحها الاجتماعية والاقتصادية ، وهو حلقة الوصل بينها وبين السلطات الاسلامية التي يعيشون في كنفها .

والتعامل مع اليهود في المغرب الاسلامي عمليا مباح في اطار الشرع الاسلامي ، فقد افتى العلماء المغاربة في هذه المسألة ، وأباحوا التعامل الخالي من المحرمات الشرعية ، والمصادر التاريخية رصدت لنا مثل هذا التعامل اليومي . وقد يصل أحيانا الى تبادل الزيارات ، وهذه الحقائق التاريخية تلغي ما يقره المستشرقون عن اضطهاد اليهود بقوانين عنصرية .

وعلى الرغم من أن اليهود في المغرب الاسلامي عاشوا عيشـــا كريما على العموم ، وهذا باعتراف المصادر ، فانهم كانوا ينافقون ويكنون الحقد على الاسلام والمسلمين ، وأهم مسألة في هذا المجال ، الدخول في الديـن الاسلامي ظاهريا فقـــط ولم تنفرد المصادر الاسلامية بالحديث عن هذه الظاهرة ، وانما المصادر اليهودية كوثائق الجنيزة تؤكد هذه الحقيقـــة، والعلماء اليهود يزكونها ويباركونها على غرار حبرهم الاكبر موسى بن ميمـــون .

وفي الميدان الاقتصادي ، شارك اليهود في جميع الانشطة في الحواضر والريف، وفي التجارة والصناعـــة والمال دون مضايقـــة ، ويركز المستشرقون على العبيد في المجتمعات الاسلامية ، ولكنهم لا يتوقفون طويـــلا عند تجار العبيد اليهود ، ودورهم في هذه التجارة العالمية ، وابتداعهم لظاهرة الخصاء .

وفي الجانب الثقافي ، كانت لليهود دورهم الثقافية الخاصة من مدارس ومعاهد عليا على غرار ما كان في مدينة القيروان ، وغرناطـــة، وقرطبـــة، واليسانـــة .

ان احتكاكهم بالمسلمين ، وعيشهم في كنف المجتمع الاسلامي المغربي ، أوجـــد الظروف الملائمـــة لتطوير الثقافة اليهودية واحيائهـــا ، اذ تأثروا بسائر العلوم الاسلامية من أدب وفلسفـــة وفقـــه من حيث المنهج والمحتوى، وأصبحت منطقة المغرب الاسلامي أعظم مركز ثقافي لليهود .

ولهذا احتدم الجدل الثقافي بين المسلمين واليهود ، وقد برز فـي الجوانب الفلسفية ، وخاصة الدينيـــة ، اذ حاولوا اظهار باعهم الحضاري . ومن أهم المجادلات العنيفة ، مناظرة ابن حزم الاندلسي وابن النغريلـــة، حيث كانت المناظرة بينهما تعتبر قمة الجدل بين المغاربة واليهـــود ، لما للرجلين من مكانة علمية تبدو في اطلاع كلا منهما على اسرار الديانتيـــن الاسلامية واليهوديـــة .

وكان لليهود دور في نقل الثقافة العربية الاسلامية الى أوروبـــا ، لمـــا عملوا كتراجمـــة للتراث والمعارف الاسلامية حين تأسست دور الترجمة بها ، وأيضا حين هاجروا من المغرب الاسلامي قصد التوطن خارج أرض الاسلام ،

فحملوا معهم المعارف التي تلقوها أثناء وجودهم بين ظهراني المغاربة .

وبذلك كان اليهود ، القناة التي عبرت منها الثقافة العربية الاسلامية الى أوروبا ، فمن خلالها تعرف الاوروبيون عن ابن رشد وفلسفته العقلية ، وعلى معارف كثيرة وضعت أسس انفتاحهم على العلوم .

وتبوأ اليهود وظائف ادارية وسياسية هامة في نظم الدول الاسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب الاسلامي ، من أهمها خاصة الوزارة ، التي تقلدها كل من اسماعيل ويوسف بن النغريلة .

وتقلد عدد هام منهم ، مهام دبلوماسية لحساب الدول الاسلامية المغربية كحسداي بن شبروط ، وابراهيم بن يعقوب الطرطوشي ، وابن مشعل سفير ابن العباد لدى ملك قشتالة .

ومن دسائس اليهود ، استغلالهم للمناصب الكبيرة ، للقيام بمؤامرات قصد زرع التفرقة ، مثلما فعل كلا من اسماعيل ويوسف بن النغريلة .

كما تواطأوا مع اعداء المسلمين ، حين استيلاء الكامبيطور المعروف بالسيد بلنسية ، فأذاقوا المسلمين العذاب الاليم .

وعلى الرغم من الحرية التي كانوا يتمتعون بها ، تآمروا لانشاء دولة يهودية في الاندلس غير أن المشروع فشل وهذا ما يؤكد التنكر للمسلمين الذين عاشوا بين ظهرانيهم ، وللاسلام الذي استفادوا من ظله .

ولم يكن يهود المغرب الاسلامي ، معزولين عن بقية الجاليات اليهودية في العالم ، بل كانت لهم علاقات وطيدة اقتصادية ودينية ، واجتماعية ، دون أن يتدخل المغاربة لوضع حد نهائي لها ، وهو ما يبرز أهمية الحرية التي يتمتع بها هؤلاء في أرض الاسلام كرعايا لهم حقوق ، وعليهم واجبات .

وهذا ما يبين التسامح الذي أظهره المسلمون المغاربة تجاه الجاليات اليهودية ، مما ينفي أطروحة المستشرقين القائلة بسوء حالتهم في ظل قانون أهل الذمة ، اذ يعتبرون أدنى مرتبة من الرعايا المسلمين . فحرية العمل في جميع المجالات التجارية والمالية والصناعية ، والحصول على مراكز حساسة في جهاز الدول الاسلامية في المغرب خير دليل للرد على كل المغرضين ، الذين يريدون تشويه الواقع التاريخي خدمة لاغراض صهيونية واضحة ، وبهدف اعطاء

فكـرة خاطئـــه عن المجتمعات الاسلاميه، التي تحتوي جاليات يهوديـــه واظهارها في مظهـــر الضحيـــه، لجلـــب العطف عليهـم، والسخط علـــى المسلميـــن .

وهذه الاستراتيجيـــه، مـا تزال متبعه من طرف الصهاينـه الى اليوم اذ يعتمدون على التزيف لربح الرأي العام وتوجيهه ، لتحقيق أغراضهم الخفيه .

فاليهود في المغرب الاسلامي، عاشوا متمتعيـــن بكل الحقوق الممكنه، تحت رايـه الاسلام في اطار قانون أهل الذمه الذي يتيح لغير المسلمين العيش في ديار الاسلام كرعايا تتكفل بهم الدوله الاسلاميه، فان تجاوزوا النظام الشرعي ، فلهم جزاء المسلم الذي يخرج عن القواعد الشرعيه الاسلاميه، وهو ما لم تحققـه الدول المعروفه بالديمقراطيه اليوم ذات النظام القانونـــي الموحـــد .

الملاحق

الملحق الاول :

ما يميز به أهل الذمـــة

وسئل الامام أبو عبد الله المازري (1) رحمة الله عن تغيير حالهم بما يظهرون به ويتميزون عن المسلمين ، وهل يأمرهم القاضي بصبغ أطرافهم ؟ ولو لم يفعل القاضي هل لمن قام به من المسلمين ممن ظاهر حاله الستر والصون القيام بذلك أم لا ؟

فأجاب كون اليهود يكلفون تغيير أطرافهم أو اتخاذ علم يتميزون به ، هذا مما فعل عندنا حديثا وقديما في الامصار الكبار ، وفيه تفصيل يطول القول فيه . انتهى .

قيل (2) : فظاهره أنه عام في الذكور والاناث . وقوله في الامصار الكبار معناه حيث يكثر اللبس ، وأما الصغار أو حيث تكون القرية لهم فظاهر كلامه أنه لا يحتاج اليه . والصواب أن لا بد من تمييزهم مطلقا ، اذ لا بد من مخالطتهم المسلمين لانهم بين أظهرهم والله أعلم .

الونشريسي ، المعيار ، ج 2 ، ص 259 .

اليهودي اذا تزيى بزي المسلمين

وسئل بعضهم عن يهودي تشبه بزي المسلمين وأسقط حليته التي يعرف بهـــا .

فأجاب : بانه يعاقب بالسجن والضرب ، فيطاف به في مواضع اليهود والنصارى ، ردعا لامثاله وتشريدا لهم بسبب ما حل به .

وقد كتب ابن أبي طالب (3) الى بعض قضاته أن يلزم اليهود والنصارى أن تكون زنانيرهم عريضة في وجه الثوب ، ليعرف بها . فمن ركب النهي بعده ضرب عشرين سوطا مجردا ثم صير به الى الحبس ، فان عاد ضرب ضربا موجعا وبالغ فيه وأطيل حبسه .

الونشريسي ، المعيار ، ج 6 ، ص 69 .

---

1) — عن ترجمة الامام المازري وعصره وتأليفه ، راجع أبو عبد الله محمد بن علي ابن عمر المازري ، المعلم بفوائد مسلم ، تقديم وتحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1988 ، ج 1 ، مقدمة المحقق ، ص 9 — 155 .

2) — يتدخل هنا الونشريسي في اجابة الامام المازري ، ويعلق عليها ، موضحا رأيه في المسألة حيث لا يكتفي بالنقل .

3) — قارن ما جاء في هذه الفتوى عند الونشريسي ، المعيار ، ج 6 ، ص 421 ، وعن لباس أهل الذمة عامة واليهود خاصة ، راجع ص 122 من هذا البحث .

الملحق الثاني :

حكم معاملة اليهود

وسئل (1) هل تجوز معاملة اليهود بالبيع والشراء منهم والاستدانة أولا ؟ فأجاب : اذا اشترى الرجل وباع من اليهود على ما يجوز شرعا ولا يعمل معه بربا ولا بوجه لا يسوغ في الشرع فذلك حلال طيب سائغ.

ذمي استظهر على مسلم برسوم وادعى المسلم قضاء ما فيها

وسئل عن رجل من يهود الذمة استظهر على رجل من المسلمين بثلاثة رسوم أحدها لتاريخه خمسة عشر عاما ، والرسمان لتاريخهما أحد عشر عاما وذكر أنه بقيت لهم من كل واحد منها بقية وطلبه بها فادعى المسلم المذكور أنه خلصه من الرسوم المذكورة فبينوا لنا هل يكون القول قول الغريم فيحلف أنه خلصه من مضمن الرسوم وبينوا لطول المدة أولا يلتفت الى قوله الا ببينة ؟ والله يديم عافيتكم .

فأجاب: من عادة اليهود لعنهم الله استحلال أموال المسلمين وذلك عادة فيهم حتى ذكرتها الله عنهم (2)، والعادة أن أحدا لا يترك ما له عند غيره مدة طويلة فكيف بكافر مع مسلم ، وقد قال الفقهاء أن من عرف بالتعدي والظلم فيغلب الحكم في حقه ، فمن ادعى على من هذه حاله فيحلف هذا الطالب ويستحق ما طلب والعكس في هذه فكذلك يقضي في قضية اليهود أن يحلف المسلم أنه خلصه من ذلك الحق فاذا حلف سقط حق اليهودي .

الونشريسي و المعيار، ج 5 ، ص 244 ـ 245 .

---

1) ـ هو ابن السراج ، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية ، لمخلوف ص 248 .
2) ـ عن اليهود في القرآن الكريم راجع ، محمد عزة دروزة ، اليهود في القرآن الكريم ، بيروت ، دمشق ، المكتب الاسلامي ، 1980 ، عفيف عبد الفتاح طبارة ، اليهود في القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط 9 ، 1982 ، محمود سيد طنطاوي ، بنو اسرائيل في القرآن والسنة ، القاهرة ، الزهراء للاعلام العربي ، ط1 ، 1987 ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، الجزائر ، شركة الشهاب ، ط 1 ، 1987 ، محمود بن الشريف ، الشعب الملعون في القرآن ، بيروت ، دار مكتبة الهلال ، دون تاريخ .

الملحق الثالث:

كيف يعامل الجــار اليهودي ؟

وسئل القابسي (1) عن رجل بجواره يهودي قد ربي معهم، فربما جاءوه في حاجة ،أو عرضت له اليهم حاجة ،وربما مشى في طريق ملاصقة لهم ، فيجري بينهم حديث وابتسام ،وكلام لين ،وهذا الرجل يقول : الله عالم ببغضي لليهود ولكن طبيعي لين : أتراه من هذا في حرج أم لا ؟ وما يرد عليه اذا سلموا عليه ،أفتنا رحمك الله .

فأجاب: ان كنت تسأل لنفسك فلا تخالط من على خلاف دينك، فهو أسلم لك . وأما جارك من أهل الذمة، فيستقضيك حاجة لا مأثم فيها ، فتقضيها له فلا بأس . أما لين قولك له ان خاطبك فان لم يكن فيه تعظيم له ولا تشريف ،ولا ما يغبطه في دينه ، فلا بأس اذا ابتليت به ،وأما ان سلم عليك فالرد عليه أن يقول : وعليك ،ولا تزد (2). وأما سؤالك عن حاله وحال من عنده ،فمالك فيه فائدة ، وما عليك منه ان أنت لم تكثر ولم تفرط فيه ،ولكن بقدر ما يدعو اليه حق الجوار والله يعلم المفسد من المصلح ،والله ولي بالتوفيق .

الونشريسي ،المعيار، ج 11، ص 300 ـ 301 .

---

1) ـ راجع ترجمته لـــــدى ،ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،ج 3 ،ص 320ـ 322 .

2) ـ لا يخرج القابسي في هذه المسألة عن آداب السلام الاسلامية ،اذ جاء عند النووي ((وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلـــى الله عليه وسلم : اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : عليكم)) ، راجع رياض الصالحين ،ص 290، راجع أيضا ،ابن مسلم ،الجامع الصحيح ،ج 7 ، ص 3 ـ 4 ـ 5 .

الملحق الرابـــــع:

سكنى يهودي في درب المسلمين

وسئل (1) عن يهودي اشترى دارا من مسلم في درب ليس فيه الا مسلمون من أهل العافية والخير فسكن اليهودي الدار وآذى الجيــــران بشرب الخمر وفعل ما لا يجوز وللدرب بئر بازاء هذه الدار فصار يملأ معهم بدلوه وحبله وقلتــــه فامتنع أهل الدرب من الامتلاء منها هل يجوز ابقاؤه أم تبـــاع عليه ؟ واذا بقي هل يملأ معهم أم لا ؟

فأجاب: يمنع من أذاهم بما وصف من شرب الخمر وفعـــــل ما لا يجوز فان انتهى والا أكريت عليه وأما الاستسقاء من البئر فخفيف.

الونشريسي ، المعيار، ج 9، ص 437.

---

1) ــ السيوري : هو أبو القاسم عبد الخالق ابن عبد الوارث التميمي ، راجـــــع ترجمته معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، للدباغ ، ج 3، ص 181ــ 184، راجع عن سكن أهل الذمة في بلاد الاسلام ، ابن قيم الجوزيـــــة، أحكام أهل الذمة ، ج 2 ، ص 765 وما بعدها .

الملحق الخامس:

المدرسة التقليدية اليهودية في المغرب الاسلامي

تعد المدرسة التقليدية اليهودية التي ظلت قائمة الى وقت قريب في المغرب الاسلامي صورة من صور المدارس الاصلية التي تمتد جذورها الى بداية استقرار اليهود بالمغرب العربي أو على الاقل منذ الفتح الاسلامي .

ومما كذلك ، فان التربية تعني في أغلب الاحيان تكيف الفرد اجتماعيا ، وادماجه في الجماعة ، بل ويمكن القول عموما أن الوسط المرتبط بهذه الدراسة ، لا يملك تصورا واعيا للعلاقة بين احترام التقاليد هو الذي يتحكم في حياة الطائفة ، ويتربى الطفل بالمباشرة والمثال والاوامر والنواهي ، ان اكتساب التقاليد ، والتكيف مع الاعراف والعادات ، والتشبع بالمعتقدات والشعائر ، وأخيرا ادماج البالغين في الجماعة بواسطة احتفالات التأهيل اضافة الى المساهمة في العبادة ، كل هذا يشكل ما من شأنه أن يجعل من الفرد عضوا في الجماعة ، وشخصا له عقلية جماعية ، وشعور عميق بالانتماء الى جماعة ، وأساس قوي بالتماسك وتضامن فعال مع أعضائها .

الزعفراني ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص 59 .

الملحق السادس:

اليهود في سجلماسة ودرعة

ومن نافلة القول أن نذكر ما كان من مدارس عليا (يشقوت) أشرف عليها اعلام اشتهروا في العالم اليهودي ، في فاس وسلا وسجلماسة ودرعة وغيرها ، في عصر الاندلس الذهبي عندما كانت الاندلس والمغرب يكونان بلدا واحد . وقد عاشت بسجلماسة التي أسسها بنو واصل في القرن 09 طائفة يهودية كبرى . وكانت هذه المدينة مشهورة بتجارتها مع البلدان ساحل النيجر ووسط افريقيا ، ومع مصر والهند . وكان لليهود بها النصيب الاوفر في المبادلات والتبادل التجاري ز وكان أحبارها على اتصال دائم مع اخوانهم بالقيروان وبغداد . وكان ((بيشقت)) صموئيل بن علي ببغداد ، طالب من سجلماسة . كما كان الربي سلمون بن يهودا كوون الفاسي ، رأس ((يشقة)) بفلسطين مابين 1025 و 1051 .

وكان يوجد بوادي درعة سلسلة من القرى، كانت تسكنها مجموعات يهودية هامة منذ تاريخ طويل . وكتب أحدهم من مدينة درعة ويدعى دوناش الراب الفاسي اسحق الفاسي يستفتيه في أمور شرعية . كما أفادنا ابن ميمون في ((رسالته الى يهود اليمن)) بمعلومات عن موسى الدرعي المبشر المشهور بالمخلص المسيح ، وعن أخبار أسماء أعيان درعيين استقروا بالفسطاط بمصر .

الزعفراني ، الف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص ، 11 ـ 12 .

الملحق السابع:

اليهود في دار الاسلام

لقد عرف يهود دار الاسلام وضع الذمة الذي فرضه الاسلام، وهو وضع دوني مؤقت في غالب الاحيان، ولكنه على أي حال، وضع قانونـــــــي متسامح (استقلال قانوني وإداري وثقافي كامل) اذا ما قورن بالذي عرفـــــــه يهود البلدان المسيحية الاشكناز. وقد سمحت، من جهة أخرى، حضارة العصر الوسيط العلمانية * في الشرق والمغرب الاسلامي، لاهل الذمة (يهودا ومسيحين) بأن يحسوا بأنهم ورثة تقليد ثقافي عظيم ومحترم، كما كانت اللغة العربية الغالبة على خلاف اللاتينية لغة الكنيسة سواء في روما أو الشرق، أقل ارتباطا بالديـــن، فاستعملوها باستمرار ودون تحفظ، في دراسة نصوصهم المقدسة بعد ما كانوا يستعملون لغة تخاطبهم القديمة الارامية التي حصروها منذ ذلك، في النصـــوص التلموذية (القبـــالة)، متخذين اللغة الجديدة، لغة حضارة وثقافـــــة العالم العربي الاسلامي.

حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ ثقافة، دين، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، مطبعة دار قرطبـــــة، 1987، ص 12.

الملحق الثامن :

اليهود في الاندلس

لقد عرفت اذا ، اليهودية الاندلسية في مجموعها حياة أكثر رخاء وأكثر اطمأنانا ، كما لم تعرفها في مكان آخر، ونظرا للوضع القانوني المتسامح فان يهود الاندلس لعبوا دورا اساسيا في الحياة الاقتصادية المزدهرة في البلاد كما كان لهم دورهم في الشؤون العامة . ويرجع الفضل اليهم في جزلا يستهان به من الازدهار الشامل ، ولقد تركت لهم سعة اليد فراغا للدرس وليبلغوا درجة عليا في الثقافة الشاملة المتمثلة في تلك العهود . في العلوم والاداب العربية الاندلسية التي ملكوها فأثروا تأثيرا كبيرا في تطوير الفكر اليهودي ، وأنماط تعبيره المختلفة ، مما ساهم في اغناء هذا الفكر.

حاييم الزعفراني ، الف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ ثقافة دين ،
ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني ابو العزم ،
الدار البيضاء ، مطبعة دار قرطبة ، 1987 ، ص13

الملحق التاسع :

تأثر الشعر العبري بالشعر العربـــــــي

كان للثقافة العربية أثرا فعالا في العصور الوسطى في تنمية اللغة العبرية والمحافظة عليها من الانقراض . وقد دأب علماء اليهود الذيـــن عاشوا في الاقطار الاسلامية من تأليف الكتب اللغوية على غرار المؤلفات العربيـة في قواعد اللغة من صرف وبلاغة وعروض . حتى لقد قرض الشعراء اليهود لا سيما الاندلسيون منهم ، الشعر العبري وفقـا للابحر الشعرية المألوفة في اللغـــة العربية . وتناولت فنون الشعر العبري ، في ذلك الحين ، جميع الاغراض المعروفـــة في الشعر العربي من مدح ، وهجاء ، ورثاء ، وحكمة ، ووصـــف وغزل ، حتى لقد حاكى الشعراء اليهود الشعراء العرب في النظم العلمـــي التعليمي ، وفي نظم الاحاجي والالغاز .

الدكتور ربحي كمال ، دروس اللغة العبريـــة
بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،
1973 ، ص 46 .

الملحــــق العاشــــر:

تأثر الفقه اليهودي بالفقـه الاسلامـي

وقد كان للفقه المالكي وخاصة بالمغرب والاندلس تأثير بالغ لا على القانون الكنسي بل على التلمود والفقه اليهودي منذ القرن العاشر بمدينة فاس وهو العصر الذي انتشر فيه المذهب المالكي بالمغرب بعد فترة ساد خلالها الفقـه الحنفي والفقه الشافعي وفقه الاوزاعي . ومن أمثلة ذلك أن أبا سعيد بن يوسف الفيومي المعروف بالحاخام سعديا (94 9م) الذي يعتبر واضع الفلسفة اليهودية في العصور الوسطى قد صنف ترجمة عربية للعهد القديم واستكمل قانون الميراث اليهودي مستعينا بالشريعة الاسلامية . وهنالك عالم يهودي مغربي هو اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب الفاسي الذي ولد (عام 404 هـ/ 1013م) في (قلعة بن احمد) قرب فاس وتوفي بألوسينة بالاندلس عام 497 هـ/ 1113 ، له شرح على التلمود في عشرين مجلدا يعتبر لحد الان من أهم كتب التشريع التلمودي كما له ثلاثمائة وعشرون فتوى محررة كلها بالعربية وهي مقتبسة من الفقه المالكي السائد بالمغرب والاندلس آنذاك وهو الذي أسس بألوسينة قرب غرناطة عام 1039 معهدا للدروس العليا التلمودية والوسينة هذه هي التي آوى اليها في فترة من حياته العلمية ، الامام بن رشد الحفيد الذي جمع بين الفقه المالكي والفلسفة والطب والتف حوله طلبة يهود أندلسيون .

عبد العزيز بنعبد الله ، معلمة الفقه المالكي ،
بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، 1983، ط 1، ص 44 .

الملحق الحادي عشر

القصيدة المنسوبة الى المولى العابد أبي اسحاق الالبيري التي خاطب فيها باديس ومحرضا على اليهودي (1).

الا قل لصنهاجة أجمعين ... بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذي مقة مشفق ... يعد النصيحة زلفى ودين
لقد زل سيدكم زلة ... تقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا ... ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتخوا ... وتاهوا وكانوا من الارذلين
ونالوا مناهم وجازوا المدى ... وقد جاز ذلك وما يشعرون
فكم مسلم راهب راغب ... لارذل قرد من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم ... ولكن منا يقوم المعين :
فهلا اقتدى فيهم بالاولى ... من القادة الخيرة المتقين
وأنزلهم حيث يستاهلون ... وردهم أسفل السافلين
وطافوا لدينا بأفواجهم ... عليهم صغار وذل وهون
ولم يستخفوا بأعلامنا ... ولم يستطيلوا على الصالحين
أباديس أنت امرؤ حاذق ... تصيب بظنك نفس اليقين
فكيف تكتب فراخ الزنا ... وقد بغضوك الى العالمين
وكيف استتمت الفتى فاستتم ... وقاربته وهو بئس القرين
وقد أنزل الله في وحيه ... يحذر من صحبة الفاسقين
فلا تتخذ منهم خادما ... وذرهم الى لعنة اللاعنين
فقد ضجت الارض من فسقهم ... وكادت تميد بنا أجمعين
وكيف انفردت بتقريبهم ... وهم في البلاد من المبعدين
على أنك الملك المرتضى ... سليل الملوك من الماجدين
وأن لك السبق بين الورى ... كما أنت من جلة السابقين
وان احتللت بغرناطة ... فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها ... فمنهم بكل مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها ... وهم يخضمون وهم يقضمون
وهم يلبسون رفيع الكسا ... وأنتم لاوضاعها لابسون

---

1) ـ المقصود هو ابن نغريلة الوزير.

وهم أمناكم على سركم ... وكيف يكون أمينا خؤون

ويأكل غيرهم درهما ... فيقصى ويدنون اذا يأكلون

وقد ناهضوكم الى ربكم ... فما يمنعون وما ينكرون

وقد لابسوكم باسحارهم ... فما تسمعون ولا تبصرون

وهم يذبحون بأسواقنا ... وأنتم لاطرافهم آكلون

ورخم قردهم داره ... وأجرى اليها نمير العيون

وصارت حوائجنا عنده ... ونحن على بابه قائمون

ويضحك منا ومن ديننا ... فانا الى ربنا راجعون

ولو قلت في ماله أنه ... كمالك كنت من الصادقين

فبادر الى ذبحه قربة ... وضح به فهو كبش سمين

ولا ترفع الضغط عن رهطه ... فقد كنزوا كل علق ثمين

وفرق عراهم وخذ مالهم ... فانتم أحق بما يجمعون

ولا تحسبن قتلهم غدرة ... بل الغدر في تركهم يعبثون

فقد نكثوا عهدنا عندهم ... فكيف تلام على الناكثين

وكيف تكون لهم ذمة ... ونحن خمول وهم ظاهرون

ونحن الاذلة من بينهم ... كانا اسأنا وهم يحسنون

فلا ترض فينا بأفعالهم ... فأنت رهين بما يفعلون

وراقب الهك في حزبه ... فحزب اله هم المفلحون

ابن الخطيب، كتاب اعمال الاعلام، ص 231، 233.

الملحق الثاني عشـــــر:

رسالة من تاجر يهودي بألمرية الى آخر بتلمسان (1)

مقتطفـــــات

قبل أربعة أيام ، تسلمت من تلمسان ـ مع أبي يعقوب بـن المنة ـ 100 مثقال ... ثمنا للنحاس المصقول ... وكنت أبلغتكم بأنـــي تسلمت المائة مثقال المرسلة منكم من فاس . وقد طلبت مني أن أشتري بالمبلـغ حريرا . والواقع أن سعر الحرير كان معقولا ، لذلك اشتريت حريرا بخمسين مثقالا . ولكن عندما حان موعد اقلاع المراكب، واتضح لي أنكم سوف تقضون بقية الصيـــف في الاندلس، أمسكت عن الشراء وتركت المبلغ ، الا انه ما بين يوم الشراء واليـوم فقد المثقال بعض قيمتـــه واليوم البضائع أغلى ثمنا .

الاسعار للوزنة	مثقال
حرير خزاج مقشور	....
خزاج صنف أول	5 ، الاجود 6 اليوم 4
الخشن جدا	3 ـ 2
حرير خـــز	9 ـ 9 .

أما بالنسبة للنقد الذي يدفع اليوم ثمنا للحرير، فانـــه لا يسمح بدفع أكثر من الثلث بالعملة المتداولة ، والفرق بين المثقال المتداول (المرابطي) وبين المثقال الحمودي هو ثمانـــي .

النحاس المصقول	8
النحاس المسبوك	7
شمع جيد من فاس	8 للمائة رطل
الفلفل	27 ـ 25 للمائة رطل

وحسب طلبكم ، سوف أشتري بثمن التوابل حرير خزاج صافيا ... وأود اعلامكم أن ثمن الميروبالان أعلى في السوق . بعت نصف رطل بنصف مثقـــــال ، ثم لا حظت أنكم حدد تم الثمن بمثقال ونصف المثقال للرطل ، فتركته ولم أبع سـوى نصف الرطل المذكور.

أما التربد فثمنه اليوم مثقال واحد للرطلين .

---

1) ـ الرسالة مؤرخة 10 أكتوبر 1138 م (29 شوال 532 هـ) وهي مـــن اسحاق بن بروخ التاجر المقيم بمدينة المرية الى ابي سعيد خلفون بن نثنيل بمدينة تلمسان ، راجع الدليمي ، جوانب من الحياة الاقتصادية، ص 73 ـ 74 .

الملحق الثالث عشر

رسالة من تاجر يهودي أندلسي الى أبيه (1)

... وصلت الى فاس يوم الجمعة . ولدى وصولنا قابلنا المخبرون وعرفوا بالضبط عدد الاحمال الخاصة بنا . ثم ذهبوا الى المشرق على المكوس وأخبروه . وصباح يوم الاحد ، استدعاني وابراهيم وقال له : هل أنت على استعداد لان تقسم بأن جميع ما وصل معك ملكك ، وأن هذا الرجل ليست له حصة فيه . ثم قال لي : هل أنت مستعد لان تقسم بأنه لم يجلب من طرفك شيء الى هذا المكان ؟ وجرى بيننا حديث طويل ، الا أن من الواضح أنه كان يعلم أن أحمال خمسة من الجمال وصلت معي . وبعد متاعب جمة اتفق على أن يأخذ القائد (الوالي) 10 مثاقيل والمشرف 03 مثاقيل ، والمخبرون مثقالين ، والخدم نصف مثقال . وقد مرضت لمدة ثلاثة أيام غيظا وحسرة . ولو أنني كنت امتلك من الشجاعة هنا ما امتلكه في ألمرية لنجزت بأقل من هذا . ولكنني واسيت نفسي بمن لا خيار له ، وقلت لنفسي لعل الله يعوضنا عن الخسارة .
ويوم وصولنا كان الربح 3 ، 2 واليوم 2 ، 4 .بالله عليك ، لا تسافر — اذا استطعت — الى الخارج . سوف أتوجه بمشيئة الله — الى مدينة مراكش صحبة أول رفقة مسافرة اليها . وسأخبرك عند الضرورة عن الوضع ، وعليه يمكنك اتخاذ ما ترونه من قرار . وكل غايتي أن أجنبكم مشاق ومتاعب هذه الاسفار برا ...

وأرغب في افادتكم بأنني نشرت ملابس التصفية ، وأول رداء وقع في يدي كان قد تلف بعض الشيء بسبب الماء عند ثناياه . فقدت صوابي ، لكن من رحمة الله أن التلف لم يحدث الا لهذا الرداء الواحد ، وكان ذلك بسبب هطول مطر غزير في الطريق . وحتى اليوم ، بعت عشرة أزواج منها بمبلغ اجمالي مقداره 80 دينارا ، بما في ذلك العشرة الرديئة ... والرداء الذي تلف بسبب الماء .

اشتريت كحلا ممتازا درجة أولى — حوالي 30 قنطار — والقنطار بدينار واحد . اذا رأيت أن أشتري كمية أكبر أخبرني .

دفع لي ثمنا لك أربعة وعشرون دينارا ، ولن أبيع ، اذا قد أحصل على خمسة وعشرون دينارا . النحاس الرجيف — الرجيف يباع هنا بتسعة دنانير للقنطار الواحد . السقموبيا — المحمودة — تسوى 3 دنانير للرطل . نقص واذا وصل سعرها في ألمرية هذا الثمن بعها ، والا ارسل لي النصف واحتفظ بالنصف الباقي .

---

1) — الرسالة بتاريخ 1140 م / 535هـ أو قبيل ذلك من تاجر أندلسي في مدينة فاس الى ابيه يافث اللافي بن علا في ألمرية ، راجع ، الطيبي ، جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص 77 — 78 .

كل ما لنا من لك ونصافي موجود في بيت ابراهيـــــم، لانني لم أرغب في أن أترك شيئا فـــحي في البيت . قد أستطيع بيع كـــــل النصافي في فـــــاس .
كـــثره اليهود متفشي في هذه البلاد حتى أن ألمويـــة بالقياس رحمـــــــــــة .

الملحق الرابع عشر

مقتطفات من رسالة ثانية (1)

... ان قلبي يحترق لانني جمعت ذهبا ولم أجد شخصا أرسله معه ، ولذلك اضطررت الى ارساله مع دافيد ، وهو أمر لا يسرني اطلاقا ... كما سوف أرسل معه نحاسا بقدر ما أجد .

ولعلمك ، فأن اللك بقي على سعره الاصلي فترة قصيرة . ومنذ أن احتل ((الخارجي)) ((يعني عبد المومن بن علي)) السوس ساد الركود ((ضرب بروحه الارض)) . وما زال عندي خمسة أعدال ، كما أن بروخ لم يتمكن من بيع الكميات التي سلمتها له ، وهذا ما يزعجني اكثر من أي شيء آخر ، ان كل اللك معي في حجرتي . ولو أنني لم أكن قلقا على البضائع الاخرى التي سلمتها له ، لما أعطيته شيئا ، لكي لا يقال أن بضاعتي هذه .

سألتني عن سعر البقم . رطل ونصف رطل بمثقال واحد .

ذكرت في رسالة سابقة أن صائغا يهوديا هنا ساعدني كثيرا في تحصيل الديون ودفعها . وهو يرغب في الحصول على ميزان ومجموعة أوزان ، وقد سلمني الثمن بالكامل ، وبالاضافة الى رسالتي ، فقد كتبت الى الميزاني مباشرة . الرجاء الاهتمام بهذه المسألة .

... الفت انتباهكم الى أن شحنة الشب الخاصي أرسلتها لكم تشتمل على سبعة أعدال من النوع الممتاز جدا كلف القنطار منها أكثر من الثمن العادي بمقدار ربع مثقال . أما الكميات الباقية فاصنافها متفاوتة ، الا أن الصفقة كلها كانت بسعر منخفض . وقبل اعلان سعر السوق قبل خروجه ارتفع ثمن القنطار بنسبة ربع مثقال . ولك أما ان تبيع كل صنف على حدى ، وأما أن تخلطها معا ، وأنت أدرى بالسوق . وبع كذلك جميع الحاويات ، وكل حاوية تسوى درهما واحدا . ان اجمالي الشب الخاص بكم هو خمسة وأربعون قنطارا ... لو كنت أملك شجاعة لارسلت لكم مائة قنطار ، لكنني لم أجرؤ لانه كان عليه طلب كبيرة .

---

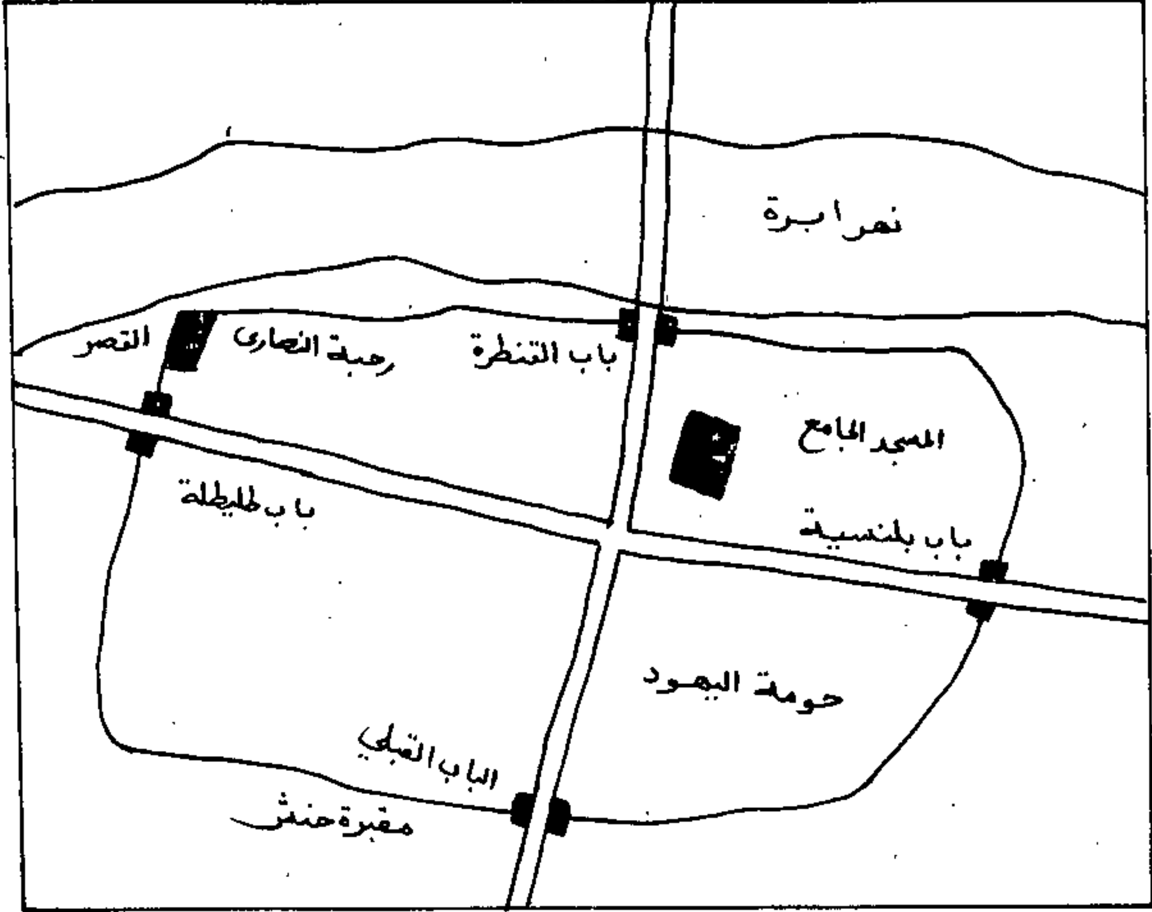
1) ـ حررت الرسالة في مدينة فاس في أواخر شهر ديسمبر 1141 م / 536 هـ ويرجح أن يكون صاحبها تاجر يهودي أندلسي هو ابن يافث اللافسي بن علا ، فالرسالة موجهة اليه في ألمرية كالأولى ، راجع الطيبي ، جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب ، ص 79 ـ 80 .

الخرائط

غنابة
تيبازة شرشال
قسنطينة
قرطاج
سطيف
سور الغزلان
هنشير فوارة
قصر فرعون
طرابلس
مدينة السلطان
السرت
● جاليات
○ أفـــراد

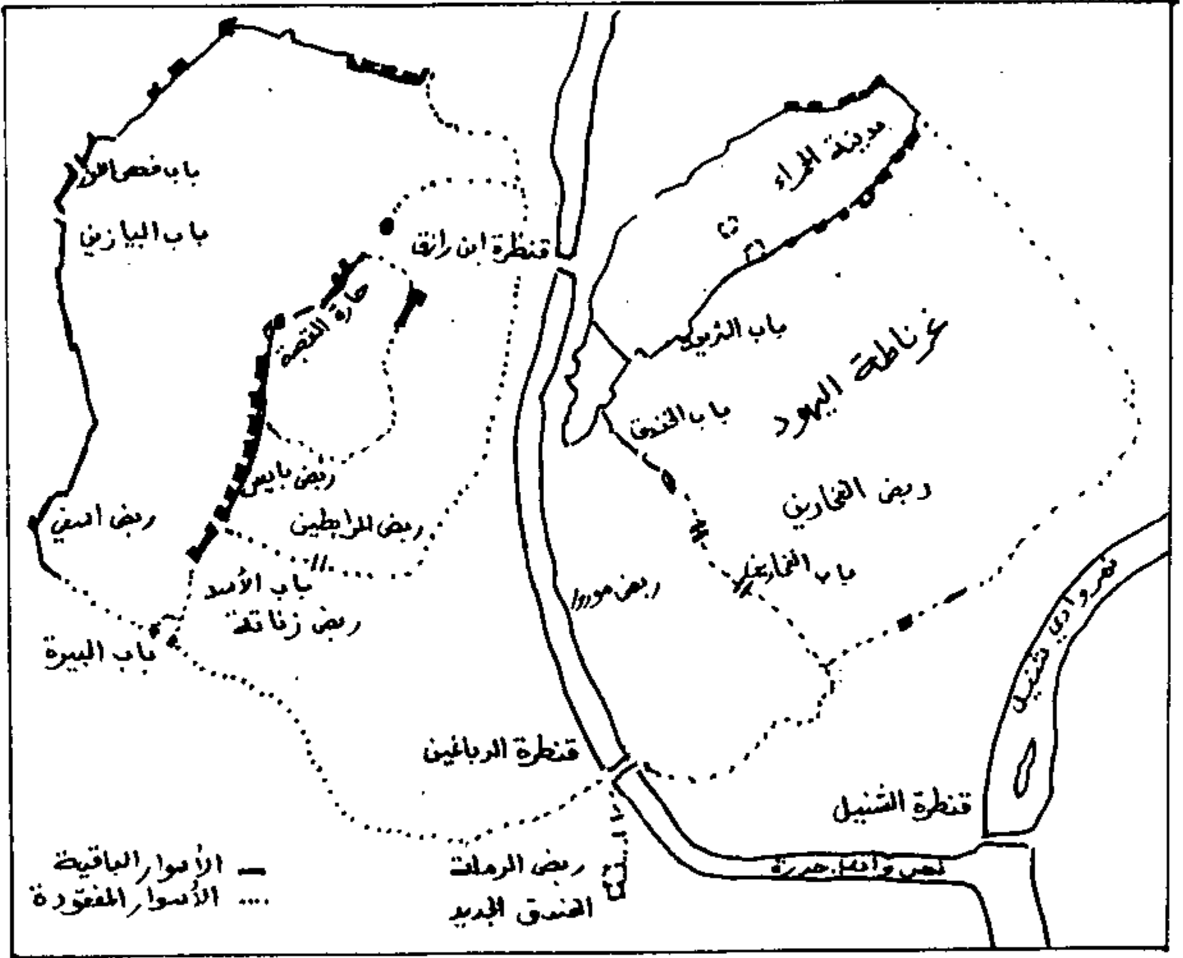
مواقع اليهود بالمغرب في العهد الروماني
حسب خريطة يان لابوهيك

سَـرقُسْطة



مدينـة سرقسطـة الاسلاميـة

غرناطة



غرناطة في العصر الاسلامي

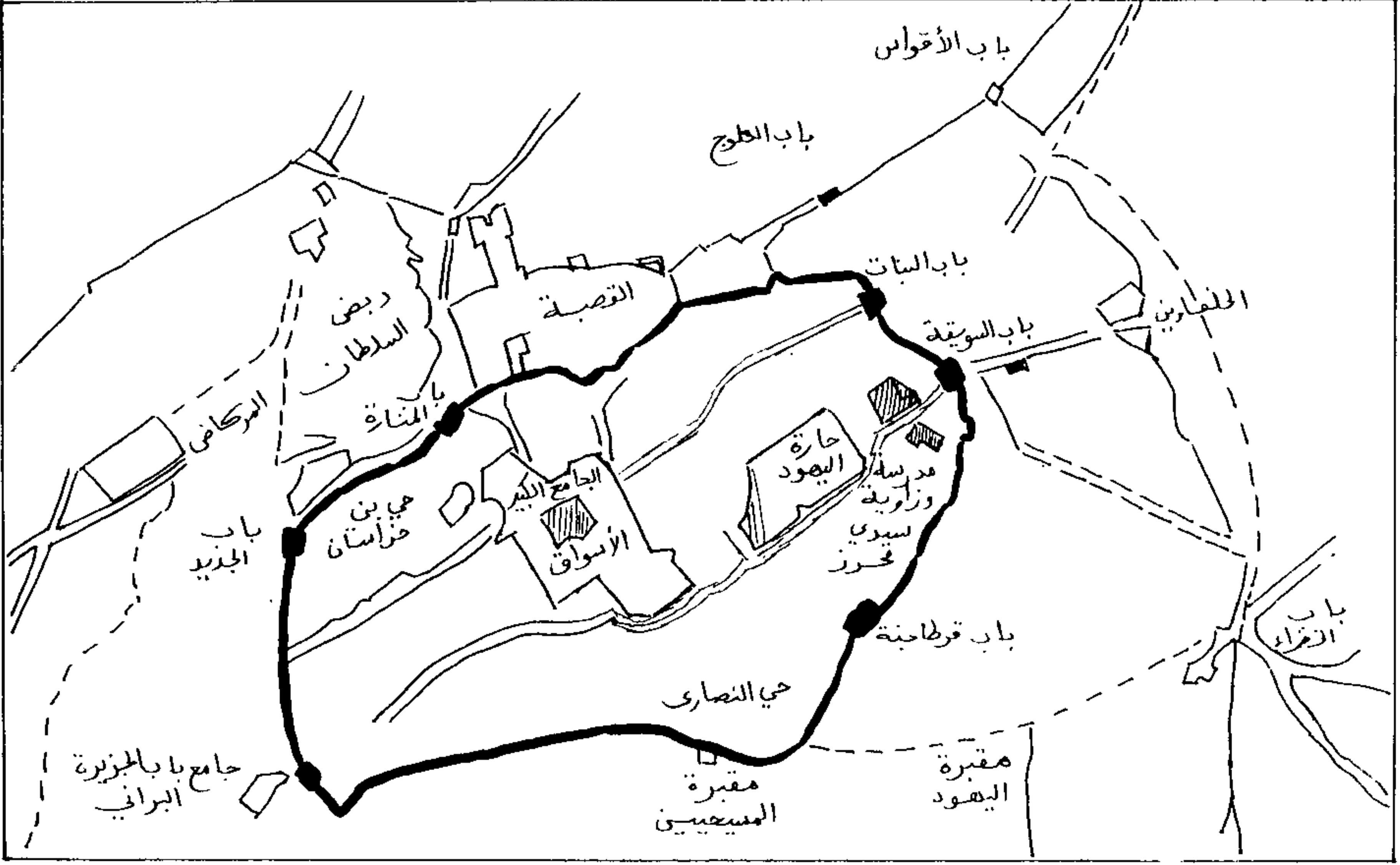
باب شاقرة
الربض
باب القنطرة
باب الشمس
سوق الدواب
المسجد الجامع
حي اليهود
القصر
باب الحديد
نهر تاجة

مدينة طليطلة في العصر الاسلامي ويظهر حي اليهود

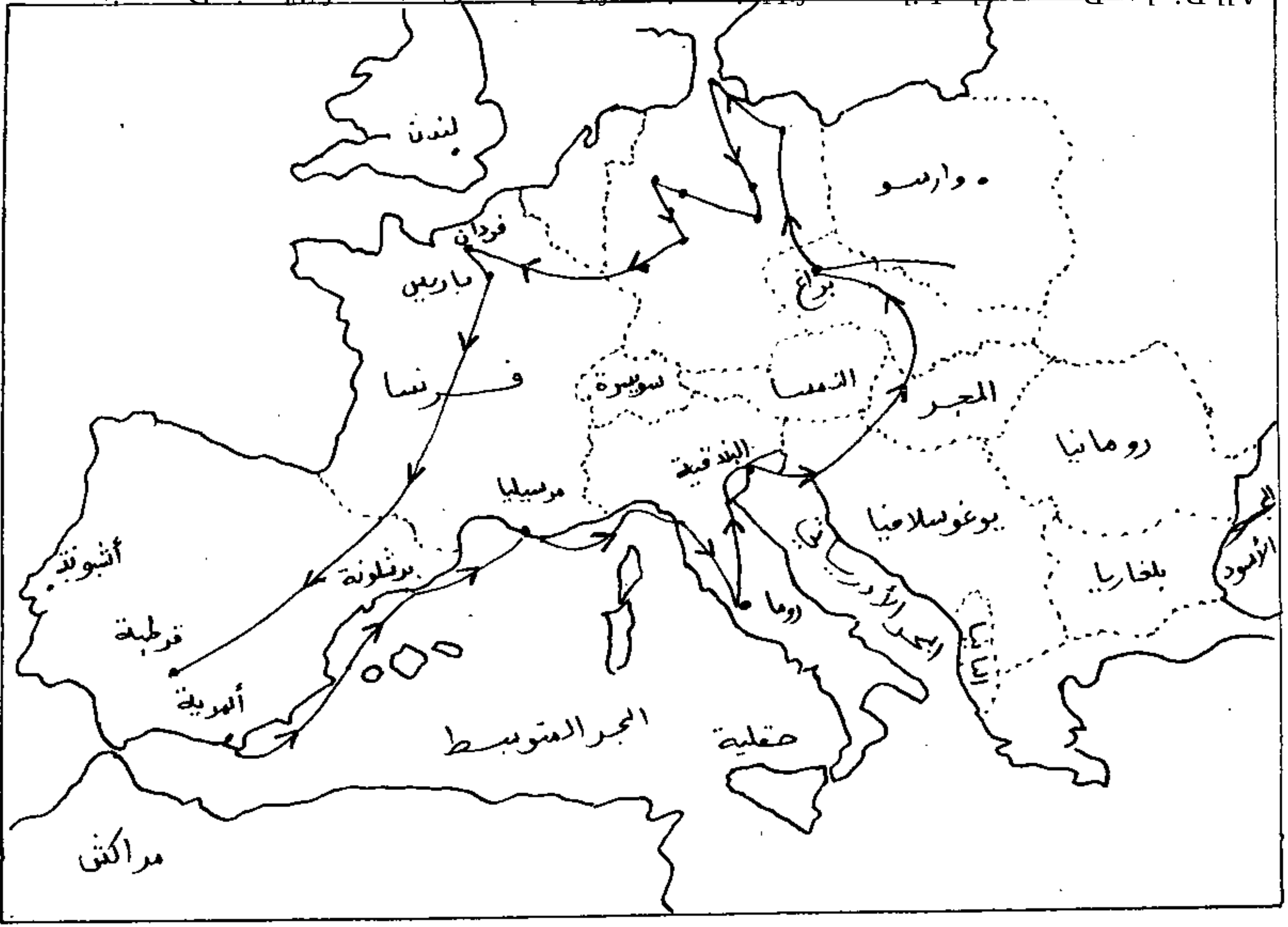
الى الرصافة
مقبرة اليهود
الفخارين
باب اليهود
القصبة
باب العزج
باب الحديد
مدينة الزهراء
الرملة
حي اليهود
المسجد الجامع
الروضة
قصر الادارة القصر
الغرب
الشرق
الى استجة

مدينة قرطبة في القرن الرابع الهجري ويظهر حي اليهود داخل القصبة





مدينة تونس في العهد الحفصي وتظهر حارة اليهود داخل أسوارها
قرب زاوية الولي الصالح سيدي محرز بن خلف



نشاط الطرطوشي الدبلوماسي

قائمة المصادر والمراجع

1) المصـــادر:

1) ـ ابن الابار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمـــــــن القضاعي (ت 658 هـ/ 1259م) الحلة السيراء ، تحقيق حسين مونس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر ، 1963 ، ط 1 .

2) ـ ابن الابار، ديوان ابن الابار ، قراءة وتعليق عبد السلام الهـــراس، تونس ، الدار التونسية للنشر، 1985 م .

3) ـ ابن أبي أصيبعة ، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الجزري (ت 668 هـ/ 1269م)
عيون الانباء في طبقات الاطباء ، شرح وتحقيق الدكتور نزار رضـــــــا ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، 1965 .

4) ـ ابن أبي الحديد ، (ت 656 هـ/ 1258م)
شرح نهج البلاغة ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، دون تاريخ .

5) ـ ابن ابي زرع الفاسي ، علي (ت 726 هـ/ 1325م) .
الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقـــة، 1972 .

6) ـ ابن أبي زيد القيرواني ، أبو محمد بن عبد الله (ت 386 أو 390 هـ/ 996 م أو 999م)
الرسالة (النص العربي) ترجمة الى الفرنسية ومقدمة وتعليق وفهارس ليون برشير ، الجزائر ، المنشورات الشعبية للجيش، 1983 .

7) ـ ابن أبي ضياف، أحمد (ت 1291 هـ/ 1886م)
اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1975 ، ط2، ج 1 .

8) ـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1985 ، ط 5 .

9) ـ ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ، (ت 729 هـ/ 1328م)
معالم القربة في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي ، كمبردج ، مطبعة دار الفنون ، 1937 ، اعادت طبعه بالاوفست مكتبـــة المثنى بغـــداد .

10) ـ الادريسي ، الشريف ، (ت 527 هـ/ 1132م) .

وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تصحيح ونشر هنري بيريس، الجزائر، دار الكتاب، 1957 .

11)ـ المغرب العربي ، من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق وترجمة (فرنسية) محمد حاج صادق، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 .

12)ـ القارة الافريقية وجزيرة الاندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق وتقديم اسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 .

13)ـ الاسرائيلي ، ابن سهل (ت 649 هـ/1251م)
أشعار لم تنشر ، جمع وتحقيق وتقديم محمد قويسمة ، حوليات الجامعة التونسية ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، العدد 19 ، 1980 .

14)ـ ابن بسام الشنتريني ، أبو الحسن علي (ت 542 هـ/1147م)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1981 .

15)ـ البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ/ 1094م)،
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، باريس ، مكتبة امريكا والشرق (النص العربي) 1965 .

16)ـ البكري ، الاندلس وأوروبا ، من كتاب ((المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، دار الارشاد ، 1965 ، ط 1 .

17)ـ التجاني ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت 708هـ/ 1308م)
رحلة التجاني ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا ، تونس الدار العربية للكتاب، 1981 .

18)ـ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن (ت 874 هـ/1469م)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، 1963 .

19)ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/868م) كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، بيروت ، دار احياء التراث العربي 1969 ، ط 3 .

20)ـ ابن جلجل ، أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي ،

طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فواد سيد ، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ، 1955 .

21) ـ حاجي خليفة ، عبد الله (ت 1063 هـ/ 1657م)

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، بيروت ، دار العلوم الحديثة ، طبعة جديدة بالاوفست .

22) ـ ابن حماد ، أبو عبد الله محمد الصنهاجي ، (ت 626 هـ/1228م)

أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 .

23) ـ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ودراسة ، التهامي نقرة وعبد الحليم عويس ، الرياض ، دار العلوم ، 1981 .

24) ـ ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت 456 هـ/1063م) ،

الفصل في الملل والاهواء والنحل ، تحقيق محمد ابراهيم نصر ، وعبد الرحمن عميرة ، بيروت ، دار الجيل ، 1985 .

25) ـ ابن حزم ، رسائل ابن حزم الاندلسي ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1981 ، ط 1 ، ج 3 .

26) ـ الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت بعد 866 هـ/1461م)

الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1975 .

27) ـ ابن خاقان ، الفتح ، (ت 535هـ/1140م)

قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، تقديم محمد العنابي ، تونس ، المكتبة العتيقة ، 1966 .

28) ـ ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ/912م)

المسالك والممالك ، ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لابي الفرج بن جعفر ، مراجعة م ج ، دي خويه ، بريل ، 1889 ، (اعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد) .

29) ـ ابن الخطيب ، لسان الدين ، (ت 776 هـ/1374م)

الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق وتعليق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1973 ، ط 2 ، ج 1 .

30) ــ ابن الخطيب ، تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق وتعليق أ . ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار المكشوف ، 1956 ، ط 2 .
31) ــ ابن الخطيب ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تصحيح البشير الفورتي ، تونس ، مطبعة التقدم الاسلامية ، 1329 هـ .
32) ــ ابن خلدون ، عبد الرحمن ، (ت 808 هـ / 1405م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1959 .
33) ــ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ / 1282م)
وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، 1968 .
34) ــ الدباغ ، أبوزيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري الاسيدي (ت 797هـ / 1336م)
معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1968 ، ط 2 .
35) ــ الذرجيني ، أبو العباس أحمد بن سعيد ، (ت حوالي 670هـ / 1271م)
كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق وطبع ابراهيم طلاي ، قسنطينة ، مطبعة البعث ، 1974 .
36) ــ الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ / 1347م)
معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار ، تحقيق وتعليق ، بشار عواد معروف وشعيب الارناووط وصالح مهدي عباس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1984 ، ط 1 .
37) ــ الراعي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن اسماعيل (ت 853 هـ / 1449م)
الممتع المسهل في ترجمة وشعر ابن سهل ، تحقيق وتعليق محمد قويعة ، حوليات الجامعة التونسية ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، العدد 19 ــ 1980 .
38) ــ ابن رشيق القيرواني ، حسن ، (ت القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)
أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، جمع وتحقيق محمد العروسي المطوي ، وبشير البكوش ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1986 .

39) ـ الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، تونس، نشر رفيق السقطي ، 1968 .

40) ـ الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم (كان حيا سنة 894 هـ/ 1488 م)
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق وتعليق محمد ماضور، تونس ، المكتبة ، 1966 ، ط 2 .

41) ـ سحنون ، بن سعيد التنوخي ، (ت 240 هـ/854م)
المدونة الكبرى ومعها مقدمات ابن رشد ، بيروت ، دار الفكر، 1986 .

42) ـ السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ/1496م)
الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، عني بنشره القدسي ، بيروت، دار الكتاب العربي ، 1979 .

43) ـ ابن شاكر الكتبي ، محمد ، (ت 764 هـ/1362 م)
فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، 1974 .

44) ـ الشاطبي ، أبو اسحاق ابراهيم بن موسى (ت 790 هـ/1388م)
الافادات والانشادات ، تحقيق محمد أبو الاجفان ، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983 ، ط 1 .

45) ـ الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر (ت حوالي 589 هـ/1193م)
كتابة نهاية الرتبة في طلب الحسبة . تحقيق ومراجعة الدكتور السيد / الباز العريني ، بيروت ، دار الثقافة ، 1969 ، ط 2 .

46) ـ ابن صاحب الصلاة، عبد الملك ، (ت 594 هـ/1198م)
تأريخ المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق عبد الهادي تازي ، بيروت، دار الاندلس للطباعة والنشر، 1964 ، ط.

47) ـ ابن صاعد الاندلسي ، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462 هـ/ 1050 م)
كتاب طبقات الامم ، نشر لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية 1912 .

48) ـ ابن الصغير (ت القرن الثالث الهجري / التاسع للميلاد)
أخبار الائمة الرستميين ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد ناصر ، والاستاذ ابراهيم بحاز، الجزائر ، المطبوعات الجميلة ، 1986 .

49ـ ابن الصيرفي ، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت 521 هـ/ 1127 م)
الاشارة الى من نال الوزارة ، تحقيق وتعليق عبد الله مخلص بغداد ، مكتبة المثنى ، طبعة بالأوفست ، دون تاريخ .

50ـ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922 م)
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار المعارف 1977 ، ط 4 .

51ـ الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري (ت 520 هـ/ 1126 م)
سراج الملوك ، المطبعة المحمودية التجارية بالازهر بمصر ، 1935 ط 1 .

52ـ ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257 هـ / 870 م)
فتوح افريقية والاندلس ، تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1964 .

53ـ عبد الواحد المراكشي ، أبو محمد عبد الواحد بن علي محي الدين (اتم الكتاب 621 هـ/ 1224 م) .
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تعليق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، 1950 .

54ـ ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت 685 هـ / 1286 م)
تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، دار المسيرة ، دون تاريخ .

55ـ ابن عبيد الله الاسرائيلي القرطبي ، أبو عمران موسى (ت 605 هـ/ 1208 م)
شرح أسماء العقار ، نشر وتصحيح ومراجعة ماكس مايرهوف ، القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، 1940 (طبعة مكتبة المثنى بغداد ، طبعة معادة) .

56ـ ابن عذارى المراكشي (كان حيا عام 712 هـ/ 1312 م) .
البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س كولان وإ . ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة ، 1980 ط 2 .

57ـ أبو العرب ، محمد بن أحمد ابن تميم القيرواني (ت 333 هـ / 944 م) .
طبقات علماء افريقية وتونس ، تقديم وتحقيق علي الشابي ، ونعيم حسن اليافي ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1968 .

58ـ ابن عمر ، يحي (ت 289 هـ/ 901 م) .
أحكام السوق ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، راجعه وأعده للنشر فرحات الدشراوي تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1975 .

59) — عياض ، أبو الفضل (ت 544 هـ/1149م)
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، بيروت ، منشورات دار الحياة ، ليبيا ، دار الفكر ، 1963 .
60) — أبي الفداء عماد الدين اسماعيل ، (ت 732 هـ/1331 م)
المختصر في أخبار البشر بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، دون تاريخ .
61) ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت 403 هـ/ 1012م)
تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، 1966 .
62) — القاضي النعمان بن محمد (ت 363 هـ/ 973م)
رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت ، دار الثقافة ، 1970 ، ط1 .
63) — ابن القنفذ القسنطيني ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي ابن الخطيب (ت 810 هـ/1407م) ،
الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1968 .
64) — القيرواني ، ابن ابي دينار (كتب الكتاب عام 1110 هـ/1698 م)
المونس في أخبار افريقية وتونس ، تحقيق وتعليق محمد شمام ، تونس ، المكتبة العتيقة ، 1387 هـ ، ط3 .
65) — ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر (ت 367 هـ/977م)
تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق وتقديم ابراهيم الابياري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1982 ، ط1 .
66) — ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت 774 هـ/ 1332 م)
البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة المعارف ، 1966 ، ط1 .
67) — ابن القيم الجوزية ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 751 هـ/1350 م) أحكام أهل الذمة ، تحقيق وتعليق صبحي الصالح ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1983 ، ط 3 .
68) — اللبيدي ، أبو القاسم ، (ت القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد)
مناقب الجبنياني ، مع مناقب محرز بن خلف لابي الطاهر الفارسي ، تقديم وتحقيق وترجمة هادي ادريس ، باريس ، 1959 .
69) — المالكي ، أبو بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس ، تحقيق

دار المغرب الاسلامي للطباعة والنشر ، 1983 .
70) ـ الماوردي ، علي بن محمد حبيب البصري ، (ت 450 هـ/1058م)
الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 .
71) ـ مجهول ، (من أهل القرن 4 أو 5 الهجري / العاشر أو الحادي عشر للميلاد)
أخبار مجموعة في فتح الاندلس ، حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الابياري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، دار الكتب الاسلامية ، 1981 ، ط 1 .
72) ـ مجهول ، مفاخر البربر (الفه عام 712 هـ/ 1312 م) نشر ليفي بروفنسال ، رباط الفتح ، المطبعة الجديدة ، 1934 .
73) ـ مجهول (القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد)
مناهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب ، تحقيق داود علي الفاضل ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1982 ، ط 1 .
74) ـ المجيلدي ، أحمد سعيد (ت 1094 هـ/1682 م)
كتاب التيسير في أحكام التسعير ، تقديم وتحقيق الدكتور موسى لقبال ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1971 .
75) ـ مخلوف ، محمد بن محمد (ت 1360 هـ/ 1941م) .
شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، بيروت ، دار الكتاب العربي (طبعة جديدة بالاوفست عن الطبعة الاولى سنة 1349 هـ)
76) ـ ابن مرزوق ، محمد (ت 781 هـ/1379م)
المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا ، وتقديم محمود بوعياد ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، اصدارات المكتبة الوطنية ، 1981 .
77) ـ ابن مسعود الخزاعي ، علي بن محمد (ت 789هـ/ 1387م)
تخريج الدلالات السمعية على كاكان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1985 ، ط1 .
78) ـ مسلم ، أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم (ت 261 هـ/ 874 م) .
الجامع الصحيح ، بيروت ، دار الفكر ، دون تاريخ .

79) ـ المقري التلمساني، أحمد بن محمد (ت 1041 هـ/1631 م)
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس
بيروت، دار صادر، 1968 .
80) ـ الناصري السلاوي ، أحمد بن خالد (ت 1897 هـ/1315م)
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، القاهرة ، 1312 ..
81) ـ ابن النديم (ت بعد 377 هـ/987م)
الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر 1978 .
82) ـ النووي ، أبو زكرياء يحي بن شرف (ت 676 هـ/1277م)
رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تعليق رضوان محمد رضوان ،
بيروت، دار الكتاب العربي ، 1982 .
83) ـ النويري ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت 732هـ/1331م)
نهاية الادب في فنون الادب ، نسخة مصورة عن دار الكتب .
84) ـ الواقدي ، محمـــد ، (ت 207 هـ/ 822 م)
فتوح افريقية ، تونس ، مطبعة المنار ، 1966 .
85) ـ الوزان ، الحسن بن محمد (ت بعد 957 هـ/1550م)
وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر ، بيروت ، دار المغرب
الاسلامي ، 1983 ، ط 2 .
86) ـ الوزير السراج ، محمد بن محمد الاندلسي (ت 1149 هـ/1736م)
الحلل السندسية في الاخبار التونسية ، تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب
الهيلة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1970 .
87) ـ الونشريسي ، أحمد بن يحي (ت 914 هـ/1508م)
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس
والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء باشراف الدكتور محمد حجي ،
بيروت، دار المغرب الاسلامي ، 1981 .
88) ـ الونشريسي ، كتاب الولايات ، نشر وتعليق محمد الامين بلغيث
الجزائر، لافوميك ، 1985 .
89) ـ ياقوت بن عبد الله ، شهاب الدين أبي عبد الله ، (ت 626هـ/1223م)
معجم البلدان ، بيروت، دار صادر، ودار بيروت ، 1957 .

2) ـ المراجع العربيـــة :

1) ـ ابراهيم ، أحمد العدوي ،
السفارات الاسلامية الى أوروبا ، سلسلة أقرأ عدد 179 ، دار المعارف بمصـــر ، 1957 .
2) ـ أحمد موسى عز الديـــن ،
النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، بيروت القاهرة ، دار الشرق ، 1983 ، ط1 .
3) ـ اسماعيل ، محمـــود ،
الخوارج في المغرب الاسلامي ، بيروت دار العودة ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1976 .
4) ـ ابن أشنهو ، عبد الحميد ،
الملك العالم يوبا الثاني وزوجه كليوباطرة سليني ، الجزائر ، وزارة الاخبار والثقافة ، مديرية الثقافة ، 1971 .
5) ـ باشا ، نجـــاة ،
التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الى القرن الثامن للهجرة ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، بتونس ، منشورات الجامعة التونسية ، 1976 .
6) ـ بحـــاز ، ابراهيم بكير ،
الدولة الرستمية 160 / 296هـ / 777 ـ 909م ، دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، الجزائر ، مطبعة لافوميك ، 1985 .
7) ـ بحـــر ، عبد المجيد محمد ،
اليهود في الاندلس ، المكتبة الثقافية ، عدد 237 ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 .
8) ـ بدوي ، عبد الرحمن ،
موسوعة المستشرقين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1984 ، ط 1 .
9) ـ بحيـــو ، مصطفى عبد الله ،
المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1975 .
10) ـ البقلي ، محمد قنديل ،
التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، 1983 .

11) ـ بدبد الله ، عبد العزيز ،
معلمة الفقه المالكي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1983 ، ط1.
12) ـ بورويبة ، رشيد ،
الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1977 .
13) ـ بيضون ، ابراهيم ،
ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1979 .
14) ـ التل ، عبد الله ،
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، 1979 ، ط 3 .
15) ـ الثعالبي ، عبد العزيز ،
محاضرات في تاريخ المذاهب والاديان ، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1985 ، ط 1 .
16) ـ الجنحاني ، الحبيب ،
المغرب الاسلامي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3 ـ 4 هـ/ 9 ـ 10 م) ، تونس الدار التونسية للنشر ، 1978 .
17) ـ جواد علي ،
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، بغداد ، مكتبة النهضة ، 1976 ، ط 2 .
18) ـ الجيلالي ، عبد الرحمن ،
تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982م .
19) ـ الحاردلو ، ابراهيم ،
اليهود والتوراة في فكر ابن حزم ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، 1984 .
20) ـ حسن ابراهيم حسن ،
تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، ومصر ، وسوريا ، وبلاد العرب ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1958 ، ط 2 .

21) ـ حسن ، ابراهيم حسن ، وطه أحمد شرف ،
المعز لدين الله الفاطمي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ،
ط2 .
22) ـ حركات ، ابراهيم ،
المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ،
ط 2 .
23) ـ حركات ، ابراهيم ،
النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ، الدار البيضاء ،
منشورات مكتبة الوحدة العربية ، دون تاريخ .
24) ـ الحفني ، عبد المنعم
الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، بيروت ، دار المسيرة ، 1980 ،
ط 1 .
25) ـ حمدي عبد المنعم محمد حسين ،
تاريخ المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، دولة علي بن يوسف
المرابطي ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر
والتوزيع ، 1986 .
26) ـ خان ، ظفر الاسلام ،
التلمود تاريخه وتعاليمه ، بيروت ، دار النفائس ، 1972 ، ط 2 .
27) ـ الخطاب ، محمود شيت ،
عقبة بن نافع الفهري ، بيروت ، دار الفكر ، 1977 ، ط5 .
28) ـ خليفة ، عبد الكريم ،
ابن حزم الاندلسي حياته وأدبه ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، دون
تاريخ .
29) ـ خليل ، عماد الدين ،
دراسة في السيرة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ودار النفائس ، 1981 ،
ط 5 .
30) ـ ابن الخوجة ، محمد ،
تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد ، تحقيق وتقديم الجيلاني
بن الحاج يحي ، وحمادي الساحلي ، بيروت ، دار المغرب
الاسلامي ، 1985 ، ط2 .
31) ـ الرافعي ، عبد الرحمن ،
تاريخ الحركة القومية في مصر من فجر التاريخ الى الفتح العربي ،
القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ، ط 1 .

32) ـ زيدان عبد الكريم ،
أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، بغداد مكتبة القدس وبيروت، موسسة الرسالة ، 1982 .
33) ـ سرور محمد جمال الدين،
الدولة الفاطمية في مصر، وسياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، مصر، دار الفكر العربي ، 1974 .
34) ـ سوسة أحمد ،
مفصل العرب واليهود في التاريخ ، العراق، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، 1981 ، ط 5 .
35) ـ سالم السيد عبد العزيز،
المغرب الكبير، العصر الاسلامي ، بيروت، دار النهضة العربية ، 1981 ، ط 2 .
36) ـ السيد عبد العزيز سالم ،
تاريخ المسلمين وأثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981 .
37) ـ شاوش محمد بن رمضان ،
الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد التاهرتي ، مستغانم، المطبعة العلوية، 1966 ، ط 1 .
38) ـ شبل ، فؤاد محمد ،
مشكلة اليهودية العالمية ، المكتبة الثقافية ، عدد 241 ، مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 .
39) ـ شلبي أحمد ،
مقارنة الإديان : 1 ـ اليهودية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، 1967، ط 2 .
40) ـ شنيتي محمد البشير ،
التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، الجزائر ، الموسسة الوطنية للكتاب ، 19 .
41) ـ شنيتي محمد البشير،
سيادة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية الى سقوط موريطانيا ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982 .
42) ـ الشيال جمال الدين ،
التاريخ الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الاوروبي في عصر النهضة، بيروت، دار الثقافة ، دون تاريخ .

43) ـ العالبي محمد ،
منهجية ابن خلدون التاريخية ، بيروت ، دار الحداثة ، 1981، ط 1.
44) ـ الطيبي ، أمين توفيق ،
دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب ، 1984 .
45) ـ العابد محسن،
دراسات وبحوث مقارنة ، تونس، المطبعة العصرية ، 1979، ط 1 .
46) ـ عاشور سعيد عبد الفتاح ،
بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ، جامعة بيروت العربية، 1977 .
47) ـ العبادي أحمد مختار،
دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، دون تاريخ .
48) ـ العبادي أحمد مختار،
في تاريخ المغرب والاندلس، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1978.
49) ـ عبد الوهاب حسن حسني ،
ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، تونس، مكتبة المنار، القسم الاول والثاني ، 1966 ، 1972 .
50) ـ عبد الوهاب حسن حسني
بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، تقديم العروسي المطاوي ، تونس، مكتبة المنار، 1970 ، ط 2 .
51) ـ العجيبي صالح محمد ،
تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، 1981، ط 2 .
52) ـ العربي اسماعيل ،
المدن المغربية ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 .

53) ـ العريني، السيد الباز،
الدولة البيزنطية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1982.

54) ـ العريني، السيد الباز،
تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة العربية، 1968.

55) ـ عصفور، محمد ابو الحسن،
المدن الفينيقية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981.

56) ـ علام، نعمت اسماعيل،
فنون الشرق الاوسط، من الغزو الافريقي حتى الفتح الاسلامي، القاهرة، دار المعارف، 1975.

57) ـ علي، ابراهيم حسن،
تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1963، ط 2.

58) ـ ابن عميرة، محمد
دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

59) ـ عنان، محمد عبد الله
عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964.

60) ـ عويس، عبد الحليم،
دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، 1980، ط 1.

61) ـ غانم، محمد الصغير،
التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1979.

62) ـ فيصل، شكري،
حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول، بيروت، دار العلم للملايين، 1980، ط5.

63) ـ قاسم، قاسم عبدة
اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1980، ط1.

64) ــ ابن قربة، صالح،
عبد المؤمن بن علي، موحد بلاد المغرب، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1985.
65) ــ كحالة، عمر رضا،
جولة في ربوع التربية والتعليم، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980، ط1.
66) ــ لعبيدي، ابراهيم،
تاريخ التربية بتونس، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، دون تاريخ، ج1.
67) ــ لقبال، موسى
المغرب الاسلامي، منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ط2.
68) ــ لقبال، موسى
دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.
69) ــ مجهول،
تاريخنا، من سقوط قرطاجة الى عصر التحرير الاسلامي، ليبيا، دار التراث، دون تاريخ،
70) ــ محفوظ، محمد،
تراجم المؤلفين التونسيين، بيروت، دار الاسلامي، 1982، ط1، ج1.
71) ــ المدني، احمد توفيق.
كتاب الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ط2.
72) ــ مرسي الشيخ، محمد محمد.
دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الاندلس حتى اواخر القرن العاشر الميلادي.
73) ــ المداوي، محمد حمدي،
الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي، دار المعارف بمصر، 1970.
74) ــ ابن ميلاد، احمد.
تاريخ الطب العربي التونسي في عشرة قرون، تونس، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، 1980.

75)- الميلي مبارك بن محمد تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، 1963.
76)- وافي، علي عبد الواحد.
اليهودية واليهود، مصر، مكتبة غريب (الفجالة) 1970
77)- اليعلاوي، محمد.
ابن هانئ المغربي الاندلسي، شاعر الدولة الفاطمية بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1985.

3- المراجع المعربة:

1)- اوروسيوس
تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تقديم وتحقيق عبد الرحمان بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1982 ط1.
2)- اوليري، دي لاسي.
الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله الى العربية وعلق عليه اسماعيل البيطار، بيروت، دار الكتاب اللبناني 1982.
3)- بالنثيا، انخل جنثالث،
تاريخ الفكر الاندلسي، نقله عن الاسبانية حسين مؤنس القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955 ط1
4)- بردز، يواكيم،
بابوات من الحي اليهودي، ترجمة خالد اسعد عيسى، مراجعة وتقديم سهيل زكار، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر 1983 ط1.
5)- بورويبة، رشيد.
ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1982.
6)- ترتون، ا. س،
اهل الذمة في الاسلام، ترجمة وتعليق حسن حبشي، مصر، مطبعة الاعتماد، 1949.
7)- جوليان، شارل اندري.
تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، الدار التونسية للنشر 1978، ج 2

08) — جواتياين ، س ، د ،
د راسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، تعريب وتحقيق عداية القوصي ، الكويت ، وكاولة المطبوعات ، 1980 ، ط 1 .

09) — د ينيت ، دانييل ،
الجزية والاسلام ، ترجمة وتقديم فوزي فهيم جاد الله ، مراجعة احسان عباس ، بيروت ، منشورات دار الحياة ، 1959 .

10) — رايلي كافين ،
المغرب والعالم ، تاريخ الحضارة من خلال موضوعات ، ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري وهدى عبد السميع حجازي ، مراجعة فؤاد زكريا ، عالم المعرفة ، 90 ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، (يونيو ، 1985) .

11) — رينو جوزيف ،
الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي ، ترجمة وتقديم وتعليق اسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية بالتعاون مع دار الحداثة بيروت ، 1984 ، ط 1 .

12) — سارتون جورج ،
تاريخ العلم ، ترجمة لفيف من العلماء ، القاهرة ، دار المعارف ، 1970 ،

13) — فيشر ه . أ . ل ،
تاريخ أوروبا ، العصور الوسطى ، تعريب محمد مصطفى زيادة ، والسيد الباز العريني ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، 1976 ، ط 6 .

14) — لومبارد موريس ،
الاسلام في مجده الاول القرن 8 — 11 م (2 — 5 هـ) ترجمة وتعليق اسماعيل العربي ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1979 .

15) — لويس أرشيبالد . ر .
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم شفيق غربال ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1960 .

16) — لويس برنارد ،
أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية ، تقديم ومراجعة خليل أحمد خليل ، بيروت ، دار الحداثة ، 1980 ، ط 1 .

17) ــ هوبكنز، ج.ف.ب.
النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة أمين توفيق الطيبي ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب، 1980 .
18) ــ وات منتجومري ،
فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، 1983 ، ط1 .
19) ــ ولفنسون ، أ .
تاريخ اللغات السامية ، بيروت، دار القلم، 1980، ط1 .
20) ــ يوسابيوس القيصري ،
تاريخ الكنيسة ، ترجمة القس مرقص داود ، القاهرة ، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع ، 1960 .
21) ــ يوسيفوس،
تاريخ يوسيفوس اليهودي ، بيروت، دار صادر، دون تاريخ .
22) ــ

4) ــ الدوريات العربيــــة :

01) ــ أبو عمران الشيخ ،
((أغسطين الصابي ومقاومة الحركة الرومانية)) الاصالة ، 34، 35، السنة الخامسة (يونيو ، يوليو 1976).
02) ــ أمين توفيق الطيبي ،
((جوانب من الحياة الاقتصادية بالمغرب في القرن السادس الهجري))
طبع مركز الدراسات والبحوث على التطور الجهوي ، جامعة وهران .
03) ــ سعد زغلول عبد الحميد ،
((فتوح المغرب والاندلس في رواية ابن عبد الحكم)) دراســـات عن ابن عبد الحكم، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 .
04) ــ محمد البشير شنيتي ((حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن الرابع))، الاصالة، 60 ، 61 ، السنة 7 (جانفي 1977).
05) ــ عبد الحميد حاجيات،
((المرابطون ودورهم في تاريخ المغرب وحضارته)) مجلة التاريخ، عدد 3 (أفريل 1976).
06) ــ عبد الحميد حاجيات،
((مذهب الصفرية في سجلماسة)) مجلة التاريخ عدد 6 (جويلية 1978).
07) ــ عبد العزيز فيلالي ،
((دولة برغواطة)) مجلة سرتا، السنة الاولى، عدد 2 (نوفمبر 1979 .

08) ــ عبد العزيز فيلالي ،
((أسباب الثورات الشعبية المغربية ومقدماتها في العقد الثالث من القرن الثاني الهجري ببلاد المغرب)) مجلة سرتا، العدد 1 السنة الاولى ، (نوفمبر 1979).
09) ــ فؤاد حسن ،
((المكابيون)) المجلة التاريخية المصرية ، المجلد 10 (1971).
10) ــ محمد بركات ،
((10 حقائق عن التلمود)) الهلال ، عدد 5 ، السنة 1977 ، (01 مايو 1969).
11) ــ مزيان عبد المجيد ،
((العرب واليهود في التاريخ)) مجلة الثقافة ، عدد 14 ، السنة الثالثة (أفريل ، ماي 1973).

5) ــ المراجع الفرنسية :

01- Abdesselem, Ahmed, Les historiens Tunisiens des I7, I8, I9 Siecles, Essai d'histoire Culturelle, Paris, Librairie C, KLINCK Sieck, I973.

02 - Benachenkou, A, la dynastie Almoravide et son art, Alger Imprimerie E.P.A, I974,

03- Bible (la), Paris, Allience Biblique universelle, I984,

04- Brunchvig, Robert, la Berberie orientales sous les Hafsides des origines à la fin du X Y Siecles, Paris, librairie d'Amerique et d'orient, I982.

05- Chouraqui, André Marche vers l'occident, les Juifs d'Afrique du Nord, France, P.U.F, I952.

06- Chouraqui, André, Histoire du Judaïsme, Paris, P,U,F (Que sais-je ? 750) I98I.

07- D'Avezagn, Afrique, Tableau Génèral, Tunis, Editions Bouslama I98I, T I .

08- De Fentette, François, le Racisme, Paris, P.U.F (Que sais - je ? 1603) 1984.

09- Dhina, Atallah, les Etats de l'occident Musulman aux I3, I4, I5 Siecles, Institutions gouvernementales et Administratives , Alger O.P.U. et ENAL, 1984.

I0- Dictionnaire des Antiquités Grécques et Romaines d'Aprés les textes et les monuments, sous la Direction de mme che. Daroumberg et E.D.M. Saglio, Paris Librairie Hachette T 3.

II- Dufoureq, ch. E, la vie quotidienne dans l'Europe médie--vale sous domination Arabe, Paris, Hachette, I978.

I2- Flavius, Joseph, Histoire ancienne des Juifs, la guerre des Juifs Contre les Romains, Paris, Editions lidis, I975

I3- Fattal, Antoine, le Statut legal des non-musulmans en pays d'Islam, Beyrouth, Imprimerie Catholique, I958.

I4- Gardet, Louis, la Cité Musulmane, vie Sociales et Poli--tique Paris, Librairie Philosophique. J. Vrin, I976.

I5- Graetz, H, les Juifs d'Espagne, traduit de l'Allemend par georges Stenne, Paris, Librairie nouvelle. I872.

I6- Hamet, Ismaïl, les Juifs du Nord de l'Afrique, (Noms, et Prénoms) Paris, Societés d'Editions géographiques, Mari--times, et Coloniales, I928.

I7- Histoire génèrale des religions, sous la direction des maxime george et Ravil Mortier, Paris, Librairie, Aristide quillet, I945, T 3.

I8- Haddache, Mahfoud, l'Algerie dans l'Antiquité, Alger, SNED, I972.

I9- Louis Cambuzat, Paul, l'Evolution des Cités du Tell en Ifrikya du 7 au II Siecle, Alger, O.P.U. I986.

20- Mieses, Mathias, les Juifs et les Etablissements Puni--ques en Afrique du Nord, Publications de la Societé des Etudes Juives, Paris, Imprimerie, H. ELIAS, I933.

21- Moncaux, Paul, Histoire litteraire de l'Afrique Chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, Paris, Ernest le Roux, I90I, T I.

22- Nahum, Slouschz, Etude sur l'histoire des Juifs au Marco, Archives marocaines, volume 6, N° I-2, Décembre I905.

23- RENAN, Ernest, Judaïsme et chiristianisme, textes pré--sentés par Jean Gaulmier, Paris, Copernic, I977.

24- Rouche, Mimel, les Empires universels 2-4 Siecles Paris, Larousse, I968.

25- VONDERHEYDEN, M, la Berberie orientale, sous la dynastie des Benoû L-Arlab, Paris, Librairie orientaliste paul Genthner, I927.

26- Suetone, Vies des I2 Cesars, Introduction , Traduction et Notes de pierre Grimal, France, Librairie Génèrale Française, I974.

27- Zafrani, Haïm, Pédagogie Juive en terre d'Islam, l'en--seignement traditionnel de l'hebreu et du Judaïsme au maroc, Paris, librairie d'Amérique et d'orient, Andrieu Maisoneuve, I969.

6) ـ الدوريات الفرنسيـــة :

01- Bourouiba, Rachid "L'esprit de tolerance chez les Zirides les hammadides, et les normands de Sicile "
Actes du 2° Congrés international d'Etudes des Cultures de la méditerrénée occidentale, Alger, SNED, (1978)

02- Cahen, M.B" les Juifs dans l'Afrique Septentrionale, Receuil des notices et mémoires de la Societés Archéolo--gique de Constantine, N° II (1867).

03- Canard, M " Ibrahim Ibn-Yaqub et sa relation de voyage en Europe " in Etudes d'orientalistes dediées à la mémoire de levy-Provençal, Paris, 6.P. Maisoneuve et larose, T 2, (1962)

04- Eisenbeth, Maurice "les Juifs en Algérie, esquisse histo--rique, depuis les origines à nos jours, Extrait de l'en--cyclopedie colonial et Maritime) Paris, sans date.

05- Fagnan, E " le signe distinctif des Juifs au Maghreb " Revue des Etudes Juives T 28, (1894)

06- Le Bohec, yann " Juifs et Judaïsme dans l'Afrique romaine, remarques onosmatiques " Antiquités Africaines N°17, (1981)

07- Le Bohec, Y " Inscriptions Juives et Judaïsantes de l'Afrique Romaine " Antiquités Africaines, N°17 (1981)

08- Lewis, B " l'Islam et les non-Musulmans " in Annales Eco--nomics, Societés, Civilisations, 35 Année, N°3-4 (Mai Août 1980).

09- Renand, H.P.J. " Trois Etudes d'histoires de la medecine Arabe en occident, I- le Mustaïni d'IBN BAKLARES " Hesperis, Tome X (1930).

10- Slousch, N " l'empire des Berghouatta et les origines des Blad- E-S- Siba " Revue du Monde Musulman, Tome 10(1910).

II- TALBI, Mohamed" un nouveau Fragment de l'histoire du Maghrib 62-I95 / 682 - 8I2. L'epopée d'AL KAHINA " Cahiers de Tunisie, N° 73- 74, Tome I9, (I97I).

I2 TALBI, Mohamed " Hérésie, acculturation et Natio--Nalisme des Berbéres Bargawata " Actes du Ier Congrés d'Etudes. des Cultures Méditérraneennes.d'Influence Arabo-Berbére. Alger, SNED, I973.

الفهارس

فهرس الأعلام

ـ أ ـ

يحي بن يحي بن :محمد بن ادريس:
127.
يونـــس(البرغواطي) : 89،
92.

ـ أ ـ

ـ ب ـ

الفصل الخـــامس

1 الحياة السياسية لليهـــــود

انجزت عملية الرقن على الالة بمدينة حجموطه
من طرف السيد / زاير امحمد . 1991 .

=-=-=-=-=-=-=-=-=-=